وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البصرة / كلية الآداب

المؤتمر العلمي السنوي التاسع

١١ - ١٢ نيسان ٢٠٢١

العلوم الانسانية والاجتماعية / الواقع / التحديات / الحلول

الجزء الثالث

المشرف العام
الأستاذ الدكتور ماجد عبد الحميد الكعبي

إعداد وتحرير
الأستاذ الدكتور عادل هاشم علي
المدرس الدكتور حلا عثمان محمد
المدرس المساعد حسن حبيب عبيد

التصميم والتنضيد
السيد مهند أحمد يعقوب
الآنسة علا غسان صمد

جميع الحقوق محفوظة لعمادة كلية الآداب/جامعة البصرة ٢٠٢١

كلمة السيد رئيس المؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ...

الاستاذ الفاضل الدكتور سعد شاهين حمادي رئيس جامعة البصرة المحترم

ضيوفنا الاعزاء ... اساتذتي واخواني الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

انطلاقاً من أهمية البحث العلمي في مجال العلوم الاجتماعية والانسانيات وتداخلها مع العلوم التطبيقية في مختلف التخصصات الموضوعية وتأثيرها على النتاج الفكري في ظل التطور المعرفي الحاصل في جميع فروع المعرفة البشرية والتي تأثرت كثيرا بتطور تكنولوجيا المعلومات من خلالها توظيفها في الجوانب التطبيقية والعملية في الدراسات والبحوث وتحسين وتقدم مستوى النتاج الفكري بما ينسجم ومتطلبات سوق العمل على كافة المستويات ، يعقد مؤتمرنا الدولي هذا وبمشاركة واسعة على المستوى المحلي والعربي والدولي والتي بلغت (١٢١ ملخصا) " لباحثين من العراق والاردن والجزائر والسعودية ومصر وامريكا وماليزيا وروسيا في تخصصات اللغة العربية والانكليزية والتأريخ والترجمة والجغرافيا والمكتبات والفلسفة . ولها الدور الكبير في معالجة مشكلات موضوعية مهمة غايتها النهوض بالعلوم المعرفية وفق التخصص الموضوعي والذي سوف تزخر فيه المكتبات ومراكز المعلومات لفائدة المستفيدين

اليوم وانتم في رحاب جامعة البصرة ممثلة بكلية الآداب نشعر بالفخر والاعتزاز ان يعقد المؤتمر الدولي التاسع والذي يعكس الحضارة والثقافة والعلم ليس للمجتمع البصري والعراقي فحسب ، بل امتد الى المستوى الاقليمي العربي والعالمي ومما يدلل على ذلك اشتراك نخبة من الباحثين والمؤرخين والفلاسفة والذين كانت مشاركاتهم فعالة سواء حضوريا في القاعات الرئيسية او من خلال الروابط والتطبيقات الالكترونية التي تم تخصصها وفق تقنية الجيل الرابع لضمان النقل المباشر للأبحاث والمناقشات على مدار ايام المؤتمر.

ان أهمية الدعم والمشاركة في هذا المؤتمر الدولي تسعى الى تحقيق الاهداف والرسالة المرسومة للمؤتمر من خلال الجهود التي بذلت من قبل المشاركون بالجانب العلمي والتنظيمي

فإن المساهمة في رعاية أعماله سيكون لها بالغ الأثر في إنجاح فعالياته وتعزيز جهود العمل المشترك لرفع جودة البحث العلمي والتي تعد مهمة مهنية وعلمية مشتركة تقع مسؤوليتها على القطاع الاكاديمي .

و ختاما" لا يسعني إلا أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير وعظيم الامتنان الى السيد رئيس جامعة البصرة لدعمه المتواصل للبرامج والانشطة العلمية الحضورية والالكترونية من خلال حضوره المتواصل ومشاركته الفعالة فيها معنويا" وماديا" .. كما اتقدم بالشكر والتقدير بوافر الى جميع الاخوة والاساتذة الباحثين الذين شاركوا بشكل فعال في المؤتمر وتحملوا عناء السفر .. والشكر موصول الى الاخوة في كافة لجان المؤتمر ..والى كل الخيرين الذين ساهموا في نجاح مؤتمرنا هذا جزى الله الجميع خير الجزاء .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأستاذ الدكتور

ماجد عبد الحميد الكعبي

رئيس المؤتمر/عميد كلية الآداب

١١-١٢-نيسان ٢٠٢١

المحتويات

الموضوع	الصفحة
اللغة العربية	
محاذير تطبيق المنهج النفسيّ على النص الشعريّ القديم ؛ شعر المعتمد بن عباد أنموذجًا الدكتور هشام محمد عبدالعزيز السيد الجامعة الإسلامية / كلية الدراسات الإسلامية - منيسوتا	١١٣٨-١١٤٧
إضاءات لغوية ولمسات بيانية في ضوء قراءات نصيّة الدكتور عاصم زاهي مفلح العطروز الجامعة الإسلامية / كلية الدراسات الإسلامية - منيسوتا	١١٤٨-١١٦٧
مقال سحر البيان للمنفلوطي (دراسة تداولية) الأستاذ الدكتور محمد محمود أبو علي كلية الآداب / دمنهور	١١٦٨-١١٩١
عودة الضمير إلي البعيد في التراكيب اللغوية، قراءة في القصد النفسي الدكتور حمدي علي بدوي أحمد راشد جامعة سوهاج / كلية الآداب	١١٩٢-١٢١١
تحولات الشعرية العربية و اتجاهات التفاعل المجتمعي ـ قراءة سيكوثقافية المدرس الدكتور: هدى عطية عبد الغفار جامعة جامعة عين شمس / كلية الآداب	١٢١٢-١٢٣٥
قصيدة الومضة في الأدب الأردني بين النظرية والتطبيق " كمائن الغياب " للشاعر علاء الدين غرايبة أنموذجاً الباحث: عبد الله محمد الربيع جامعة جرش / الأردن	١٢٣٦-١٢٤٨
مصطلح العدول بين التعددية والإشكالية في المنهج الأسلوبي الدكتور إيمان محمد عبد المعطي أبو سمرة الجامعة الإسلامية / كلية الدراسات الإسلامية - منيسوتا	١٢٤٩-١٢٦٦
اللسانيات الاجتماعية ومقارباتها التداولية الأستاذ الدكتور أزهار علي ياسين الأستاذ المساعد الدكتور كفاية مذكور شلش جامعة البصرة/ كلية الآداب	١٢٦٧-١٢٧٨
النص الموازي في ديوان قالت الوردة لـ عثمان لوصيف الأستاذ الدكتور رضا عامر المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف / ميلة (الجزائر)	١٢٧٩-١٢٩٤
التاريخ	
شط العرب في العصور القديمة (النشأة والتاريخ) الأستاذ الدكتور عادل هاشم علي جامعة البصرة/ كلية الآداب	١٢٩٥-١٣٠١
أهمية النفط في الرؤية الأوربية لأمن منطقة الخليج العربي (١٩٧١-١٩٨١) الأستاذ المساعد الدكتور فراقد داود سلمان الشلال مركز دراسات البصرة والخليج العربي	١٣٠٢-١٣١٣
اثر السيد جمال الدين الافغاني في توطيد الصلات الفكرية و العلمية بين النجف الاشرف ومصر الأستاذ المساعد الدكتور: صباح كريم رباح الفتلاوي جامعة الكوفة/ كلية العلوم السياسية	١٣١٤-١٣٤٣

محاذير تطبيق المنهج النفسيّ على النص الشعريّ القديم ؛ شعر المعتمد بن عباد أنموذجاً

الدكتور : **هشام محمد عبدالعزيز السيد**

الجامعة الإسلامية / كلية الدراسات الإسلامية - منيسوتا

الملخص:-

يعد المنهج النفسي أحد المناهج النقدية الحديثة التي تسعى لقراءة النص من خلال نفسية المبدع ولا وعيه . وقد اشتجر الخلاف بين الباحثين حول صلاحية هذا المنهج للتطبيق على النصوص القديمة ؛ نظرًا لقلة ما نعرفه عن حياة الأدباء القدامى وطبيعة نفوسهم وشخوصهم؛ ما يجعل الأمر محفوفًا بمخاطر كثيرة . وقد تناول الباحث بعض هذه المخاطر من خلال مناقشة إحدى الدراسات التي قاربت شعر "المعتمد بن عباد" مقاربة نفسية ؛ مظهرًا بعض أوجه الغلو التي بدت على المستويين النظري والتطبيقي . ومع هذا فإن الباحث يرى ضرورة الإفادة من المنهج النفسي وعدم الانصراف عنه جُمْلة ، شريطة أنْ يتسم التطبيق بالاعتدال والبعد عن الشطط والمبالغة .

المقدمة:-

المحور الأول : تعريف بالمنهج النفسي في النقد الأدبي :

يعد المنهجُ النفسيُ في النقد الأدبيّ أحد المناهج الحديثة الذي يُعنَى أصحابُه بتحليل شخصية المبدع من خلال إبداعه ، و قراءة نفسيته في ضوء فنه ، وكشف المكنون في عقله الباطن أو ما يسمى باللاشعور ، متسلحين بنظريات علم التحليل النفسي التي بدأت مع فرويد وتطورت على أيدي تلاميذه ومَنْ تلاهم على هذا الطريق .

وقد نشب خلاف حاد بين النقاد[أ] حول جدوى تطبيق النظريات العلمية التي خرجت من مختبرات الطب النفسانيّ أو إن شئت قل الافتراضات القائمة على الحدس والتخمين ، ولم ترق إلى درجة الحقائق المسلمة . نشب الخلافُ حول جدوى تطبيقها على النصوص الأدبية التي تعتمد في المقام الأول على اللغة وتشكلاتها الجمالية .

المحور الثاني : أبرز ما وجه إليه من انتقادات :

هذا ؛ وبعد ظهور الدراسات التطبيقية في هذا الميدان ، صُوبت إليها انتقادات كثيرة[ب] تجاوزت النتائجَ التطبيقيةَ إلى المقدمات النظرية التي اتكأت عليها . أعني أنها اتخذت من تلكَ النتائجِ دليلاً ما ارتأته من خلل في أسس نظرية التحليل النفسي عينها.

ومن أبرز الانتقادات التي وجهت إلى هذا المنهج وتطبيقاته على النص الأدبي :

1 - الدخول إلى النص الأدبي بمصطلحات مُعدة سلفًا ومحاولة انتزاع ما يؤيدها من نصوص المبدع انتزاعًا ما يعني فرضَ قراءةٍ مسبقةٍ ينجمُ عنها في أحايين كثيرة لَيُّ أعناقِ النصوص والغلوُ في تأويلها .

2 – إذا كانت النظرية تهتم بحياة المبدع وصفاته الشخصية وأخباره بل يصل الأمر أحيانًا إلى محاولة الولوج إلى مكنون أسراره ؛ لتستعين بكل أولئك على تفسير إبداعه . فكيف يمكن تطبيقُ ذلك على النصوص القديمة التي نجهلُ تفاصيل حياة مبدعيها على هذا النحو المطلوب . وكتبُ التراجمِ لا تعطيك شيئًا ذا بال في هذا المضمار .

المحور الثالث : نَموذج لتجليات هذي الانتقادات في إحدى الدراسات التطبيقية التي قاربت شعرَ المعتمدِ بنِ عباد :

وسنتوقف مع إحدى الدراسات التي قاربت شعر "المعتمد بن عبّاد الأندلسيّ ت 488هـ"[ت] في ضوء التحليل النفسي[ث] ، ارتأيناها شاهدًا واضحًا على تلك الانتقادات .

وسنناقش بعض ما توصلت إليه من نتائج كان منها ما يلي[ج]:

- كان المعتمد شخصًا غير سوي لديه ميول مثلية .
- يعاني من عقدة التخلي إذ كان يشعر بأنه مهمل وليس موضع تقدير من الآخرين .
- يتميز بالانشغال بذاته وعدم القدرة على إقامة علاقات إنسانية مع الآخرين . إلى نتائج أخرى في الإطار عينه .

ونجزأ هنا ببعض النماذج من تلك الدراسة للدلالة على ما نراه في تلك النتائج من سَرَف وغلو .

النموذج الأول :

أورد صاحب الدراسة بعض غزليات المعتمد وفيها يصف نفسه بالشحوب والضعف ونحول الجسم وغيرها من الصفات الدالة على المرض استعطافًا للمحبوب وإثباتًا لصدق حبه . ليَعُدَّ ذلك دلالة على كون المعتمد يعاني من قهر شديد تطور إلى عقدة التخلي[ح] التي أشرنا إليها قبل قليل .

والحق أننا إذا نظرنا إلى معجم الشعر الغزلي من الجاهلية وحتى العصر الحديث ، لألفينا لتلك الألفاظ و الصفات حضورًا طاغيًا . ومن ذلك :

قول المُنخَّل اليشكريّ[خ] :

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الفَتَا ةِ الخِدْرَ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ
فَدَنَتْ وَقَالَتْ يَا مُنَ خَّلُ مَا بِجِسْمِكَ مِنْ حَرُورِ
مَا شَفَّ جِسْمِي غَيْرُ حُ بِّكِ فَاهْدَئِي عَنِّي وَسِيرِي

وقول الأحْوَص[د] :

إذا قُلتُ إنّي مُشتَفٍ بِلِقائِها وَحُمَّ التَلاقي بَيننا زادَني سُقْما

وقول العَرْجيّ[ذ] :

إنّي امْرُؤٌ لَجّ بي حُبٌّ فأَحْرَضَنِي حَتَّى بَلِيتُ وحَتّى شَفَّني السَّقَمُ

وقول العباس بن الأحنف[ر] :

مازالَ حُبُّكِ في فُؤادي سَاكِنًا وَلَهُ بِزَيدِ تَنَفُّسي تَرديدُ
حَتّى بَرى جِسمي هَواكِ فَما تُرى إلاّ عِظامٌ يُبَّسٌ وَجُلودُ

وقول أبي نواس[ز] :

بلِّغوا ما أَقولُ مَن لا أُسَمّي رُبَّ قَولٍ تُشفى بِهِ الأَسقامُ

وكذا يقول ابن المعتز[س] :

أَلا تَسأَلونَ اللَهَ بُرءَ مُتَيَّمٍ تَمَكَّنَ مِنهُ السُّقمُ في اللَحمِ وَالدَمِ

وابن زيدون[ش] :

وَفيمَ أَنِفتَ مِن تَعليلِ صَبٍّ صَحيحِ الوُدِّ ذي جِسمٍ عَليلِ

وقول البارودي في العصر الحديث[ص] :

قَالَتْ أَرَاكَ عَلِيلَ الْجِسْمِ قُلْتُ لَهَا مَنْ شَفَّهُ الْحُبُّ أَبْلَى جِسْمَهُ السَّقَمُ

وكان الشعراء بهذا الصنيع محققين مذهب العرب في النسيب أعني ما ذكره ابن رشيق القيرواني ت456هـ نقلاً عن بعض النقاد من كون " العادة عند العرب أنّ الشاعر هو المُتَغَزِّل المُتَمَاوِت "[ض] . يعني أن الشاعر في فن النسيب لابد أن يبالغ في إظهار ما اعتراه من سُقم وهزال ؛ أثرًا للشوق ولوعته ، وتأكيدًا على صدق محبته .

ونخلص من هذا إلى أن المعتمدَ بنَ عباد لم يكن بدعًا من الشعراء الغزلين في هذا النحو الذي نحاه ، وأن ذلك لم يكن نتاجَ عقد نفسية أو اضطرابات عُصابيّة ، كما ذكر صاحب الدراسة .

النموذج الثاني :

ذكر أنَّ المعتمد كان دائم القلق ، " يعيش تعيسًا مهمومًا بهموم غامضة ... ومهما يجتهد في تفسير حاله هذه فإنه لا يجد أمامه إلا الهروب والغياب عن الوجود . ومن هنا يرتمي في عالم الغياب قائلاً

بالعقل تزدحم الهموم على الحشا فالعقل عندي أنْ تزول عقول

فكأنما يعبر عن تلك المعاناة الجذرية للشروط الأساسية التي يرتكز عليها الوجود البشرى, ذلك الوجود الذي يقوم أصلاً على خلفية من العدم. وهذه الخلفية العدمية نغصت عليه إقباله على الحياة لولا أنها سرعان ما تتحول إلى حافز من حوافز الإقبال عليها :

علل فؤادك قد أبلّ علـــيل واغنم حياتك فالبقاء قلـــيل

لو أنَّ عمرك ألف عام كامل ما كان حقاً أنْ يقال : طويل "[ط].

وهذا الكلام نناقشه من وجهين :

الأول : أنَّ هذا البيت :

بالعقل تزدحم الهموم على الحشا فالعقل عندي أنْ تزول عقول

لا علاقة له بقراءة المؤلف التي تتحدث عن المعاناة الجذرية والوجود البشرى القائم على خلفية من العدم . ولا أدرى لماذا يحاول المؤلف الذهاب بعيدًا في التأويل مع كون المعنى قريبًا واضحًا!

فالمعتمد يشير إلى المسؤولية الكبيرة التي يشعر بها العقلاء وأصحاب الفهم ، بخلاف الجهلاء أو المجانين ؛ فهؤلاء في راحة ونعيم من الهموم التي يشعر بها العقلاء متفكرين في مآلاتها.

وهو معنى مطروق متداول عند عدد غير قليل من الشعراء دون أن يكونوا مصابين بـ"العُصَاب"[ظ] أو غيره من العقد النفسية ، ومن ذلك بيت المتنبيّ الشهير الذي أضحى مثلاً :

ذو العَقلِ يَشقى في النَعيمِ بِعَقلِهِ وَأَخو الجَهالَةِ في الشَقاوَةِ يَنعَمُ

وكذا قوله :

تَصفو الحَياةُ لِجاهِلٍ أَو غافِلٍ عَمّا مَضى فيها وَما يُتَوَقَّعُ

وقول البُحْتُري ت284هـ:

أرى الحِلْم بُؤْسًا في المعيشة للفتى ولا عيش إلا ما حَبَاك به الجهل

وابن نُباتة السعديّ ت405هـ:

ما بال طعم العيش عند معاشر حلو وعند معاشر كالعـــلقم

من لي بعيش الأغبياء فإنــه لا عيش إلا عيش من لم يعلم

وابن المعتز ت 296هـ:

وحلاوة الدنيا لجاهلها ومرارة الدنيا لِمَنْ عقلا

ولآخر:

وأخو الدراية والنباهة متعب والعيش عيش الجاهل المجهول

وكل هذى الأشعار[ع] تؤول إلى أن الحياة لا تصفو للعقلاء لكثرة فكرهم في عاقبة الأمور وفطنتهم لتغير الأحوال, وإنما تصفو للجُهْل الغافلين عن عواقبها . يقول بعض شراح شعر المتنبيّ تعليقًا على بيته المشار إليه آنفًا : "

الْعَاقِل يشقى وَإِن كَانَ فِي نعْمَة لفكره فِي عَاقِبَة الْأُمُور وَعلمه بتحول الْأَحْوَال وَالْجَاهِل إِذا كَانَ فِي الشقاوة فَهُوَ ينعم لِغَفْلَتِه وَقلة تفكره فِي العواقب. وَمِنْه قَوْلهم مَا سُرّ عَاقل قطّ لِأَنَّهُ يتفكر فِي عواقب أمره ويتخوفه "[غ] . وهو ، كما نرى ، المعنى عينه الذي عناه المعتمد في بيته الفائت ، بعيدًا عن تحميل البيت فوق ما يحتمل .

الثاني : نلاحظ أن المؤلف أدار تحليله لأبيات المعتمد المذكورة في النص السالف وَفْق هذا الترتيب:

قال المعتمد : بالعقل تزدحم الهموم على الحشا ... ثم تذكر الخلفية العدمية التي قام عليها الوجود البشرى فنغصت عليه إقباله على الحياة, بيد أنها ما لبثت أن تحولت إلى حافز من حوافز الإقبال على الحياة لدى المعتمد, فقال متأثراً بتلك التجربة النفسية العميقة :

علل فؤادك قد أبلَّ عليـــل واغنم حياتك فالبقاء قليـل
لو أنَّ عمرك ألف عام كامل ما كان حقاً أنْ يقال طويل

لكن الإشكال هنا أن ترتيب الأبيات ليس كذلك, بل وردت الأبيات في الديوان بخلاف هذا الترتيب , على هذا النحو[ف] :

عَلِّل فُؤادَكَ قَد أَبَلّ عَليلُ واغنَم حَياتَكَ فَالبَقاءُ قَليلُ
لَو أَنَّ عُمرَكَ أَلفُ عامٍ كامِلٍ ما كانَ حَقا أَن يُقالَ طَويلُ
بِالعَقلِ تَزدَحِمُ الهُمومُ عَلى الحَشا فالعَقلُ عِندي أَن تَزولَ عُقولُ

فنلفي المعتمد بادئاً قصيدته بالبيتين : علل فؤادك...إلخ, ثم خاتمًا بالبيت : بالعقل تزدحم الهموم...إلخ .

وإذا بطل الترتيب الذي اتكأ عليه المؤلف في تحليله, بطل مِنْ ثَمّ التحليل المترتب عليه. ومن حقنا هنا أنْ نُسائِل المؤلف : لم أوردت الأبيات بترتيب يخالف ترتيبها الوارد في الديوان ؟ فقد فرض المؤلف على القصيدة قراءة متعسفة اضطرته اضطراراً لقلب ترتيبها على هذا النحو ليقع في خلل منهجي بَيّن.

النموذج الثالث :

ذكر صاحب الدراسة بعض أشعار المعتمد التي تطرق فيها لطيف خيال المحبوبة ، واجتماعه بها في المنام ؛ ليتخذه دليلاً ، ضمن ما ذكر من أدلة ، على عقدة الخِصَاء التي يعاني منها المعتمد على المستوى الواقعي ما جعله يلجأ إلى التعويض في الحُلْم والخيال[ق] . وذكر من أشعار المعتمد ، قوله[ك] :

إني رأيتكِ في المنام ضَجيعَتي وكأنَّ ساعِدَكِ الوثير وســـادي
وَكَأَنَّما عانَقتِني وَشكَوتِ ما أَشكوهُ مِن وَجدي وَطول سُهادي
وكأنني قبلتُ ثغرك والطَّلـى والوجنتين ونلتُ منك مُـــرَادي
وَهَواكِ لَولا أَنَّ طَيفَكِ زائِرٌ في الغِبّ لي ما ذُقتُ طَعمَ رُقادي

وقوله[ل] :

أباح لطيفي طيفُها الخَدّ والنَّهْدا فعضّ به تفاحةً واجتنـــى وردا
وألثمني ثغراً شَمَمتُ نَسيمَهُ فَخُيلَ لي أني شممتُ به نَـــدّا
سقى الله صوب القِطر أم عُبيـدة كما قد سَقتْ قلبي على حرّه بردا

وقد علق على المقطعة الأولى قائلاً[م] : " إن الأبيات تفيض بمعاني الحرمان والبعد والأرق ... وهذا ما دفعنا إلى تقدير أنه بعد نفسي لا واقعي, وهذا البعد النفسي يعبر عن العجز والخصاء المعنويّ, فالشاعر يعترف ويقر بأنه يُعَذَّب حين لا يجد مجالاً يفجر فيه طاقته لولا أنّ الأحلام تمكنه من ذلك ".

والحق أنّ هاتيك المعاني والدلالات (الطيف ، المنام ، لقاء المحبوبة في عالم الخيال والأحلام) مطروقة في الشعر العربي قديمًا وحديثًا حتى غدت طرائق وأساليب يتقيل بعضها بعضًا . ونظرًا لتلك الكثرة الكاثرة من الشعراء الذاكرين تلك المعاني ألفينا أبا حيان التوحيديّ ت 414هـ سائلاً , ضمن سؤالاته الشهيرة لابن مِسْكَويه ت 421هـ , عن هذا الأمر ؛ فيقول :" حَدِّثْني عن وَلُوع الشاعر بالطيف , وتشبيبه به , واستهتاره بذكره. وهكذا تجد أصناف الناس. وهذا معروف عند من عَبِثَتْ به الصّبابةُ , و لحِقَتْهُ الرِّقةُ , وألِفَتْ عينُه حِلْيَةَ شخص ومحاسِنَهُ , وعَلِقَ فؤادُه هواه وحبه[ن]".

ولذا كان الشريف المرتضى ت 436هـ دقيقًا حين عد الطيف وما يتعلق به بابًا قائمًا بنفسه , قد أطال الشعراء فيه وأقصروا وتصرفوا وتفننوا[هـ].

ومن الأشعار التي ورد فيها تمني وصال المحبوبة في المنام ، قول عمر بن أبي ربيعة [و] :

وَلَيْتَ سُلَيْمَى فِي الْمَنَامِ ضَجِيعَتِي لَدَى الْجَنَّةِ الْخَضْرَاءِ أَوْ فِي جَهَنَّمَ

وقول الفرزدق [ي]:

وَلَقَد رَأَيتُكِ فِي المَنامِ ضَجيعَتي وَلَثَمتُ مِن شَفَتَيكِ أَطيَبَ مَلثَمِ

وكذا قول أحد الأقْنَان [أأ]:

ولقد رأيتك في المنام كأنما عاطيتني من ريق فيكِ البــارد

وكأنَّ كفك في يدي وكأننا بتنـــا جميعًا في فراش واحد

فهذه شواهد على سبيل التمثيل ؛ للدلالة على كون الأمر ، في أغلبه ، تقليدًا فنيًّا ليس إلا. ووضعنا هذا القيد " في أغلبه " ؛ لإمكان تعلق الأمر بتجربة واقعية ، كما سيأتي معنا بعد قليل .

هذا ؛ وقد أغفل صاحب الدراسة سياق شعر المعتمد وما ورد فيه من قرائن ، ولو فعل ذلك لاستطاع قراءة الشعر قراءة متزنة دون حاجة إلى هذا التأويل البعيد. ونكتفي هنا بإيراد سياق المقطعة الثانية من شعر المعتمد ؛ لنوازن بين القراءة في ضوء السياق وبين القراءة بمعزل عنه .

يقول صاحب قلائد العِقْيَان عن المعتمد [بب]: " ولما وصل " **لُوْرَقَة** "[تت] استدعى ذا الوزارتين القائد أبا الحسن بن اليسع ليلته تلك في وقت لم يَخفَ فيه زائر من مُراقِب، ولم يبدُ فيه غير نجم ثاقب، فوصل وما للأمن إلى فؤاده وصول، وهو يتخيل أن الجو صوارم ونصول، بعد أن وصى بما خلّف، وودع من تخلف. فلما مثل بين يديه أَنَسَهُ، وأزال توجسه، وقال: خرجت من إِشْبيلِيَة وفي النفس غرام طويته بين ضلوعي، وكفكفت فيه غَرْبَ دموعي، بفتاة هي الشمس أو كالشمس إخالها، لا يَحُولُ قلبُها ولا خلْخَالُها ، وقد قلتُ في يوم وداعها، عند تفطر كبدي وانصداعها :

ولمّا التقينا للوداع غُديّــةً وقد خَفَقتْ في ساحة القصر راياتُ

بكينا دماً حتّى كأنّ عيوننا بجري الدموع الحمر منها جِراحاتُ

وقد زارتني هذه الليلة في مضجعي، وأبرأتني من توجعي، ومكنتني من رُضابها، وفتنتني بدلالها وخضابها، فقلتُ :

أباح لطيفي طيفُها الخدّ والنَّهــد فعض به تفاحة واجتنــى وردا

سقى الله صوب القطر أم عــبيدة كما قد سقت قلبي على حرّه بردا " .

ويتوضح من هذا النص أن المعتمد عبر بشعره هذا عن تجربة واقعية تتمثل في الشوق الشديد لتلك الجارية بعد أنْ بعدت الشقة بينهما , فجاء عالم الأحلام تعويضًا عن الفراق الاضطراري الذي حدث في عالم اليقظة والواقع . والمعتمد إذ يخوض تلك التجربة وبتمثلها شعرًا ، لم يكن بدعًا من المحبين والعشاق الألى هرعوا إلى الوصال الخيالي بعد أنْ أَيِسوا من الوصال الحقيقي. أي أن الأمر هنا جاء عَرَضًا في سيرة المعتمد ، وليس نتيجة "متلازمات مرضية" أو "عقد نفسية" دائمة .

هذا كل ما تشي به القراءة في ضوء السياق ، بعيدًا عن عزل النص عن سياقه ، وفرض قراءة متكلفة عليه .

وحسبنا ما ذكرنا شاهدًا على ما نريد الدلالة عليه .

المحور الرابع : موقف الباحث وكلمة ختاميّة :

نخلص مما سبق بيانه إلى أنّ كل النماذج التي اعتمد عليها صاحب الدراسة من شعر المعتمد ، لها نظائر عند غيره من الشعراء ، وأنّ طرد منهج صاحب الدراسة ينجم عنه القول بأن جُل الشعراء القدامى ، إن لم يكن كلهم ، مصابون بعقد نفسية واضطرابات سلوكية . وهو توجه غير سديد ناتج عن عدم الدقة في تطبيق النظريات الغربية على النصوص العربية القديمة .

هذا ؛ وأرجو ألا يظنّ ظانّ أننا نرفض المنهج النفسي رفضًا تامًا ؛ بل كل ما نرجوه ترشيد التطبيق ولن يتحقق هذا إلا بقراءة النصوص قراءة متأنية من وحي الثقافة النقدية التي نبتت في ظلالها ، إضافة إلى قراءتها في ضوء سياقها اللغويّ والاجتماعيّ وعدم عزلها عنه . بدلاً من الولوج إليها بتصورات سابقة ؛لاستخراجها قَسْرًا وعَنوة .

وننصح للباحثين المفتونين بالمنهج النفسي ومصطلحاته " أنْ يكونوا أكثر حذرًا وألا تغريهم ظواهر الكلام وحرفيته عن مرامي الأدباء الذين يدرسونهم حتى لا يَضِلُّوا ويُضِلُّوا . وليتبحروا وليتعمقوا في القراءة في علم النفس كما يحلو لهم ، على ألا يهملوا حاستهم النقدية أو يذهبوا فيرددوا مصطلحات ذلك العلم وكأنَّ مدلولاتها وحي لا يأتيه الباطل البتة . فما أكثر الأخطاء في كلام علماء النفس وبحوثهم ! "[ث]. كما ننصح لهم بكثرة الاطلاع على الشعر القديم والتعمق في فهمه والصبر على عناء بحثه ؛ كي يكونوا بنَجْوةٍ من سوء القراءة والتأويل .

قائمة المصادروالمراجع

- الأصمعيّات ، اختيار الأصمعي ت 216هـ ، تح : أحمد شاكر / عبدالسلام هارون ، دار المعارف القاهرة ط7 1993م .
- الإماء الشواعر, أبو الفرج الأصفهانيّ, تح : جليل العطية, دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ط1 1404هـ / 1984 م.
- التبيان في شرح الديوان (شرح ديوان المتنبيّ), ضبطه وصححه ووضع فهارسه : مصطفى السقا / إبراهيم الأبياريّ, عبد الحفيظ شلبي / مطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ وأولاده بمصر , 1355هـ 1936م .
- خصام ونقد ، طه حسين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 2014م.
- ديوان ابن زيدون ورسائله ، تح : علي عبدالعظيم ، نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة د. ط 1980م.
- ديوان ابن نُباتة السَّعْديّ, تح: عبد الأمير مهدي حبيب الطائيّ, وزارة الإعلام ببغداد -1977م.
- ديوان أبي نواس برواية الصُّوليّ ، تح : بهجت عبدالغفور الحديثيّ ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث -دار الكتب

الوطنية الإمارات العربية المتحدة ، ط1 2010م .
- ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسيّ ، تح : محمد بديع شريف ، دار المعارف مصر ط1 د . ت (رقم الإيداع مؤرخ بسنة 1977م).
- ديوان البارودي ، تح : علي الجارم / محمد شفيق معروف ، دار العودة بيروت د. ط 1998م .
- ديوان البحتري, تح : حسن كامل الصيرفي, دار المعارف القاهرة د.ت ط3.
- ديوان العباس بن الأحنف ، تح : عاتكة الخزرجيّ ، مطبعة دار الكتب المصرية ط1 1373هـ 1954م .
- ديوان العرجي (رواية أبي الفتح الشيخ عثمان بن جني المتوفى 392هـ) ، تح : خضر الطائي / رشيد العبيدي ، لشركة الإسلامية للطباعة – بغداد ط1 1375هـ 1956م .
- ديوان المعتمد بن عباد, تح : حامد عبد المجيد / أحمد أحمد بدوى, مراجعة :طه حسين, دار الكتب والوثائق القومية القاهرة ط3 1421هـ 2000م.
- شرح الواحديّ لديوان المتنبيّ ، ضبطه وشرحه : ياسين الايوبيّ / قصي الحسين ، دار الرائد العربيّ بيروت لبنان ، ط1 1419هـ 1999م .
- شرح ديوان الفرزدق, إيليا حاوي, دار الكتاب اللبناني / مكتبة المدرسة بيروت, ط1 1983 م.
- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة, محمد محيي الدين عبد الحميد, المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ط2 1380 هـ 1960م.
- شرح شعر المتنبي, ابن الإفليلي الأندلسي ت441هـ تح: مصطفى عليان, مؤسسة الرسالة بيروت ط1 1418هـ - 1998م.
- شعر الأحوص الأنصاريّ ، تح : عادل سليمان جمال ، مكتبة الخانجي القاهرة ط2 1411هـ 1990م.
- طيف الخيال, الشريف المرتضي، تح: محمد سيد كيلاني, مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ط1 1374هـ 1955م.
- العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تح : النبويّ شعلان ، مكتبة الخانجيّ القاهرة / ط1 1420هـ 2000م .
- العملية الإبداعيّة في فن التصوير ، شاكر عبدالحميد ، سلسلة عالم المعرفة الكويت ع109 يناير 1987م ،
- قلائد العِقْيان ومحاسن الأعيان ، ابن خاقان ، تح: حسين خريوش ، دار المنارة الأردن ط1 1409هـ/ 1989م .
- المعتمد بن عباد ؛ دراسة نفسية ، محمد خيط ، رسالة ماجستير جامعة الإخوة منتوري بولاية قسنطينة بجمهورية الجزائر، 2005م.
- معجم البلدان ، ياقوت الحمويّ ، دار صادر، بيروت / ط2 1995م .
- معجم مصطلحات التحليل النفسي ، جان لابلانش ، تر : مصطفى حجازيّ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ط3 1417هـ 1997م
- مناهج النقد العربي الحديث ، إبراهيم عوض ، مكتبة زهراء الشرق القاهرة ط1 1424هـ 2003م .
- النقد الأدبي عند العرب في القديم والحديث ، إبراهيم عوض ، مكتبة الشيخ أحمد - منشية الصدر القاهرة

، ط1 1436هـ 2015م .
- الهوامل والشوامل, أبو حيان التوحيدي و مسكويه, نشره: أحمد أمين / السيد أحمد صقر, الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة الذخائر رقم68.

الهوامش

[أ] يمكن التمثيل على ذلك في الوطن العربي بالخلاف الذي ثار في مطلع الأربعين من القرن السالف بين أحمد أمين ت1954م، ومحمد مندور ت 1965م . انظر : مناهج النقد الأدبي الحديث ، إبراهيم عوض ، مكتبة زهراء الشرق القاهرة ط1 1424هـ 2003م ، ص79 فصاعدًا . فقد عرض أستاذنا الدكتور إبراهيم عوض لطرف من هذا الخلاف مع موازنة بين رأي الناقدين ، وترجيح ما ارتآه مناسبًا .

أما في الغرب ؛ فإذا نظرنا إلى كيفية تلقي النقد الغربي لدراسات فرويد نفسه ، لألفينا علائم الرفض والاستهجان بادية . ويمكن التمثيل على ذلك بالانتقادات القاسية التي صُوبت إلى دراسة فرويد عن ليوناردو دافنشي ؛ فقد وصفها بعض النقدة الغربيين بالسطحية وعدم الكفاءة ، إضافة إلى التعسف والقفز إلى النتائج دون مقدمات كافية . انظر تفاصيل ذلك في : العملية الإبداعيّة في فن التصوير ، شاكر عبدالحميد ، سلسلة عالم المعرفة الكويت ع109 يناير 1987م ، ص34 – 36 .

[ب] تعد دراستا العقاد ت 1964م والنويهي ت 1980م عن " أبي نواس " من أشهر الدراسات التطبيقية التي أفادت من نظريات التحليل النفسي في فهم الشعر القديم ورسم صورة لمبدعيه من خلال نتاجهم . وقد وُجهت لتلك التجربة نقدات غير قليلة ، من أشهرها نقد طه حسين ت 1973م الذي جاء مرًّا لاذعًا ؛ إذ نراه منتقدًا على **العقاد والنُّويهي** الغلو في تطبيق المنهج النفسي على شعر أبي نُوَاس وشخصيته ، مُرتئيًا أنهما أخرجا شخصية شائهة لا علاقة لها بالنواسيّ من قريب أو بعيد، وقال إنَّ **النويهي** " التوى بقراءة الشعر عن الطريق السواء ففهمه على غير وجهه وحمل عليه من الأثقال ما لا يُطيق، وأضاع روعته وجماله، وأذهب بهجته ورُوَاءَه، وجعله أشبه بما يعرض للمحموم من الهذيان " . انظر : خصام ونقد ، طه حسين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة - 2014م ، ص231-232. وننصح بمراجعة سائر كلامه في مناقشة العقاد والنويهي ففيه فوائد كثيرة وآراء رصينة حول تطبيق المنهج النفسي على شخوص الأدباء سيما القدامى .

[ت] انظر ترجمته : الذخيرة ، ابن بسام ، ق2 مج1 ص 41 – 81 .

[ث] بيانات الدراسة :

المعتمد بن عباد ؛ دراسة نفسيّة ، محمد خيط ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب القديم ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الإخوة منتوري الجزائر ، 2004 – 2005 م .

[ج] انظر : ص 83 – 84 ، ص 92 – 94 .

[ح] انظر : ص 81 وما بعدها .

[خ] الأصمعيّات ، اختيار الأصمعي ت 216هـ ، تح : أحمد شاكر / عبدالسلام هارون ، دار المعارف القاهرة ط7 1993م ، ص60 .

[د] شعر الأحوص الأنصاريّ ، تح : عادل سليمان جمال ، مكتبة الخانجي القاهرة ط2 1411هـ 1990م ، ص 244 .

[ذ] ديوان العرجي (رواية أبي الفتح الشيخ عثمان بن جني المتوفى 392هـ) ، تح : خضر الطائي / رشيد العبيدي ، لشركة الإسلامية للطباعة – بغداد ط1 1375هـ 1956م ، ص5 .

[ر] ديوان العباس بن الأحنف ، تح : عاتكة الخزرجيّ ، مطبعة دار الكتب المصرية ط1 1373هـ 1954م ، ص105 .

[ز] ديوان أبي نواس برواية الصُّوليّ ، تح : بهجت عبدالغفور الحديثيّ ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث -دار الكتب الوطنية الإمارات العربية المتحدة ، ط1 2010م ، ص631.

[س] ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسيّ ، تح : محمد بديع شريف ، دار المعارف مصر ط1 د . ت (رقم الإيداع مؤرخ بسنة 1977م) ، ج1 ص 418.

[ش] ديوان ابن زيدون ورسائله ، تح : علي عبدالعظيم ، نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة د. ط 1980م ، ص191 .

[ص] ديوان البارودي ، تح : علي الجارم / محمد شفيق معروف ، دار العودة بيروت د. ط 1998م ، ص570 .

[ض] العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تح : النبويّ شعلان ، مكتبة الخانجيّ القاهرة / ط1 1420هـ 2000م ، ج2 ص789.

[ط] ص118 – 119 .

[ظ] العُصَاب (nevrose) : إصابة نفسية المنشأ تكون فيها الأعراض تعبيرًا رمزيًا عن صراع نفسي يستمد جذوره من التاريخ الطفلي للشخص ، ويشكل تسوية ما بين الرغبة والدفاع . وله صور وأنواع ، يمكن مراجعتها بشكل مفصل في : معجم مصطلحات التحليل النفسي ، جان لابلانش ، تر : مصطفى حجازيّ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ط3 1417هـ 1997م ، ص 329 فصاعدًا .

[ع] راجع الأشعار التي ذكرناها في :

- شرح الواحديّ لديوان المتنبيّ ، ضبطه وشرحه : ياسين الايوبيّ / قصي الحسين ، دار الرائد العربيّ بيروت لبنان ، ط1 1419هـ 1999م ، ج2 ص979 – 980 .

- التبيان في شرح الديوان (شرح ديوان المتنبي), ضبطه وصححه ووضع فهارسه : مصطفى السقا / إبراهيم الأبياريّ, عبد الحفيظ شلبي / مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده بمصر , 1355هـ 1936م ، جـ4 ص124.

- ديوان ابن نُباتة السَّعديّ, تح: عبد الأمير مهدي حبيب الطائي, وزارة الإعلام ببغداد 1977م,ص351.

- ديوان البحتري, تح : حسن كامل الصيرفي, دار المعارف القاهرة د.ت ط3, ص1616.

انظر : شرح شعر المتنبي, ابن الإفليلي الأندلسيّ ت441هـ تح: مصطفى عليان, السفر الثاني مؤسسة الرسالة بيروت ط1 1418هـ - 1998م, جـ4 ص8.

[غ] شرح الواحديّ لديوان المتنبيّ ، ج2 ص979 - 981 / التبيان في شرح الديوان ج4 ص124 .

[ف] ديوان المعتمد بن عباد, تح : حامد عبد المجيد / أحمد أحمد بدوى, مراجعة :طه حسين, دار الكتب والوثائق القومية القاهرة ط3 1421هـ 2000م ، ص25 .

[ق] انظر : ص 90 – 93 . ويعني صاحب الدراسة بعقدة الخصاء معناها المجازي الذي يتلخص في الصعوبة التي يعانيها الفرد في تحقيق ذاته بصورة مستقلة . إضافة إلى العجز عن تحقيق كثير مما يريد في الواقع المعيش ؛ وعدّ من ذلك إخفاقه في تحقيق ما يريد من المرأة ؛ ما جعله يهرب إلى عالم الأحلام ؛ تعويضًا عن هذا الكبت . وهذا ما أثبتنا عدم صحته فيما ناقشناه في متن الورقة . انظر : ص 64 فصاعدًا / ص151 .

[ك] الديوان ، ص 9 .

[ل] الديوان ، ص7 .

[م] ص91 .

[ن] **الهوامل والشوامل**, أبو حيان التوحيديّ و مسكويه, نشره: أحمد أمين / السيد أحمد صقر, الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة الذخائر رقم68 (مصورة عن طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ط1 1951م) , ص306.

[هـ] **انظركتابه : طيف الخيال**, تح: محمد سيد كيلاني, مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ط1 1374هـ 1955م, ص13 – 14.

[و] **شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة**, محمد محيي الدين عبد الحميد, المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ط2 1380 هـ 1960م , ص 501.

[ي] **شرح ديوان الفرزدق**, إيليا حاوي, دار الكتاب اللبناني / مكتبة المدرسة بيروت, ط1 1983 م, ج2 ص443.

[أأ] **الإماء الشواعر**, أبو الفرج الأصفهاني, تح : جليل العطية, دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ط1 1404هـ / 1984 م, ص 193 – 194. والأقنان : واحدها قِنّ ، وهو العبد .

[ب ب] **قلائد العقيان**, ابن خاقان, تح: حسين خريوش ، دار المنارة الأردن ط1 1409هـ/ 1989م ، ص64 – 65 .

[ت ت] ويقال لرقة، بسكون الراء بغير واو. وهي مدينة بالأندلس من أعمال تُدْمِير شرقي قرطبة . انظر : **معجم البلدان** ج5 ص25.

[ث ث] **النقد الأدبي عند العرب في القديم والحديث** ، إبراهيم عوض ، مكتبة الشيخ أحمد منشية الصدر القاهرة ، ط1 1436هـ 2015م .ص230.

إضاءات لغوية ولمسات بيانية في ضوء قراءات نصيّة

الدكتور : **عاصم زاهي مفلح العطروز**
الجامعة الإسلامية/ الجامعة الامريكية_ منيسوتا

الملخص:-

موضوع هذه الدراسة هو (**إضاءات لغوية ولمسات بيانية في ضوء قراءات نصيّة**). ولقد جاءت في مقدمة ومبحثين وخاتمة.

فأما المبحث الأول فإنني خصصته لدراسة بعض القضايا اللغوية التي تعددت فيها الأقوال، وتشعبت الآراء، وتباينت الأفكار، فجاء عنوانه: وقفات لغوية. وخصصت المبحث الثاني للوقفات البيانية. فعرضتُ في كل هذه الوقفات كل ما كنت أعرفه مما قاله النحاة، واشتملت عليه المصادر، وختمتُ القول فيهم بما أعتقده وأراه.

المقدمة:-

إن العمل الأدبي -شعراً كان أم نثراً- هو روضة غنّاء أو غادة حسناء، وإن من يدرس البلاغة على غير هذا كمن يغمض عينيه عن كل مظاهر الروعة والبراعة والبهاء، فلا يهمه من الغانية أو الزهرة سوى معرفة اسم هذه أو نوع تلك، فيأتي الهدف من دراسته قصراً على معرفة نوع البيان؛ من التشبيه، أو الاستعارة، أو الكناية، أو لون البديع في هذا المثال أو ذاك، دون النظر والتأمل في بديع ألوانها وتناسق أجزائها، فاستجلاء هذا الرواء، وشم ذياك العبير

وإن عدم إيلاء بعض الدارسين للحالة النفسية للأديب والشاعر وما تستحقه من عناية وتستأهله من اهتمام جعلهم لا يلتفتون إلى انتقاء الشاعر أو الأديب لألفاظه؟! فصار سواء عندهم قوله: (ظعنتْ)، وقوله: (رحلتْ)، وقوله: (بانتْ)؟!. مع أن لكل لفظ من هذه الألفاظ معنى ودلالة تختلف عن الأخرى؛ فالشاعر ينتقي منها ما وافق حالته النفسية.

على هذا النهج ستكون هذه الدراسة. ولستُ أرى موضوعاً للبحث، ولا قضية للدرس، هما أدفع للجدّ وأحفز للهمة، وأبعث على التشويق، وأثور للفضول من موضوع تعددت فيه الأقوال، وتشعبت المذاهب، وقضية تباينت فيها الأفكار؛ فكانت مضنّة لتباين الآراء، وعلة من علل الخلاف. وموضوع هذا المبحث واحد من هذه الموضوعات، وقضية من هذه القضايا، وهو الوقوف على بعض القضايا اللغوية والبيانية التي تعددت فيها الأقوال والآراء.

فأما وقد كان عنوان هذه الدراسة هو إضاءات لغوية ولمسات بيانية في ضوء قراءات نصيّة، فقد رأيت أن تكون هذه الدراسة على النحو الآتي:

المبحث الأول: إضاءات لغوية:

- **الإضاءة الأولى:**

وسنخصص هذه الوقفة لدراسة (الهاء) التي تُلحق بأواخر الكلم، اسماً كان أم فعلاً أم حرفاً.

ونمهد لهذه الهاء بقولنا: إنها حرف ساكن ، يؤتى بها للوقف، ولبيان الحركة أو الحرف قبلها. وتُعرف بهاء السكت، أو هاء الوقف، أو هاء الاستراحة. ومثال بيانها للحرف إلحاقها بالأسماء المندوبة؛ نحو: وامعتصماه.

لبيان أن الألف قبلها هي ألف الندبة، وليست الألف التي تُلحق لإثبات تنوين الفتح في آخر الاسم المتمكن.

أما إلحاقها بالأسماء للوقف وبيان الحركة، فإن أكثر ما يستلزمها من الأسماء تلك المضافة إلى ضمير الملك: (الياء)؛ نحو: غلامي. والمعروفة أيضا بياء المتكلم.

ومعلوم بأن هذه (الياء) يجوز فيها التسكين، أو الفتح . فإذا سكّنتها فقلتَ في الوقوف عليها: هذا غلامي. جاز، ولم تكن في حاجة إلى إلحاق هذه الهاء.

وإذا أردت الوقوف وبيان الحركة، لزمك إلحاق هذه الهاء؛ إذ لا يجوز الوقوف إلا على ساكن. فتقول: هذا غلاميَهْ.

ومنه قول المؤمن: "هاؤم اقرأوا كتابيَهْ" " إنّي ظننت إنّي ملاق حسابيَهْ". وقول الكافر: "ما أغنى عني ماليَهْ" "هلكَ عني سلطانيَهْ".

ومن الأسماء التي تُلحق بها هذه الهاء أيضا : الأسماء المثناة، والأسماء المجموعة جمع مذكر سالماً.

ومعلوم بأن هذه الأسماء تنتهي بأصوات المدّ: الألف أو الياء في الأسماء المثناة، والواو أو الياء في الأسماء المجموعة جمع مذكر سالما، يلي صوت المد (نون) مكسورة في الأسماء المثناة، مفتوحة في الأسماء المجموعة جمع مذكر سالما.

فإذا أردت الوقوف عليها، وبيان الكسرة ، أو الفتحة، ألحقت بالاسم هذه (الهاء)، فقلتَ نحو: هذان زيداً هما ضاربانِهْ، و : هم ضاربونَهْ. وثبوت النون قبلها يمنع التباس هذه الهاء بالهاء التي هي ضمير الغيبة المضاف إليه. إذ في الإضافة يجب حذف النون، وقول: هما ضارباه، و: هم ضاربوه.

ومن الأسماء التي تُلحق بها هذه (الهاء) كذلك، الضمائر المنفصلة؛ نحو : هو ، و هي. ومعلوم بأن كليهما مبنيٌ على الفتح . فإذا أردت الوقوف على أيّهما فأنت بالخيار، فإمّا أن تمدّ ضمة الهاء في (هو)، فتصير واواً ، فتقول: هُوْ . وتمدّ كسرة الهاء في (هي)، فتصير ياء، فتقول: هِيْ .

وإما أن تُلحق هذه الهاء ، فتحقق غرضين؛ هما: إظهار حركة البناء (الفتحة)، والوقوف على ساكن ، فتقول: (هُوَهْ)، و: (هِيَهْ). نحو قوله جلّ شأنه: " وما أدراك ما هِيَهْ" . ومنها أيضا الضمائر المتصلة؛ نحو كاف الخطاب. ونحوه أن تسأل أحداً: ما رأيك؟. فإذا سكّنتَ الكاف ، جاز، ولم يلزمك إلحاق هذه الهاء.

وإذا أردت الوقوف وإظهار الفتحة؛ لبيان أنك تخاطب رجلاً، أو إظهار الكسرة، لبيان أنك تخاطب امرأة، ألحقت هذه الهاء، فقلتَ: ما رأيكَهْ؟، و: ما رأيكِهْ .

ومنها كذلك ضميرا الإناث المختومان بالنون المشددة: (أنتُنَّ) للمخاطبات، و (هُنَّ) للغائبات.

فإذا أردت الوقوف على أيّهما، وبيان حركة النون المشددة، ألحقت هذه الهاء. ونحوه ما قفّى به الشاعر إبراهيم طوقان قصيدته (الحمائم البيضاء)؛ حيث قال:

بيض الحمائم حسبهنَّهْ أنّي أردد سجعهنَّهْ
رمز السلامة والوداعة منذ بدء الخلق هُنَّهْ

ومنها بعض الظروف؛ نحو: أين، وثَم. فإذا أردت الوقوف على أيهما وبيان حركة بنائه (الفتحة)، قلتَ: أينَهْ و ثَمَّهْ.

وإن أكثر الأفعال التي تستلزم إلحاق هذه الهاء بها إذا أردت الوقوف عليها وبيان حركة بنائها ، تلك الأفعال التي هي على حرف واحد. وهي الأفعال المعتلة الطرفين ، التي تُعرف باللفيف المفروق.

وهذه الأفعال إذا بنيتها للأمر ، أو كانت مضارعة فأدخلت عليها أحد أحرف الجزم ، حذفتَ حرفيّ العلة، ولم يبق إلا حرف واحد هو الحرف الصحيح (الأوسط) ، أو ما يُعرف بعين الفعل. فتبنيه على الكسر. فتقول في نحو: وشى (شِ) . وفي وعى: (عِ)، وفي وفى: (فِ)، وفي وقى: (قِ)... كما تقول: لا تشِ ، ولم تعِ ...

فإذا أردت الوقوف عليها وبيان (الكسرة) علامة بنائها، ألحقت هذه الهاء. فتقول: شِهْ ، عِهْ، فِهْ ، قهْ ... كما تقول: لا تَشِهْ ، لم تَعِهْ ...

ومنها كذلك الأفعال المعتلة الآخر. وهذه تنتهي بألف منقلبة عن واو أو ياء؛ بمعنى أن أصلها واو أو ياء. فإذا كان أصلها واواً كُتبتْ ألفا منتصبة أو قائمة؛ نحو: دعا. وإذا كان أصلها ياء كُتبت ألفا مقصورة؛ نحو: رمى .

وتستطيع معرفة أصل الألف أ واو هي أم ياء، بتحويل الفعل إلى المضارع ، أو بالإتيان بمصدره. فالمضارع من دعا (يدعو)، ومن رمى (يرمي). ومصدر سعى (سعيٌ).

وهذه الأفعال إذا بنيتها للأمر ، أو كانت مضارعة فأدخلت عليها أحد أحرف الجزم، حذفتَ حرف العلة، فقلتَ في نحو (سعى): اسْعَ ، ولم تسعَ. وفي رمى: ارْمِ ، و : لم يرمِ. وفي نحو: دنا: ادْنُ، و: لم يدْنُ...

فإذا أردت الوقوف على أحد هذه الأفعال وبيان حركة بنائه، ألحقت هذه (الهاء) . فحققتَ شرط الوقوف على ساكن، وبيّنت ببيان الحركة أصل الحرف المحذوف. فإذا كان الفعل مما ينتهي بالألف ماضياً ومضارعا، حذفت الألف، وفتحت ما قبلها دلالة عليها؛ إذ (الألف) فتحة طويلة، والفتحة ألف قصيرة. فتقول في نحو: سعى يسعى، و: رعى يرعى: اسعَهْ و: لم تسعَهْ. ونحوه قوله تعالى في خطابه عزيراً : ((وانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّهْ. واصل (يتسنّهْ) : يتسنّى ؛ بمعنى: يتغيّر. فحذف حرف العلة للجزم، وفتح النون المشددة قبل هذه الهاء، فدلّ بالفتحة على أن المحذوف ألف .

وإذا كان أصل الألف واواً ؛ نحو: دعا يدعو، و: دنا يدنو . قلت : ادعُهْ، و: ادنُهْ. ولم تدعُهْ، ولم تدنُهْ. فدللت بالضمة على ما قبل الهاء على أن المحذوف واو . إذ الواو ضمة طويلة، والضمة واو قصيرة.

وإذا كان أصل الألف ياء؛ نحو: رمى يرمي، بنى يبني. قلت في الوقوف عليه: ارمِهْ، و: لا ترمِهْ . و: ابنِهْ، و: لم يبنِهْ. فدللت بالكسرة على ما قبل الهاء على أن المحذوف ياء . إذ الياء كسرة طويلة، والكسرة ياء قصيرة. ونحوه قوله جلّ شأنه: ((فبهداهم اقتدِهْ)). وهو من الفعل (اقتدى) (يقتدي)، وبني للأمر، فحذف حرف العلة (الياء) ، وألحقت هذه الهاء للوقف. وببيان الكسرة على الحرف الذي قبلها دُل على أن المحذوف ياء .

ومنها كذلك الأفعال المؤكدة بنون التوكيد. فإذا أردت الوقوف عليها وبيان حركة النون ، ألحقت هذه (الهاء)، فقلت في نحو : اعلمَنَّ: اعلمنَّهْ.

وإن حركة الحرف الذي قبل النون تدل على المخاطب. فإذا كان مفردا مذكرا فتحته، فقلت: اعلمنَّهْ. وإذا كانت المخاطبة أنثى كسرته، فقلت: اعلمِنَّهْ. وإذا كان مسندا إلى واو الجماعة، حذفت الواو وضممت هذا الحرف، فتقول: اعلمُنَّهْ.

ومنها كذلك (هَلُمَّ) بمعنى: أقبِلْ. فإذا أردت الوقوف عليه وبيان حركة الميم المشددة، ألحقت هذه الهاء، فقلت: هلُمَّهْ.

أما الحروف التي تلحق بها هذه الهاء، فإن أشهرها (إنّ) حرف الجواب الذي هو بمعنى: أجَلْ، أو : نعم . فتقول في الوقوف عليه : إنّهْ. وأكثر قبائل العرب استعمالا له لهذا المعنى قبيلة قريش. ومنها كذلك : لَيْتَ ، و: لَعلَّ. فتقول في الوقوف على أيهما: ليتَهْ، و: لعلَّهْ [1].

- **الإضاءة الثانية:**

وقفتنا عند الفعل : (يجبُ) مثبتاً، ومنفيا: (لا يجبُ). ونقول فيه:

يخطئ بعض الدارسين في استعمال هذا الفعل، فيستعملونه استعمالا معاكساً للمعنى الذي أرادوه . فإذا أراد أحدهم –مثلاً- أن ينهى أحداً عن تأخيره الصلاة عن وقتها، فبدلا من أن يقول له: (يجب) ألا تؤخر الصلاة عن وقتها. تسمعه يقول: (لا يجب) أن تؤخر الصلاة عن وقتها.

وإذا أراد آخر أن يحذر غيره من قطع الشارع والإشارة حمراء. فبدل أن يقول له: (يجب) ألّا تقطع الشارع والإشارة حمراء. تسمعه يقول: (لا يجب) أن تقطع الشارع والإشارة حمراء.

وإذا أراد ثالث أن ينصح أحدا بعدم تأخير عمل اليوم إلى الغد. فبدلا من أن يقول له: (يجب) ألّا تؤخر عمل اليوم إلى الغد. تسمعه يقول: (لا يجب) أن تؤخر عمل اليوم إلى الغد، وهكذا. فإذا أردتَ أن يكون استعمالك لهذا الفعل استعمالا صحيحا سليما، فاعلم أن قولك: (لا يجب)، هو عين قولك: (يجوز). فأنت إذا قلت : (لا يجب)، فكأنك قلت: (يجوز).

والآن فلنعد إلى الأقوال السابقة التي قيل فيها: (لا يجب)، ولنضع موضعها: (يجوز)، ثم لننظر ولنتأمل، هل يصح الكلام ويستقيم، أم إنه ينقلب إلى عكسه؟.فهل يصح أن تقول: (يجوز) أن تؤخر الصلاة عن وقتها؟. وهل يصح أن تقول: (يجوز) أن تقطع الشارع والإشارة حمراء؟. وهل يصح أن تقول: (يجوز) أن تؤجل عمل إلى الغد؟.إنك حتما ستقول: إن قول: (لا يجب) في مثل هذه الأحوال غير صحيح، وأنه عكس المراد. خلاصة القول إذا قلت: (لا يجب)، فكأنك قلت: (يجوز). فانظر في قولك إذا قلت: (لا يجب). أيصح أن تضع موضعها كلمة : (يجوز)؟ فإن صحّ فاعلم أن استعمالك لها صحيح سليم ، وإلا فلا[2].

- الإضاءة الثالثة:

وسنخصص هذه الوقفة للحديث عن خطأ شائع في استعمال مفهوم: (التواجد) و: (أن يتواجد، أو يتواجدوا).و نقول فيها:

اعلم أن (التواجد) معناه: إظهار (الوجد)؛ وهو : الحب الشديد. وعليه فإن قولهم: (أن يتواجدوا)، معناه: أن يظهروا ما بهم من حب شديد. وماذا يصنع من يريد أن يظهر ما به من حبّ شديد، غير أن يعانق حبيبه، ويمضي في ضمّه وشمّه وتقبيله؟.

هذا هو معنى (التواجد) و (أن يتواجدوا).

ولكن كم سمعنا أحدهم يقول، مثلا: غدا ستقام صلاة للاستسقاء، فعلى من يريد المشاركة فيها (التواجد) في ساحة الملعب البلدي، بعد صلاة العصر.

وآخر يقول: وصلت الأضاحي، فعلى من يحملون بطاقة معونة وطنية (أن يتواجدوا) في مكان كذا، ليأخذ كل منهم حصته.

وثالثا يقول: على طلبة الكشافة (التواجد) في ساحة المدرسة غدا صباحا، قبل قرع الجرس، وبلباسهم الرسمي.

ويتضح من هذه الأقوال ونحوها أن المراد والمقصود بقولهم: (التواجد) و(أن يتواجدوا)، هو (الحضور). وقد بيّنتُ معنى (التواجد)؛ وبه فإن المعنى الذي قصدوه وأرادوه لا يمت إليه بأية صلة قريبة ولا بعيدة. وعليه فإن استعمالهم هذين اللفظين لمعنى (الحضور) خطأ.

فهلّا قالوا، مثلا: فعلى المشاركين ، أو فعلى من يرغب، (الحضور)، أو: (أن يحضر، أو يحضروا)، أو (أن يأتوا) إلى مكان كذا، أو : (أن يكونوا)، أو : (أن يتجمعوا) في مكان كذا...؟.

إن هذه ونحوها أصح وأقوم قيلا من قولهم : (التواجد)، و :(أن يتواجدوا)[3].

- الإضاءة الرابعة:

وسنتوقف في هذه الدراسة عند الجذر اللغوي (ب د ل). ونقول فيه:

اعلم أن العرب لم يستعملوا الفعل الماضي المجرّد: (بَدَلَ) من هذا الجذر اللغوي. وإنما استعملوا مزيداته؛ نحو: أبدل، بدّلَ، تبدّل، استبدل... ، ومصادرها؛ نحو: إبدال، تبديل، تبدُّل، استبدال... وأسماء الفاعلين والمفعولين من مشتقاتها؛ نحو: مبدل، متبدل، مستبدل... ؛ بضم الميم وكسر الدال لأسماء الفاعلين، وبضم الميم وفتح الدال لأسماء المفعولين.

ولقد وجدتُ بعض من يستعملون هذه الأفعال ومصادرها ومشتقاتها ، يستعملونها استعمالا معكوسا، مع أن معرفته سهلة جداً. نمهد لها بقول: أنت تعلم بأنك إذا قمت بعملية إبدال ، فإن ثمة شيئين: شيئاً كان لك ثم تركته وأعطيته للطرف الآخر، وشيئا أخذته منه بدل الذي أعطيته إياه. وأنك تستعمل في الحديث عن هذه العملية حرف الجر (الباء) غالبا. وبه، فإذا أردت أن تستعمل هذه الأفعال أو مصادرها أو ما ذكرته لك من مشتقاتها استعمالا صحيحا، فما عليك إلا أن تجعل (الباء) مع (المتروك). وقدّم بعد ذلك في الكلام وأخّر كما شئت؛ ذلك لأن وجود (الباء) مع أحد الشيئين دالٌّ على أنه هو (المتروك). فهب أن جاراً لك كانت عنده بقرة، وكان عندك حصان، فعرض عليك أو عرضت عليه أن تتبادلا ، واتفقتما وتمت المبادلة. ثم إنك أردت أن تخبر أحدا بما تمّ، فقل: أبدلتُ (بالحصان) بقرةً، أو: أبدلت بقرةً (بالحصان)، أو: بقرةً أبدلتُ (بالحصان)، أو: (بالحصان) أبدلت بقرة. كل هذا صحيح ما دمت جعلتَ (الباء) مع (المتروك). وقل: (بالحصان) إذا كان مَن تخاطبه يعرفه، فإن لم يكن يعرفه، فقل: (بحصان .(فإذا أردتَ أن تستعمل المصادر بدل الأفعال، فقل: تمّ إبدال ، أو تبديل، أو استبدال هذه البقرة (بالحصان) أو (بحصان). وإذا أردت استعمال اسم المفعول، فقل: هذه البقرة مبدلة (بالحصان) أو (بحصان). ولا تقل: هذه البقرة أبدلتُ (بها) حصانا، أو مبدل (بها) حصان؛ لأنك جعلت مع (الباء) الضمير العائد إلى البقرة؛ فصارت هي (المتروكة)، فصار كلامك خطأ. فإذا عرفت هذا ، وكان عند صديق لك سيارة قديمة، وأردت أن تنصحه بإبدالها، فإنك ستقول له: أبدِلْ (بسيارتك) سيارةً أخرى، أو: أبدِلْ سيارةً أخرى (بسيارتك). ولن تقول له: أبدلْ سيارتك (بسيارةٍ)أخرى؛ لأن سيارتك هي التي ستترك.[4]

- الإضاءة الخامسة:

وقفتنا عند الفعل (تَسَلّلَ). فإذا أردنا معرفة استعماله، قلنا: إن الفعل (تسلل)، معناه: (خرج) خفيةً. ودليلنا على هذا، أن أصله المجرد (سَلَّ)، وسائر مزيداته؛ نحو: استلَّ، انْسلَّ، تسللّ... وسائر مصادرها ومشتقاتها، كلها تتضمن معنى (الخروج)، أو الإخراج، أو الاستخراج... تقول: سلَّ خالدٌ السيف. واستل سعدٌ السيفَ؛ بمعنى: أخرجه من غمده.

ولقد وجدتُ أكثرهم يخطئون في استعمال هذا الفعل؛ فيستعملونه استعمالاً معكوساً. فبدل أن يستعملوه بمعناه، وهو (الخروج)، فإنهم يستعملونه (للدخول)؟!

وقادهم هذا الخطأ إلى أن يستعملوا معه حرف الجر (إلى)، بدل (مِنْ)، الذي كان ينبغي أن يستعمل معه. فإذا أراد أحدهم أن يخبر بأن لصاً دخل بيتاً خفيةً ، قال: تسلل اللص إلى البيت. وهذا خطأ. وكان يجب أن يقال: دخل اللص البيت ، ثم تسلل منه؛ أي : خرج خفيةً.

ولنستمع ولنصغِ إلى قوله جل شأنه: "قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً " ؛ أي الذين يفارقون جماعة المسلمين ويخرجون عليها، أو الذين يقومون من مجلس رسول الله ﷺ خافضي رؤوسهم استخفاءً ومن غير استئذان.

وفي هذه الآية الكريمة، وهي قوله سبحانه وتعالى: " قد يعلم الله "، ومثله قوله تبارك وتعالى: " قد نرى تقلب وجهك في السماء"، " ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون" ، " ولقد نعلم أنهم يقولون إنّما يُعلّمه بشر"، " قد يعلم الله المعوّقين منكم" ، " قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون"...

إنّ في هذه الآيات الكريمات ونحوهن بياناً للذين يقتصر علمهم في استعمال (قد) على أنها تكون مع الفعل الماضي للتحقيق والتوكيد، ومع المضارع للتشكيك والتقليل. وإن فيها الدليل والشاهد والحجة لمن أراد استعمال (قد) مع الفعل المضارع لغرض التحقيق والتوكيد.

ولننظر جميعا في هذه الآيات ونحوهن. إنّ في كل منهن (قد) ، والأفعال بعدها كلها مضارعة.

وهل ثمة من شك معها في الفعل وحدوثه وتحققه وتحقيقه وتوكيده؟. هل ثمة من شك في علم الله أو رؤيته؟! سبحان ربنا وتعالى.

وبه ، فإذا أردت توكيد الفعل المضارع ب (قد) ؛ للفت الأنظار والأذهان، وللدلالة على التجدد والاستمرار ، فافعل ، وعداك خطأ[5].

- الإضاءة السادسة

وسنخصص هذه الوقفة لدراسة الفرق في المعنى والاستعمال بين كل من لفظي: (الابن، والولد)، أو بين لفظي: (الأولاد ، والوِلْدان)؟.

إن بين لفظي : الابن والولد اتفاقاً في المعنى والاستعمال، كما أن بينهما اختلافاً. فلفظ (ابن) مفرد مذكر. تثنّيه فتقول: ابنان. وتجمعه فتقول: أبناء أو بنون. وتؤنثه مفرداً أو مثنى أو جمعاً فتقول: ابنة أو بنت ، وابنتان أو بنتان ، وبنات.

ولفظ (الولد) مفرد مذكر كذلك . تثنّيه فتقول: وَلَدانِ. وتجمعه فتقول: أولاد ، أو وُلْد، أو وِلْد، أو إلدة، أو وِلْدة.

وكما انك تقول: هذا ابن فلان، وهذان ابناه، وهؤلاء أبناؤه أو بنوه. وهذه بنت فلان أو ابنته، وهاتان ابنتاه أو بنتاه، وهؤلاء بناته.

فكذلك تقول: هذا وَلَدُ فلان، وهذان ولداه ، وهؤلاء أولاده

ولقد أنثتَ (الابن) وثنيته وجمعته مؤنثاً على لفظه كما تبيّن. ولكنك لا تؤنث (الولد) على لفظه. وهذا أول فرق بينه وبين (الابن).

أما الفرق الثاني فهو أن لفظ (ولد) يجتمع فيه الإفراد والتثنية والجمع ، والتذكير والتأنيث. فكما أنك تقول: هذا وَلدُ فلان، وهذان ولداه، وهؤلاء أولاده . فإنه يصح كذلك أن تقول: هذا وَلَدُ فلان، وهذان وَلَدُه، وهؤلاء وَلَدُه، وهذه وَلَدُه، وهاتان وَلَدُه، وهؤلاء وَلَدُه.

وأما الفرق الثالث بينهما ، فإن لفظ (الابن) قد يستعمل كناية ؛ فأنت تخاطب أحدهم فتقول: ابنَ آدم ، ولا تقول: ولد آدم. ومنه قول : ابن السبيل ، لمن كان دأبه الأسفار . وابن الحرب، أو ابن الليل ، للشجاع من الرجال. وابن الطريق ، للصّ. كما أن بعض الحيوانات قد عرفتْ بلفظ (ابن)؛ نحو: ابن آوى ، و ابن عِرْس . ولا يستعمل لفظ الولد لذلك .

وأما الفرق الرابع بينهما ، فهو أنك تستطيع أن تقيم الجملة باستعمال لفظ (ولد) مجرداً، فتقول: هذا ولدٌ، وقابلني ولدٌ؛ تريد معنى حداثة السن . ولا تستطيع هذا في (ابن) حتى تضيفه فتقول نحو: ابن فلان

و إذا أضفت الاسم مثنىً ، أو مجموعاً جمع مذكر سالماً، وجب حذف (النون) من آخر الاسم. فتقول نحو : هذان ابنا فلان، وهاتان ابنتاه، أو بنتاه ، وهؤلاء بنوه، وهذان ولداه.

أما (الأولاد ، والوِلْدان)، فإنهما مختلفان. فالأولاد: جمع وَلَد. والولدان : جمع وليد؛ وهو الحديث الولادة. كما أن لفظ الوِلْدان قد يُطلق على العبيد، أو على الخدم من الشباب[6].

- الإضاءة السابعة

وقفتنا هذه عند ضمير المتكلمين المتصل: (نا). الأحكام المترتبة على اتصاله بالأفعال المضارعة ، وأفعال الأمر ، ونقول فيها :

إن ضمير المتكلمين المتصل: (نا) يتضمن المعنيين المتضادين: الفاعلية، والمفعولية. بمعنى أنه قد يكون ضميرا فاعلا ، وقد يكون ضميرا مفعولا. فإذا كان ضميرا فاعلا ، بني الماضي معه على السكون، نحو: (حفظنا) القصيدة . كما أن الماضي معه إذا كان مضعف الآخر ، وجب فك إدغامه، نحو: شددنا الحبل، شممنا العطر، مررنا بالمدينة.

وإذا كان ضميرا مفعولا ، بقي الماضي على حاله من البناء على الفتح ، نحو : (حفظنا) الله وإياكم (ورزقنا) جميعا من الطيبات. وإذا كان الماضي معه مضعف الآخر ، بقي على حاله من الإدغام ، نحو : نحب من (أ حبنا) ونعز من (أ عزنا) .

و إذا اتصل هذا الضمير بأي من فعلي المضارع ، والأمر ، فإنه يكون ضميرا مفعولا به دائما .

وأما عن حكم الإدغام في المضعف الآخر منهما، فإن الإدغام في المضارع المرفوع أو المنصوب واجب . وهو في كل من المضارع المجزوم ، وفعل الأمر جائز ، فإن لك أن تدغم فتقول : لا نحب من لم (يحبنا) ، أو من لم (يحببنا) ، وتقول في الأمر ، نحو : اللهم (وردنا) إلى دينك ردا جميلا، أو : (ارددنا)[7]

- الإضاءة الثامنة:

موضوع إضاءتنا هذه (قد) ونقول فيها:

اعلم أنك إذا قلت –مثلاً- : قد (لا تقام) المباراة غدًا ؛ بسبب غزارة الأمطار وتراكم الثلوج. لم يستعدّ زيد للامتحان جيدًا ؛ فقد ينجح ،وقد (لا ينجح) فقد وقعت في خطأين:

أولهما : أنك أدخلت (قد) على فعل منفيّ ، وهي لا تستعمل إلا في الإيجاب والإثبات.

وثانيهما: أنك إذا قلت : (قد لا...) ، تكون قد فصلت بِـ (لا) بين (قد) والفعل.

ولا يجوز الفصل بينها وبين الفعل بأيّما فاصل غير القَسَم ، وللضرورة. فقد تضطر إلى أن تزيد توكيد قولك ب (قد) توكيدًا آخر ، فتقول نحو: قد واللهِ وفيتُ بما كنتُ قد وعدتُ به.

ومن الخطأ أيضا تقييد الذهن بمقولة : قد ، تستعمل مع الفعل الماضي لمعنى التحقيق، أو التقريب ، ومع المضارع للتشكيك أو التقليل. بل إن (قد) كما استعملت مع الفعل الماضي للتحقيق ، فقد تستعمل مع المضارع للمعنى نفسه.

وأن استعمال حرفٍ ما في موضع حرف آخر ، قد يكون أبلغ من استعمال الحرف نفسه؛ فهو يضيف إلى القول معاني ودلالات ، لم تكن عند استعمال الحرف الأصليّ الموضوع لذلك.

ولقد جاءت (قد) مع الفعل المضارع للتحقيق في عدة مواضع في القرآن الكريم. من ذلك قوله تعالى:

﴿ قد نرى تقلّب وجهك في السماء ... ﴾.﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون ﴾ . وهل في علم الله أو رؤيته أدنى شك ؟. !

كما أنها قد تستعمل مع المضارع ؛ لتقرير حقيقةٍ وتوكيد تحقُّقها. من ذلك قول الشاعر:

قد يدرك المتأنّي بعضَ حاجته وقد يكون مع المستعجِل الزللُ

وقول الآخر:

قد يُقْتِرُ الحَولُ التقيُّ ويُكْثِرُ الحَمِقُ الأثيمُ

وهل من شك في هذا هذا أوذاك ؟. !

وإذا كان استعمال (قد) مع الفعل الماضي يظل معه المعنى مقيّدًا به ، أو شديد القرب منه.

فإن استعمالها مع المضارع لغرض التحقيق ،يجعله مطلقا من قيد الزمان ، فدالًّا على معنى الاستمرار في الأزمنة الثلاثة : ماضيها ، وحاضرها ، ومستقبلها. ولهذا المعنى وهذا الغرض استُعملت مع المضارع في القرآن الكريم ، و تستعمل في ما يراد بيان تحققه وتوكيد ذلك.

و إذا أردت استعمال (قد)، فلا تدخلها على فعل منفي؛ أي لا تأتِ بعدها بحرف نفي مطلقا؛ وذلك لسببين:

أولهما: أن (قد) مختصة بالفعل المثبت، لا المنفي

وثانيهما: أنك إذا أدخلت حرف النفي بعدها، فقد فصلت به بينها وبين الفعل. ولا يجوز الفصل بينها وبين الفعل بأيّما فاصل، إلا بالقَسَم، وللضرورة؛ نحو قولك: (قد واللهِ وفيتُ) لك بما وعدتك به. فأما ما عداه فلا يجوز.

وثانيهما: أنك إذا أدخلت حرف النفي بعدها، فقد فصلت به بينها وبين الفعل. ولا يجوز الفصل بينها وبين الفعل بأيّما فاصل، إلا بالقَسَم، وللضرورة؛ نحو قولك: (قد واللهِ وفيتُ) لك بما وعدتك به. فأما ما عداه فلا يجوز[8].

- الإضاءة التاسعة

اختلف العلماء في موضع حركة الإعراب ، أو البناء ، وعلامته ؛ أهي قبل الحرف ، أم مع الحرف ، أم بعد الحرف.

وإن في حذف حرف العلة من الفعل الناقص ، في الأمر ؛ نحو: ادعُ ، ابنِ ، اسعَ. ... وفي المضارع المجزوم ؛ نحو :لم يدعُ ، لم يبنِ ، لم يسعَ. ما يستدل به على أن موقع الحركة أو العلامة ، بعد الحرف

فمعلوم أن حرف العلة في هذه الأفعال ساكن ؛ لكونه علة كاملة ؛ أي : صوت مدّ. فأصل ادعُ: ادعوْ وأصل لم يدعُ : لم يدعوْ. وبما أن علامة البناء في : ادعُو علامة الإعراب في : لم يدعُ بعد الحرف. فكأنما الأصل ادعوْ لم يدعوْ.فالتقت سكونان: السكون التي على حرف العلة، والسكون التي هي بعد الحرف ؛ وهي علامة البناء أو الإعراب.

فحذف الساكن الذي هو حرف العلة ؛ تخفيفًا ، لالتقائه بسكون ؛ لكي لا تجتمع سكونان . وأوقعت على ما قبله حركة تناسب صوته. فضُمّ ما قبل الواو المحذوفة ؛ فقيل : ادعُ ، لم يدعُ.

وفتح ما قبل الألف المحذوفة ؛ فقيل: اسعَ ، لم يسعَ. وكسر ما قبل الياء المحذوفة ؛ فقيل:

ابنِ ، لم يبنِ.

وأرجو أن يكون في العلم أن ما قلت ليس غير اجتهاد مني ، مستندا فيه إلى ما ذكرت ، وأنه لا يعني تخطئة العلماء الذين رأوا أن موضع الحركة أو العلامة قبل الحرف ، أو معه[9].

- الإضاءة العاشرة

للإعراب نوعان من العوامل: لفظية ، و معنوية. والمراد بالعوامل اللفظية ، ما يكون فيه الإعراب؛ من: النصب، أو الجر، أو الجزم، بحرف نصب، أو جر، أو جزم. النصب في الأسماء الذي قد يكون بـ إنّ وأخواتها، أو بـ لا النافية للجنس ، أو بفعل مذكور أو محذوف. والنصب في الأفعال الذي يكون بأحرف النصب الأربعة الرئيسة: أنْ ، لن ، كي ، إذن. أو بالأحرف الفرعية: لام التعليل، لام الجحود، فاء السببية، حتى، واو المعية، أو. هذه التي تنصب بـ(أن) مضمرة وجوبا بعد بعضها ، وجوازا بعد بعضها الآخر. والجر، وهو خاص بالأسماء.

ويكون بما يعرف بـ حروف الجر. وقد جمعها ابن مالك في ألفيته، فقال :هاك حروف الجر وهي : من ، إلى، حتى، خلا، حاشا، عدا، في، عن، على، مُذ، منذ، رُبّ ، اللام، كي، واو، وتا، والكاف ، والبا ، ولعل ، ومتى، وأضاف إليها سيبويه (لولا)، حين يتصل بها ضمير؛ نحو: لولاي، لولاك، لولاه...

والجزم، وهو خاص بالفعل المضارع، ويكون بأحرف الجزم الأربعة المعروفة :لم ، لمّا، لام الأمر، لا الناهية. أو بأدوات الشرط التي تجزم فعلين، نحو: إن، ما ، مهما ... .هذه هي العوامل التي كانت موضوع إضاءتنا. وقد قلنا فيها إن الإعراب يجب أن ينسب إلى العامل، لا إلى الحركة ، التي هي أثرٌ للعامل ونتاج لعمله. فهو ما يقتضيها، وهو ما يحددها. أإذا أعربت نحو: نحن المسلمين خير أمة أخرجت للناس. أو نحو:

الاجتهادَ الاجتهادَ. أو نحو: ثيابَك والنارَ. كنت تقول في الإعراب : مفعول به منصوب بالياء ، أو بالفتحة ؟! .أم تقول : مفعول به منصوب بفعل محذوف ، وعلامة نصبه الياء ، أو الفتحة ؟.

وجوه الإعراب أربعة :

الرفع ، ويكون بعامل معنوي، كما ذكر العلماء. في هذه الحال التي لم يكن الإعراب فيها نتاجا لعامل لفظي وترتيبا عليه. أجاز العلماء قول نحو : مرفوع بالضمة ، أو بالألف ، أو بالواو ؛ إذ ليس ثمة عامل لفظي مذكور ، ترتّب عليه الرفع ، فينسب العمل اليه.

والنصب، ويكون بعامل لفظي، كما ذكرنا في إن وأخواتها، و لا النافية للجنس. أو بعامل معنوي، كما هو في : الحال، أو التمييز، أو الاستثناء... وحين يكون النصب بعامل لفظي، يجب نسبة العمل إليه ، لا إلى الحركة ولا إلى العلامة. فيقال نحو : منصوب بـ (لكنّ)، وعلامة نصبه الفتحة، أو الألف، أو الياء .وإذا كان العامل معنويا، جاز أن ينسب الإعراب إلى الحركة أو إلى العلامة. فكما أجاز العلماء قول نحو :فاعل ، أو مبتدأ... مرفوع بالضمة أو بالألف أو بالواو ، أجازوا قول نحو: حال منصوب بالفتحة... كل ذلك تجويزا؛ إذ ليس ثمة عامل لفظي مذكور يمكن أن ينسب العمل إليه .

والجر، قد يكون بعامل لفظي؛ أي بأحد حروف الجر .أو بعامل معنوي ؛ كما هو في الإضافة .فإذا كان العامل لفظيا ، وجب نسبة العمل إليه .فيقال نحو: مجرور بـ (في)، وعلامة جره الكسرة، أو الياء. وإذا كان العامل معنويا، جاز قول نحو: مجرور بالكسرة .

والجزم يكون بعامل لفظي، هو أحرف الجزم، فينسب العمل إليها، فيقال نحو: مجزوم بـ (لم)، وعلامة جزمه السكون... ومما يجدر ذكره أن العامل في التوابع عامل معنوي. فيصح قول نحو: نعت، أو معطوف، أو توكيد ، أو بدل، مرفوع بالضمة، و منصوب بالفتحة ... .

الخلاصة : إذا كان العامل في الإعراب لفظيا ، وجب إسناد العمل إليه ، لا إلى الحركة ، ولا إلى العلامة، التي هي أثر له، وترتيب عليه .

وإذا كان العامل معنويا ، جاز نسبة الإعراب إلى الحركة أو إلى العلامة ، حيث لا عامل مذكور فينسب العمل إليه [10].

- **المبحث الثاني: لمسات بيانية:**
- **الوقفة الأولى:**

وسنخصص هذا المبحث للوقوف على قبسات من الذكر الحكيم، ودراستها دراسة بلاغية فنية. وسنبدأ الدراسة عند قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها﴾؟. ونطرح سؤالا: لماذا تكرر لفظ (الأهل) ؟. فلقد ذكر (الأهل) أول مرّة، فلماذا أعاد ذكرهم؟. لماذا لم يقل: (حتى إذا أتيا قريةً استطعما أهلها)؟. أو : (حتى إذا أتيا أهل قرية استطعماهم)؟.

وجواباً عن السؤال نقول: إن من يصغي ويستمع وينصت إلى هذا النظم البديع المعجز، المتآلفة المؤتلفة ألفاظه، والمتناسقة المتّسقة معانيه. فكل اسم في مكانه، وكل فعل في محله، وكل حرف في موضعه. لا يقوم مقام اسم فيه أيّ اسم، ولا يسدّ مسدّ فعل فيه أي فعل، ولا يغني عن حرف فيه أيّ حرف. وإن مَن يقرأ فيه ولو آية ، ثم لا يؤمن بأنه كلام الله، فإنه ممن يصدق فيهم قوله سبحانه: ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضلّ﴾.

وإن من يتتبّع الأحداث التي جرت بعد لقاء موسى بالخضر، عليهما السلام، ويمضي مع سياقها، يتبيّن له بأن كل مفعول لفظاً أو معنى، ذُكر بعد: ﴿حتى إذا﴾ فقد تكرر ذكره.

والمفاعيل تبعاً للأحداث هي : (السفينة): ﴿حتى إذا ركبا في السفينة﴾. و (الغلام): ﴿حتى إذا لقيا غلاماً﴾ . و (أهل القرية): ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية﴾.

فلقد قال: ﴿ حتى إذا ركبا في السفينة خرقها﴾. ثم قال: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾. ولقد قال: ﴿حتى إذا لقيا غلاماً فقتله﴾. ثم قال: ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنيْن﴾.

وهنا قال: ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية﴾.

ولما كان كل مفعول ذُكر بعد ﴿حتى إذا﴾ قد تكرر ذكره كما تبيّن. وإذا كان ذِكر كل من (السفينة) و (الغلام) قد تكرر، مع أن كلا منهما لم يقع عليه إلّا فعل واحد. فلم يقع على (السفينة) إلا فعل الخرق. ولم يقع على (الغلام) إلا فعل القتل.

أما (أهل القرية) فإن فعلين قد وقعا عليهم، هما : فعل الإتيان: ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية﴾، وفعل الاستطعام: ﴿استطعما أهلها﴾ . فكان ذكرهم أَوْلى بالتكرار.

ولما كانت (السفينة) وخرقها، و (الغلام) وقتله، هما موضع اعتراض موسى، عليه السلام، فقد جاء تكرار ذكرهما في موضعين متباعدين: موضع الحدث، وموضع البيان.

وأما (أهل القرية) فإنهم لم يكونوا موضع اعتراض موسى، عليه السلام، وإنما كان موضع اعتراضه بناء الجدار بغير أجر. وكان اتّساق النظم يتطلب تكرار ذكرهم، كما تكرر ذكر سابقيْهم. فجاء تكرار ذكرهم تباعاً. فذُكروا مأتيّاً إليهم ، وذكروا مستطعَمين: ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها﴾[11].

- الوقفة الثانية

وسنخصص وقفتنا هذه عند قوله تعالى: ﴿عُلِّمنا منطق الطير﴾، ونطرح السؤال الآتي: لماذا قال نبي الله سليمان -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام- : "عُلِّمنا منطق الطير"، ولم يقل: (لغة) الطير؟.

ولماذا خاطبت النملة سائر مثيلاتها من النمل بصيغة (المذكر العاقل)؛ إذ قالت: " يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم "؟.

وتمهيداً للإجابة عن السؤال الأول نقول: ينبغي أن يُعلم بأن كلًّا من (اللغة) و (المنطق) أصوات يحدثها جهاز التصويت لدى سائر المخلوقات الحيّة عامة، والمتمثل في أعضاء النطق الخاصة بالبشر، المتميزين بها دون سواهم منها. والتي تبدأ بالوترين الصوتيين أسفل الحنجرة ، حيث تنطق همزة القطع، وتنتهي بالشفتين، حيث ينطق حرفا: الميم والباء.

وإن الفعل (نطق) ، ومصدره الصريح (النطق)، ومصدره الميمي (المنطق)، المراد بها والمتضمَّن فيها جميعا معنى الصوت ، أو الكلام، خارجاً من جهاز التصويت، أو أعضاء النطق، فمسموعاً.

أمّا أنه قد قال: " منطق الطير " ، ولم يقل: (لغة الطير)، فإن لذلك سببين:

أولهما: أن (المنطق) شأن عام مشترك، يشمل أصوات سائر المخلوقات الحيّة، ومنها كلام البشر.

أما (اللغة) فإنها خاصة بالبشر دون سواهم من سائر المخلوقات. ولذلك قال: " منطق الطير" ، ولم يقل: (لغة الطير).

وثانيهما: ما ذكرته ؛ من أن (المنطق) هو الصوت، أو الكلام، خارجا من جهاز التصويت، أو أعضاء النطق، فمسموعاً.

أما (اللغة) فإنها قد تكون منطوقة، فمسموعة ، فمعلوما مراد المتكلم بها. وقد تكون صامتة هي في ذهن صاحبها. وهل تُعرف لغة أحد، أو يُعلم مراده ما لم ينطق؟. ولذلك قال : " منطق الطير" ، ولم يقل: (لغة الطير).

وفيه كذلك لفتة بلاغية ولمسة بيانية. إن قوله: " منطق الطير" بيان نفي علم سليمان -عليه السلام- المسبق ، بقول النملة ومضمونه دون أن (تنطق)، أو قبل أن تنطق. فذلك غيب لا يعلمه إلا الله، فهو وحده العليم بذات الصدور. ولذلك أيضا قال: " منطق الطير"، ولم يقل: (لغة الطير).

وأما لماذا خاطبت النملة سائر بنات جنسها بصيغة (المذكر العاقل)، فنقول: أما خطابها إياهن بصيغة (المذكر)؛ فذلك لأنها قالت: "يا أيها النمل"، ولم تقل: (يا أيتها النمال). ولا يفرض على متكلم كيف يقول، ما دام كلامه صحيحا. والنمل ، والنحل، والذباب، والبعوض... والتفاح، والبرتقال، والشمام، والبطيخ... تسمى في باب الجموع في اللغة: (اسم الجنس الجمعي). وهو يتضمن معنى الدلالة على الجمع والكثرة، ويلتزم (التذكير)؛ وذلك لأنك إذا أنثته فستقول: نملة، نحلة، تفاحة، بطيخة..... فتكون قد جئت بالواحدة منه، فتكون بذلك قد نقلت التعبير من الكثرة إلى أقلّ القلّة. ولذلك ألزم (التذكير).

وأما أنها خاطبتهن بصيغة العاقل؛ فذلك لأن خطابها قد سبق بقوله تعالى: " قالت نملة". وهو إذ قال: " قالت "، فقد أنزلها منزلة (العاقل)؛ لأنه لا يقال: (قال)، أو (قالت)، أو : (قالوا)، إلا لما صدر من عاقل[12].

- الوقفة الثالثة

وقفتنا عند (أو) . ونقول فيها: إن لهذا الحرف ما يزيد على ثلاثة عشر معنى. أشهرها: الشك ، والإبهام، والتخيير، والتقسيم ...

ولقد يسأل أحد ما هذا السؤال فيقول: ما قولك فيما جاء في هذه الآية: "حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّيّنت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس"؟.

فلماذا قال تعالى : " أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً" . وإن من معاني (أو) : الشك . ألا يعلم سبحانه الوقت الذي سيقيم فيه الساعة فيحدده ، فإن كان سيقيمها ليلاً، قال: " ليلاً" وإن كان سيقيمها نهاراً ، قال: "نهاراً"؟ .

فلقد نزلت هذه الآية قبل ما يزيد على أربعة عشر قرناً. في وقت لم يكن فيه أيّما أحد على وجه هذه البسيطة يعلم بأن الوقت يكون في أحد نصفيها ليلاً، ويكون في نصفها الآخر نهاراً . والساعة ستقوم في وقت محدد تماماً ، فيكون الوقت عند بعض أهل الأرض ليلاً، ويكون عند بعضهم الآخر نهاراً. ولذلك قال سبحانه: " أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً"[13].

- الوقفة الرابعة

وموضوع وقفتنا هذه هو السؤال الآتي: ما الحكمة من تذكير الفعل في قوله تعالى: " وقال نسوة " . من قوله جل شأنه: " وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه " .

وتمهيداً للإجابة عن السؤال نقول: (المرأة) من الأسماء التي تُجمع على غير لفظها. فلا يقال في جمعها: (مرآت) ولا (امرآت). وإنما يقال: (نساء) و (نسوة) و (نسوان). وكلها جموع تكسير.

وإذا كان الفاعل جمع تكسير ، جاز معه تذكير الفعل وتأنيثه. تقول: جاء الطلاب، وجاءت الطلاب. كلا القولين صحيح. وإن كان تذكير الفعل إذا كان فاعله مذكراً أرجح، كما أن تأنيثه إذا كان فاعله مؤنثاً أرجح.

والفاعل في الآية الكريمة مؤنث: " نسوة "، فلماذا جاء فعله مذكّراً: " قال "، لا : (قالت)؟.

إن في كلامنا نحن معشر البشر ما هو صحيح، وما هو أصحّ. وما هو راجح، وما هو أرجح. ولا ريب في أن من كان ذا بيان يقدّم الأصحّ على الصحيح، والأرجح على الراجح. ولكنّ كلام من خلق الإنسان وعلمه البيان، أسمى وأجلّ من أن يقول مخلوق في جملة، بل في كلمة، بل في حرف فيه قولا أو يبدي رأياً.

إن من ملك ناصية اللغة والنحو لو قال: (قال نسوة)، لأمكنك أن تقول له: قولك صحيح، وإن كان الأصحّ منه أن تقول: (قالت نسوة).

أما إذا ما قرأتَ في كتاب الله جملة، بل كلمة، بل حرفاً، فأوحى إليك وَهْمُك، أو غرورك -بل جهلك- بأن لك فيه قولاً يمكن لك أن تقوله، أو رأياً يمكن لك أن تبديه. فقبل أن تقول، وقبل أن تبدي، فأعملْ فكرك. وسيتبيّن لك حكمة بالغة وبيان معجز، وأن دقّة المعنى وعمق الدلالة ما كانا ليكونا بغير ما كائن.

ولنعد إلى السؤال فنكرره: لماذا قال: " وقال نسوة "، فذكّر الفعل، مع أن فاعله مؤنث؟. وللإجابة عن السؤال نقول: ما من أحد لا يعرف بأن حروف (قال) أقلّ من حروف (قالت). ولقد قال : " وقال " ، فذكّر الفعل ، فحذف (التاء)، فقلّل عدد الحروف؛ تعبيرا عن قلّة عدد أولئك النسوة القائلات ودلالة عليه. وذلك لأن قلّة من النساء أولئك اللواتي يطّلعن على أسرار نساء علية القوم، ويعرفن ما يدور في قصورهن.

وأنه لذلك أيضاً استعمل لفظ: " نسوة " ، دون لفظ : (نساء)؛ لأن صوت المدّ في (نساء) يجعله يستلزم وقتاً أطول في النطق. وإن طول الاستغراق الزمني في نطق اللفظ يتضمن الدلالة على الكثرة، التي هي نقيض الدلالة على القلّة التي يريد التعبير عنها والإيحاء بها.

وأنه لذلك كذلك نكّر الفاعل فقال: " وقال نسوة "، ولم يقل: (وقال النسوة)؛ وذلك لأن التعريف يفيد شمول جميع نساء المدينة ، أو قُل: نسوتها.

ولمزيد بيان مثل هذا الإعجاز البياني فلنستمع ولنصغ إلى قوله جل شأنه، وهو يتحدث عن السدّ الذي أقامه ذو القرنيين دون يأجوج ومأجوج: " فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ". وما من ريب في أن تسلّق سدّ من حديد أسهل كثيرا من خرقه. فتأمل كيف جاء اللفظ خفيفاً في التعبير عن التسلق ليناسب سهولة التسلق مقارنة بالخرق: " فما اسطاعوا أن يظهروه ". وكيف جاء ثقيلاً في التعبير عن الخرق، ليدلّ على صعوبة الخرق: " وما استطاعوا له نقبا."

وختاماً أرجو أن نستمع وأن نصغي وأن ننصت إلى قوله عز وجل: " عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحدا " و: " قل إن ربي يقذف بالحق علّام الغيوب ". فتأمل كيف جاء بناء الصفة مع المفرد ، وكيف جاء مع الجمع[14].

- الوقفة الخامسة

وقفتنا عند هذه الثلاث الصفات الخاصة بالمرأة دون الرجل: (حادّ) و (حامل) و (مرضع). ونقول فيها:

إن الصفة إذا كانت خاصة بالمرأة، لا يشركها فيها الرجل، فإن العرب قد ألزموها (التذكير)؛ فقالوا فيمن طهرت من الحيض: امرأة (طاهر)، ولم يقولوا: (طاهرة). وقالوا: (طاهرة) إذا أرادوا أية صفة أخرى غير الطهر من

الحيض؛ نحو طهر الأخلاق، أو الثياب....

فإذا عدنا إلى الثلاث الصفات المذكورة، قلنا: قل في المرأة التي مات عنها زوجها ولمّا تمض عدتها: امرأة (حادّ)، ولا تقل: (حادّة) أبدا.

أما (الحامل)، فإنك تصف بها المرأة التي في بطنها جنين. فتقول: (حامل)، ولا تقل: (حاملة). فإن كانت تحمل شيئا ما بإحدى يديها أو بكلتيهما، أو على ظهرها، فقل: (حاملة)، وإن كان ما تحمله رضيعها.

وأما (المرضع)، فإن أُمّ الرضيع لا تخلو من أن تكون نائمة ، أو منشغلة بأعمال البيت، أو هي خارجه، فإن كانت كذلك فقل: (مرضع)، ولا تقل: (مرضعة). فإن كان ثديها في فم رضيعها، فقل: (مرضعة)، ولا تقل: (مرضع)

وفي هذا يتجلّى الإعجاز البياني في قوله جل شأنه: ((يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد)). فتأمّل، واستمع، وأصغِ إلى قوله سبحانه: (مرضعة)، لا : (مرضع). ولقد بيّنتُ لك الحال التي يقال للمرأة فيها : (مرضعة). وأيهما أبلغ دلالة وبيانا في التعبير عن شدّة (الذهول) ومبلغه ومداه، آمرأة بعيدة من رضيعها منشغلة عنه، أم امرأة تمسك ثديها بيمناها وتضعه في فم رضيعها، وهو يبتسم لها وتبتسم له وتناغيه[15]؟.

- **الوقفة السادسة**

وقفتنا عند مجيء (الباء) للتبعيض:

مسألة مجيء (الباء) للتبعيض ، موضع خلاف بين العلماء، وممن قالوا بمجيئها لمعنى التبعيض : ابن قتيبة ، في كتابه : تأويل مشكل القرآن ، والثعالبي في : فقه اللغة ، والمرادي في: الجنى الداني ، وابن هشام في: مغني اللبيب ،وأوضح المسالك ، والأشموني في شرحه على الألفية ، والسيوطي في الهمع... وهم يستشهدون لمجيئها لمعنى التبعيض بعدّة شواهد بين قرآنية وشعرية. فمما يستشهدون به من القرآن الكريم قوله تعالى : " وامسحوا برؤوسكم" ، وقوله جلّ شأنه :" عيناً يشرب بها عباد الله."

ومما يستشهدون به من الشعر قول عنترة:

شربتْ بماء الدحرضين فأصبحتْ زوراء تنفر عن حياض الديلم

وقول أبي ذؤيب الهذلي :

شربن بماء البحر ثم ترفّعتْ متى لجج خضر لهنّ نئيج

وممّا يجدر ذكره هو أنّ هذه الشواهد المذكورة وغيرها كانت موضع خلاف بين المؤيدين والمعارضين. ولقد أوّلها المعارضون تأويلات عدّة أخرجها كل تأويل إلى معنى . مما لا مجال لبسط القول فيه.

وإنني أرى أنّ (الباء) في هذه الشواهد المذكورة ونحوها ، وبخاصة الشعرية منها هي في معنى التبعيض. وفضلاً عن أنّ معناها منبئ بذلك ومتضمّنه ودالّ عليه. فإنّ هناك دليلاً آخر يُعتمد عليه؛ هو أننا إذا حذفنا الباء ، ثم طرحنا هذا السؤال: ما نوع البيان في هذه الأمثلة؟. فإنّ الجواب سيكون : إنه مجاز مرسل علاقته الكليّة . وبه يُستدلّ على أنّه بالباء صار جزءاً ؛ فدلّ على أنّ الباء للتبعيض . ولقد فاتني أن أذكر بانّ من أجازوا مجيئها للتبعيض قد اشترطوا لذلك شرطين أولهما : أن تكون بمعنى (من) . وثانيهما: أن يكون الفعل معها متعديا[16].

- **الوقفة السابعة**

موضوع وقفتنا عند : ورد لفظ (الإنس) مقترناً بلفظ (الجن) في كل موضع في القرآن الكريم . وورد لفظ (الناس) غير مقترن بلفظ الجن، فلماذا؟.

وجواباً عن السؤال نقول: اعلم أن في اللغة ألفاظاً عامة، وألفاظا خاصة؛ نحو لفظي: الأخ والشقيق. فالأخ لفظ عام يطلق على من كان لأبويك، كما يطلق على من كان لأحدهما. أما الشقيق فإنه لفظ خاص لا يطلق إلا على من كان لأبويك. وعليه يمكن القول : إن كل شقيق أخ، وليس كل أخ شقيقاً.

ونحو ذلك أيضا لفظا: المطر والغيث . فالمطر لفظ عام يطلق على ما كان منه نافعاً ، كما يُطلق على ما كان ضارّا مدمراً. أما الغيث فإنه لفظ خاص لا يطلق إلا على ما كان نافعاً. وعليه يمكن القول بأن كل غيث مطر، وليس كل مطر غيثاً.

ونحوه كذلك ألفاظ : (الإنس) ، و (الجن) و (الناس). فالإنس والجن كل منهما لفظ خاص يطلق على أحد جنسي المخلوقين المكلفين بالعبادة ومقتضياتها.

أما (الناس) فإنه لفظ عام يطلق على الجن كما يطلق على الإنس . فـ (الإنس) ناس ، و (الجن) ناس كذلك؛ وعليه فلا مبرر لذكر لفظ (الجن) إذا ذكر لفظ (الناس)؛ لأنه مشتمل فيه.

فإن قيل : (الناس) ، فكأنما قيل: الإنس والجن.

فإذا كان النظم بياناً أو خطابا يراد به التفصيل ، ذُكرا معا كُلٍّ بلفظه. فقيل : الجن والإنس ، أو الإنس والجن. وإذا كان المراد الإجمال، جيء باللفظ العام: (الناس)؛ إذ إنه يتضمن الدلالة على الجنسين كليهما : الإنس والجن[17].

- **الوقفة الثامنة**

وسنخصص هذه الوقفة عند قوله تعالى :﴿ فوجدا فيها جدارًا (يريد) أن ينقضّ فأقامه ﴾ .

ما معنى (يريد) ، وهل للجدار إرادة ، وما السرّ البلاغي في ذلك ؟.

إن الفعل (يريد) في الآية الكريمة يتضمن إحدى دلالتين. أولاهما وأبسطهما؛ أن المراد به معنى القرب الزمانيّ لأوان وقوع الحدث .فكأن قال : يكاد ينقضّ ، أو يوشك أن ينقضّ . وثانيتهما ، هي الأعمق والأرجح ، وهي المراد والمعتمَد ؛ تلكم هي إرادة بيان أن المولى سبحانه ، لم يدع شيئا من مخلوقاته ، بشرًا كانوا ، أو حيوانًا ، أو جمادًا ، إلا جعل فيه من الصفات والمميزات ، ومن الإرادات والقدرات ، وأودعه من الأسرار والمعجزات ، كما جعل فينا نحن البشر ، ممّا لا نعلم ولا ندرك منه إلا النزر اليسير . وهو مصداق قوله جل شأنه : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ .

ولذلك نلفيه _ تقدّست أسماؤه _ في كتابه العزيز ، وقد لفت أنظارنا ، ونبّه أفهامنا ، واستدعى عقولنا ، وأوجب إعمال أفكارنا ، وأنار بصائرنا ، بقبسات مما جعله فيها وأودعه .

ولقد أخبرنا عنها إخبارَه عن أعقل العقلاء من الناس ، وناداها وخاطبها ، وعرض عليها ، وأمرها ، ونهاها ، نداءه وخطابه ، وعرْضَه ، وأمْرَه ، ونهْيَه أولي الألباب وأرباب الحِجا منهم .

لقد أنبأنا بما يستوجب عِلْمَ أنّ في ذلك (الجدار) إرادة أن ينقض .

يقابلها عِلْمُ أنه لم يكن قبل ذلك (يريد) ذلك .

كما أخبرنا بما ينبئ أنه أودع الشمس إرادة الطلوع والغروب ، وإرادة الميْل والعُدول :

﴿ وترى الشمس إذا طلعت تزاورُ عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ﴾ .

وكان قد أنبأنا أنه قد عرض (الأمانة) على السماوات والأرض والجبال ، وأنهن أبَيْن أن يحملنها ، وأنهن أشفقن منها .

وهل يُعرَض شيء على شيء غير ذي إرادة ، أم هل يملك أن يأبى إلا من كانت لديه إرادة الإباء ، أو أن يشفق إلا من كان فيه خُلُق الإشفاق ؟ .

﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ... ﴾ .

ولذلك نرى وقد أخبرنا عنها إخباره عن العقلاء ، وجعل أفعالها أفعال العقلاء ، وأخلاقها أخلاق العقلاء ، فقال : (أبَيْنَ) و (يحملن) و (أشْفَقْنَ) ، ولم يقل : أبَتْ ، و تحمل ، و أشفقَتْ .

ولقد نادى الأرض ، والسماء ، وأمر كُلًّا منهما . وهل يُنادَى غيرُ سامع فمجيب ، أم يستجيب غير بارٍّ فمُطيع :﴿ وقلنا يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي ﴾ . أم هل تخاطب النار وتؤمر إلا إذا كانت كذلك سامعةً مطيعة :

﴿ وقلنا يا نارُ كوني بردا وسلاما على إبراهيم ﴾ .أم هل تخاطب الجبال وتؤمر ، إلا إذا كانت كذلك :﴿ يا جبالُ أوّبي معه والطير ﴾ . ﴿ ولكنْ لا تفقهون تسبيحهم ﴾[18] .

- **الوقفة التاسعة: (واو الثمانية) .**

وهي تسمية أطلقها أربعة هم من الأدباء وضعفاء النحويين . وهي في التدقيق والتحقيق ليست غير واو العطف ، أو واو الاستئناف ، أو واو الحال . هذه الواو المزعومة ، لم يجر لها ذكر على لسان سيبويه ، ولا الكسائي ، ولا الفرّاء ، ولا المبرّد ، ولا الجَرْمي ، ولا المازنيّ ، ولا الفارسيّ ، ولا ابن جني ، ولا الزجّاج ، ولا ابن السرّاج ، ولا الجرجانيّ ، ولا السيرافي ... ، ولا أي من كبار العلماء ، ولا على ألسنة شيوخهم ، ولا تلامذتهم. ولم يستعملها العرب في شعرهم، ولا في نثرهم . ولقد جاء في سورة الكهف :﴿ ...ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ .كما جاء في سورة الزمر :﴿ ... حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها ﴾ .فظن هؤلاء الأدباء والنحاة الضعفاء بوهمهم ، أنهم أتوا بما لم تستطعه الأوائل ؟! .مع أن الأمر لا يعدو كون (كلبهم) جاء آخر معطوف في القول .

ومعلوم أن الأشياء والصفات أو الأخبار إذا تعددت وجب عطف آخرها بالواو ، بصرف النظر عن موقعه ، ثامنًا كان ، أو أقلّ ، أو أكثر .فإذا أردت أن تقول نحو :خالدٌ طالب مجتهد متفوّق صادق أمين كريم محبوب ... وجب أن تقول : ومحبوب ، عاطفا إياه بالواو ، غير ناظر إلى عدد الصفات قبله . كما إذا قلت نحو : وصل المتسابقون ، أولهم محمد ، ثانيهم زيد ، ثالثهم ، خالد ، رابعهم جعفر ... ، فإذا كان لهم خامس اسمه عمر ، مثلًا ، وجب أن تقول : وخامسهم عمر . فتعطفه عليهم بالواو .فإذا لم يكن لهم خامس ، قلت : ورابعهم جعفر .هذه هي الواو التي أطلق عليها أولئك اسم :(واو الثمانية) ؟! .

أما الواو المذكورة في الآية من سورة الزمر ،فإنها لم تذكر لكون الجنّة لها ثمانية أبواب ،كما توهم أولئك ، وإنما هي واو الحال .وإنما ذكرت لسببين :أولهما : التفريق في صيغة النظم ؛ تعبيرًا عنالفرق بين الفريقين : المؤمنين ، والكافرين ،والفرق بين مصير كل منهما ، وبيانًا لذلك ومراعاةً له :(فُتحت) ، و (وفُتحت) .وكثيرا ما يُعبَّر عن الفرق بين الأشياء والأحكام والصفات والأحوال ، بالفرق في السياق النظمي لكل منهما .تأمّل قوله تعالى :ولقد

همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ .لا ريب في أن همّ يوسف عليه السلام ، كان مختلفًا من همّ المرأة . فانظر كيف عبّر عن الفرق بين الهمّين ، بتوكيد همّها : ﴿ ولقد همت ﴾ ، وعدم توكيد همّه : ﴿ وهمّ ﴾ .

وتأمل قوله سبحانه :﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ .انظر كيف عبر عن الفرق بين مكر الكافرين ،وبين مكره جل شأنه ، بإسناد مكرهم إلى الضمير : ﴿ ويمكرون ﴾ ، وإسناد مكره إلى الاسم الظاهر : ﴿ ويمكر الله ﴾ .وتأمل قوله تقدست أسماؤه :﴿ إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا ﴾ .انظر كيف عبر عن الفرق بين الكيدين ،بتوكيد كيد الكافرين : ﴿ إنهم يكيدون ﴾،

وعدم توكيد كيده : ﴿ وأكيد ﴾ .وكذلك هنا : ﴿ فتحت ﴾ ، و ﴿ وفتحت ﴾ .ثاني السببين : أن الجملة بعدها حال ، فكان يجب أن تُربط بما قبلها ، فكان الربط بواوالحال هذه ، فكأن قيل :

حتى إذا جاؤوها وقد فتحت أبوابها ، فهي مفتوحة سلفًا .وأبواب الجنة ملازمة للفتح :﴿ جنّات عدن مُفَتَّحة لهم الأبواب ﴾ .والنار ملازمة للإغلاق ، وهي بذلك أشد ما تكون حرارة :﴿ إنها عليهم مؤصدة ﴾ .

الخلاصة: ليس ثمة ما يسمى ب (واو الثمانية) ،وإنما هي تسمية خيالية متوهمة، ولو كانت صحيحة ، كان يجب أن تذكر في قوله تعالى :﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ﴾ .فلقد قال : (المتكبر) ، ولم يقل :(والمتكبِّر)؛ مع أنه الاسم الثامن المذكور من هذه الأسماء الحسنى [19] .

- **الوقفة العاشرة**

وموضوع وقفتنا هذه عند قوله تعالى : ﴿...ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط﴾.

إن قِلّةً من المفسرين من قالوا بأن الجمل هو حبل السفينة. وأن بعضهم قد أهمله ولم يأت له على ذكر من قريب ولا من بعيد قط . وأنه ما من تفسير إلا ذكر أن المراد بالجمل ، هذا الحيوان الضخم المعروف . وهو الأرجح والأصح .

ذلك لأن المقام مقام تيئيس ، وإن إرادة الجمل المعروف أنسب للمقام. فالتعبير باستحالة ولو جمل في ثقب إبرة ، أبلغ من التعبير باستحالة دخول حبل. أإذا أردت تعجيز أحد أو تحقيره، قلت له : بَلِّط البِرْكَة ، أم قلت : بَلِّط البحر ؟ .هذا من جهة .و من جهة أخرى فإن الجمل كان معروفًا مألوفا لدى العرب كلهم ، كبيرهم وصغيرهم . أما حبل السفينة فلم يكن يعرفه غير العاملين في البحار، العارفين بشؤون السفن وشجونها ،وهم قلّة . والاهتمام والمراعاة إنما يكونان للكثرة الكاثرة ، لا للقلة النادرة .

واما من ذهب الى قول إن المراد بالجَمل في الآية الكريمة :﴿ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ . هو حبل السفينة ؟! .جاعلا دليله على هذا أن (الجمل) لم يذكر في القرآن ، وإنما ذُكر (البعير) ؟! . وقبل أن يقرر هذا وغيره ما قرروا ، فهل رجعوا إلى كتب التفسير ، فتبيّن لهم أن العلماء قد قطعوا بأن المراد هو حبل السفينة ؟! .

هل دقّقوا وحققّوا ووثّقوا واستوثقوا، أما إنهم لم يزيدوا على أن كانوا حاطبي ليل ، عثروا في تنقلهم بين المواقع المختلفة، على متقوّل ألقى بهذا القول دون تدقيق ولا تحقيق ، ليقال إنه جاء بشيء ؟! .

إن قلّة من المفسرين من قالوا بذلك .وأن أكثر كتب التفسير التي ورد فيها هذا القول ، كان قد تقدم فيها قول إن المراد هو الجمل ، على قول إنه حبل السفينة ، وأن القول فيه كان بناء على قراءة من قرأ بلفظ (الجُمّل) ، بضم الجيم ، وتشديد الميم .

ومعلوم أنه في القرآن الكريم ، برواية حفص عن عاصم ، بفتح الجيم والميم دون تشديد : (الجَمَل) . ولقد وصف ابن مسعود ، ﷺ ، قول إن المراد بالجمل في الآية شيء غير زوج الناقة ، بأنه (تكلّف) [20].

الخاتمة

كانت هذه رحلة لغوية بيانية فنيّة جُستُ فيها مع بعض القضايا اللغوية والشواهد الشعرية التي تعددت فيها الآراء والأفكار، وطوفتُ أثناءها بين قبسات من بدائع لغة التنزيل. وقد عرضتها ودرستها، وسعيتُ من خلال هذه الدراسة إلى تقديم بعض الرؤى اللغوية والبيانية ، وكان من أهمها:

1) إن في اللغة ألفاظاً عامة، وألفاظا خاصة؛ نحو لفظي: الأخ والشقيق، وكذلك نحو المطر والغيث . فالمطر لفظ عام يطلق على ما كان منه نافعاً ، كما يُطلق على ما كان ضارّا مدمراً. أما الغيث فإنه لفظ خاص لا يطلق إلا على ما كان نافعاً. وعليه يمكن القول بأن كل غيث مطر، وليس كل مطر غيثاً.

2) إن على المُقْدِم على البحث ألا يكون حاطب ليل ، يأخذ كل ما يجده في المواقع المختلفة، على أنه حقائق مقطوع بصحتها. فكثير مما هو منشور _ إن لم يكن أكثره_ مجانبٌ للصواب ومجافٍ للحقيقة. وإن على من يريد البحث أن يدقّق ، وأن يحقّق ، وأن يستوثق ، قبل تبنّيه فكرةً ما، وقبل نشرها. وإن عليه أن يعود إلى المصادر .فالشرب من رأس النبع أعذب مذاقًا ، وأذهَبُ

للظمأ ، من الشرب من المجرى.

3) للإعراب نوعان من العوامل: لفظية، و معنوية. فإذا كان العامل في الإعراب لفظيا ، وجب إسناد العمل إليه ، لا إلى الحركة ، ولا إلى العلامة ، التي هي أثر له ، وترتيب عليه. وإذا كان العامل معنويا ، جاز نسبة الإعراب إلى الحركة أو إلى العلامة ، حيث لا عامل مذكور فينسب العمل إليه .

- قائمة الهوامش:

- ينظر: سيبويه، ع، (1983): **الكتاب**، ط3، بيروت، عالم الكتب، 1/244-281
- ينظر: العسكري، أبو هلال: (1997) **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة – القاهرة، ص: 97- 178
- ينظر: ابن منظور، ج، (د. ت): **لسان العرب**، ط1، بيروت، دار صادر، (وجد)
- ينظر: العسكري، أبو هلال: **الفروق اللغوية**، ص: 131- 182
- ينظر: ابن فارس: (1979) **مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، ط1، دار الفكر- دمشق، 1/221- 296
- ينظر: العسكري، أبو هلال: **الفروق اللغوية**، ص: 122- 141
- ينظر: الهروي، ع، (1981): **الأزهية في علم الحروف**، ط1، دمشق، مجمع اللغة العربية، ص: 264- 289
- ينظر: المرادي، ح، (1992)، **الجنى الداني في حروف المعاني**، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية. ص: 57- 94. ينظر: المالقي، أ، (1985): **رصف المباني** في شرح حروف المعاني، ص: 443-478
- ينظر: **أسرار العربية**، ط1، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، تحقيق وتعليق: بركات يوسف، ص: 68-93
- ينظر: الأخفش، س، (1985): **معاني القران**، ط1، بيروت، عالم الكتب، تحقيق: عبد الأمير، ص: 39-87. وينظر: : ابن قتيبة، ع، (1981): **تأويل مشكل القرآن**، ط3، بيروت، المكتبة العلمية، ص: 68- 132
- ينظر: الأخفش: معاني القران، ص: 121- 165

- ينظر: المرادي، ح، (1992)، **الجنى الداني في حروف المعاني**، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، ص: 231- 259. وينظر: ابن جني، ع، (2001): **الخصائص**، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 219/2. المرادي، ح، (1992)، **الجنى الداني في حروف المعاني**، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية. ص: 227. الهروي، ع، (1981): **الأزهية في علم الحروف**، ط1، دمشق، مجمع اللغة العربية، ص: 111، والمالقي، احمد بن عبد النور (1985): **رصف المباني** في شرح حروف المعاني، تحقيق: احمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط2، ص: 210
- ينظر: ابن قتيبة: **تأويل مشكل القرآن**، ص: 176-231
- ينظر: العسكري، **الفروق اللغوية**: ص: 122- 141
- ينظر: المبرد، م، (1963): **المقتضب**، ط1، بيروت، عالم الكتب، تحقيق: محمد عضيمة، 121/3-185
- ابن كثير، ع، (1982): **تفسير القران العظيم**، ط1، بيروت، دار المعرفة، سورة الذاريات
- ينظر: السيوطي، ج، (د. ت): **الإتقان في علوم القران**، ط1، بيروت، دار المعرفة، 133/2-189
- ينظر: ابن هشام، ج(1979) **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ط5، بيروت، دار الفكر، ص: 121-156
- ينظر: ابن قتيبة: **تأويل مشكل القرآن**، ص: 211- 239

قائمة المصادروالمراجع

- الأخفش، س، (1985): معاني القران، ط1، بيروت، عالم الكتب، تحقيق: عبد الأمير
- ابن الأنباري، ك، (1999): أسرار العربية، ط1، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، تحقيق وتعليق: بركات يوسف
- ابن جني، ع، (2001): الخصائص، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية
- السيوطي، ج، (د. ت): الإتقان في علوم القران، ط1، بيروت، دار المعرفة
- سيبويه، ع، (1983): الكتاب، ط3، بيروت، عالم الكتب
- العسكري، أبو هلال: (1997) الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة – القاهرة
- ابن فارس: (1979) مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، ط1، دار الفكر- دمشق
- ابن قتيبة، ع، (1981): تأويل مشكل القرآن، ط3، بيروت، المكتبة العلمية
- المالقي، أ، (1985): رصف المباني في شرح حروف المعاني، ط2، دمشق، دار القلم
- ابن كثير، ع، (1982): تفسير القران العظيم، ط1، بيروت، دار المعرفة
- ، والمالقي، احمد بن عبد النور (1985): **رصف المباني** في شرح حروف المعاني، تحقيق: احمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط2
- المبرد، م، (1963): **المقتضب**، ط1، بيروت، عالم الكتب، تحقيق: محمد عضيمة
- المرادي، ح، (1992)، **الجنى الداني في حروف المعاني**، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية
- ابن منظور، ج، (د. ت): **لسان العرب**، ط1، بيروت، دار صادر
- ابن هشام، ج(1979) **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ط5، بيروت، دار الفكر
- الهروي، ع، (1981): **الأزهية في علم الحروف**، ط1، دمشق، مجمع اللغة العربية

مقال سحر البيان للمنفلوطي (دراسة تداولية)

الأستاذ الدكتور : محمد محمود أبوعلي
كلية الآداب / دمنهور

الملخص:-

يسعى المنفلوطي في مقال (سحر البيان) إلى ترسيخ غرض من أغراضه التي يسعى إليها في نظراته، إلى بث روح الحرية والتخلص من الذل والهوان، من خلال حث القراء على التخلص من السلبية التي هي صفة ملازمة للضعفاء في كل زمان وكل مكان، فالمنفلوطي يرى أن للأدب وظيفة اجتماعية توجيهية تؤكد عليها مقالاته في نظراته.

المقدمة:-

إن جزءًا كبيرًا من هذا المشروع الاجتماعي التوجيهي عند المنفلوطي يستعين فيه بالاستشهاد بالنصوص التراثية في هذا المقال بما يمتلكه الاستشهاد بالنصوص التراثية والشخصيات التاريخية من قدرة إقناعية، فقد استدعى في مقالته (سحر البيان) بوصفها نموذجًا للخطاب الحجاجي التداولي موقفين لشخصيتين مختلفتين من رواية (يوليوس قيصر) للكاتب الإنجليزي المشهور شكسبير، كل شخصية من هاتين الشخصيتين تمتلك الوسائل الإقناعية في السياق التداولي للخطاب ما تمكنها من التأثير في المستمعين وفق الغاية التي تسعى إليها.

فالمنفلوطي يقدم لنا موقف الشخصيتين من خلال سياقين مختلفين لقضية واحدة، وهي قضية مقتل قيصر، سياق المؤيد من جانب بروتس، وسياق المعارض من جانب أنطونيوس، وسنعرض لخطاب الفريقين لنوضح الوسائل الإقناعية لديهما، ولنوضح القوة التأثيرية لكل طرف من طرفي الخطاب في نفوس المتلقين.

أما المنفلوطي فيوضح لنا خلال الموقفين أثر سحر البيان على حد تعبيره في الجماهير، وهي الغاية التي يسعى لتوضيحها من خلال الاستشهاد بذلك الموقف من هذه المسرحية صورة "العامة عامة في كل عصر، والشعب شعب في كل مصر، وأن سواد الأمة تحت صرح فرعون مثله تحت عرش قيصر"[(1)] تلك الصورة التي يسعى المنلفوطي من خلال مقاله إلى محوها من نفوس المصريين من متلقي خطابه.

وقد أخذت بمقترحات اللسانيات التداولية في معرض تحليل وظائف الاستشهاد بالنص التاريخي، فكيف يمكن تفعيل المداخل المنهجية للتداولية والحجاج في الكشف عن غرض المنفلوطي من الاستشهاد بالنص التاريخي في معالجة مشكلات المجتمع.

وكيف يمكن توظيف المداخل المنهجية للتداولية في الكشف عن القوة الإنجازية في خطاب بروتس وأنطونيوس.

إن إقناع المتلقي بالرسالة المراد تبليغها يعتمد اعتمادًا كبيرًا على كيفية استعمال اللغة:

- من يتكلم؟ ماذا يقول تحديدًا؟ لمن؟ لماذا يتكلم بهذا الشكل؟ لماذا يقول كلامًا ويقصد به شيئًا آخر؟ ما أثر الكلام في نفوس المتلقين؟

كاتب النص هو المنفلوطي الأديب الكبير ، وهو مقال في كتابه النظرات، فماذا يريد أن يقول من خلال مقاله؟ وما الوسائل التي من خلالها أرسل رسالته؟ وماذا يريد تحديدًا؟

المنفلوطي يسرد لنا موقفًا من رواية "يوليوس قيصر" للأديب المشهور شكسبير يحكي من خلالها "موقفا لبطلين من أبطال الفصاحة, وفارسين من فرسان البيان قد وقف كل منهما من صاحبه موقف اللاعب من اللاعب, ووقف الشعب الروماني بينهما موقف الكرة بين مضارب الأقدام تعلو بها حينا وتسفل أحيانا ، فلا تثبت صاعدة ولا تستقر هابطة "فعلمت أن العامة عامة في كل عصر، والشعب شعب في كل مصر، وأن سواد الأمة تحت صرح فرعون مثله تحت عرش قيصر، وأنه في رأس التاريخ اليسوعي مثله في ذنب التاريخ

المحمدي، تدنو به كلمة وتنأى به أخرى، وتجذبه دمعة وتدفعه ابتسامة، وتطير بلبه الشعريات والخيالات طيران الريح الهوجاء بذرات الهباء"[2]

فالمنفلوطي يريد أن يوصل رسالته للمتلقي عن طريق إنجاز فعل الإخبار لأنه ينقل الحكاية واقعيًّا.

أولا : عرض مدونة البحث:

يعكس المنفلوطي في مقالاته بصفة عامة صورة المجتمع بكل حالاته الدينية والدنيوية، فيبحث في المجتمع عن الرحمة والفضيلة والحرية والأخلاق لمواجهة القهر والعبودية والفقر والذل والهوان والفواحش والفساد ..إلخ، تلك نظرته الاجتماعية في النظرات.

وقد جاء مقال (سحر البيان) للمنفلوطي بوصفه أحد مقالات النظرات يبحث في ذلك أيضًا، عن الحرية والتخلص من العبودية، وكان اختيارنا لهذا المقال مراعيًا لمجموعة من الشروط التي تأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الحوارية للخطاب التداولي، فالمقال يقدم نصًا حواريًّا يتضمن مجموعة من الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة ويعكس البعد التفاعلي للخطاب، وقد استطاع المنفلوطي أن يصيغ مقاله بشكل تفاعلي أقرب إلى التواصل بين شخصين في الاستعمال اليومي للغة الذي هو قبلة أو وجهة الدراسات اللسانية الحديثة مثل التداولية.

بدأ المنفلوطي مقاله بداية مباشرة، فقال: "رأيت في إحدى روايات شكسبير وهي الرواية المعروفة برواية "يوليوس قيصر"[3] وهي بداية إخبارية مباشرة، ولعل المنفلوطي في ذلك أراد أن يأخذ جانبًا ويسلط الضوء على نقطة معينة، هي موقف شخصيتين من شخصيات الراوية – على حد تعبير المنفلوطي- ليطلع المتلقي من خلال موقف الشخصيتين على الغرض الذي يسعى إليه.

ويعد استشهاد المنفلوطي بهذا الجزء من النص المسرحي رغبة منه في مشاركة المتلقين لمقاله مشاركة تشبه تلقي الجمهور للأعمال المسرحية التي تُحدث التأثير المباشر بين الممثلين أو الشخصيات التي تقدم كلام المؤلف والجمهور الحاضر للعمل المسرحي.

والمنفلوطي منذ بداية المقال يصرح بموقفه من موقف الشخصيتين تجاه مقتل يوليوس قيصر كما سنوضح ذلك فيما يأتي.

قدم المنفلوطي وصفًا للشخصيتين الرئيسيتين في مقاله، وهما كذلك في مسرحية يوليوس قيصر، "رأيت .. موقفًا لبطلين من أبطال الفصاحة, وفارسين من فرسان البيان"، فهل يراهما المنفلوطي بطلين أو فارسين في غير البلاغة والبيان؟ هل ما أحدثاه من تأثير في الشعب عقب خطبة كل واحد منهما يعد نجاحًا من الناحية التداولية؟ هل يرى المنفلوطي عيبًا في تأثيرهما في الشعب أم أن العيب في الشعب نفسه؟

هل نجح بروتس في إنجاز الأفعال الكلامية؟ وما الأفعال المتضمنة في القول؟ وما الأثر الناتج عن القول؟

وهل نجح أنطونيوس في إنجاز الأفعال الكلامية؟ وما الأفعال المتضمنة في القول؟ وما الأثر الناتج عن القول؟ وكيف استطاع إقناع الشعب بعكس كلام بروتس؟

ثانيا : التحليل التداولي:

تعددت تعريفات التداولية لدى الباحثين، غير أن فكرة الاستعمال[4] هي المسيطرة على جميع التعريفات، واستعمال اللغة لا بد له من مستعملين، واللغة تستعمل في المواقف والسياقات المختلفة، والتدولية تدرس

استعمال اللغة من قبل المستعملين في المواقف والسياقات المختلفة، فهي دراسة اللغة في الاستعمال، لذلك فالمعنى التداولي هو المعنى المقصود من استعمال اللغة في السياق، بعيدًا عن المعنى النحوي أو القاعدي للغة، وبناء على ذلك فالتحليل التداولي للنص يعتمد على تحديد أنماط التبادل المعرفي والأدائي[5] والوظائف الكلامية.

والتبادل المعرفي يركز على تبادل المعلومات واستيضاحها وتقديمها والإعلان عن طروحات ووصف الوقائع وما إلى ذلك.

أما التبادل الأدائي فيركز على النشاط، على ما يفعله الناس أو ما يجعلون غيرهم يفعلونه، وإذا نظرنا إلى هذين النمطين في مقال (سحر البيان) فإننا سنجد أن النمط المعرفي يتمثل في المعلومات التي قدمها المنفلوطي للقراء ويوضحها ويعلن عنها ويصف فيها الضعيف وحالة الشعوب، ويمكن تلخيص الأداء المعرفي للمنفلوطي في نصين من مقاله الأول، قوله:

"فعلمت أن العامة عامة في كل عصر، والشعب شعب في كل مصر، وأن سواد الأمة تحت صرح فرعون مثله تحت عرش قيصر، وأنه في رأس التاريخ اليسوعي مثله في ذنب التاريخ المحمدي، تدنو به كلمة وتنأى به أخرى، وتجذبه دمعة وتدفعه ابتسامة، وتطير بلبه الشعريات والخيالات طيران الريح الهوجاء بذرات الهباء"[6].

والثاني قوله:

"وهكذا استطاع أنطونيوس في موقف واحد أن يستعبد الشعب الروماني لنفسه وما كاد يخلص من استعباد قيصر، وهكذا الأمم الضعيفة لا مفر لها من العبودية لحملة التيجان، أو حملة البيان"[7]

إن التبادل المعرفي والتبادل الأدائي متداخلان في الخطاب الحواري؛ لأن "التبادل هو تتابع من دورين أو نقلتين تحادثيتين يرافقهما تناوب المتكلمين، وحيث يؤدي ورود النقلة (أ) إلى توقع ورود النقلة (ب)، وهكذا دواليك"[8]، فإذا نظرت إلى موقف بروتس وأنطونيوس مع الشعب ستجد أن التبادل بينهما يتتابع من دورين يرافقهما تناوب بروتس مع الشعب في مواضع (انظر خطبته للشعب)، وتناوب أنطونيوس مع الشعب في مواضع (انظر خطبته مع الشعب)، وخلال الحوار يحدث التبادل المعرفي فيحاول بروتس وأنطونيوس أن يقدما المعلومات ويقوما بتوضيحها والإعلان عن الغرض الذي يسعى إليه كل منهما، وفي أثناء ذلك يحدث التبادل الأدائي أيضًا الذي غالبًا ما يهدف إلى إنجاز الأفعال وليس مجرد قولها فقط، أي القيام بأفعال، أو جعل آخرين يقومون بها.

وتحدد الوظائف الكلامية الأساسية في الحوار بالاستناد إلى النقلات المختلفة في مختلف أنماط التبادل، فالتبادل الأدائي يبدأه القائم بالفعل كما يبدأه غير العارف بالفعل عن طريق التبادل، وكذلك التبادل المعرفي يبدأه العارف وغير العارف، مثل التمييز بين الوظائف الكلامية، فالطلب قد يتضمن أمورًا ليست من الطلب بالمعنى العادي للكلمة، نحو قول بروتس: "بل أريد منكم أن تنظروا إلى قضيتي نظر المستيقظ الحذر الذي لا يعطي هوادة ولا يسلس قيادا ولا ينام عن شاردة ولا واردة"[9]؛ فهو قول خبري لكنه يحمل معنى الطلب أو التمني.

ثالثا : مقصد المتكلم:

هناك اختلاف بين معنى الجملة ومقصد المتكلم، فمعنى الجملة يرتبط بصورة أساسية بالأعراف التقعيدية المعيارية النحوية، وهو ما يعرف بالمعنى اللغوي، وهذه الكلمات والجمل والعبارات التي ترتبط بصورة أساسية بمواضعات اللغة، إذا كانت محملة بأفكار المتكلم فإنها لا تمتلك المعنى اللغوي فحسب؛ وإنما تمتلك أيضًا مقصد المتكلم، فالمتكلم يضفي معنى إلى المعنى.

والمتكلم يستعمل اللغة لأداء الفعل الكلامي، وعندما يؤدي المتكلم فعلًا كلاميًّا فإنه يفرض قصديته على العبارات والجمل، وعندما يقول شيئًا ويقصد شيئًا آخر فإنه ينجز فعلًا قوليًّا، فالمتكلم عندما يعبر عن مشاعره ورغباته ومخاوفه وآماله، فإنه ينجز فعلًا قصديًّا، ويظهر المعنى التداولي بوضوح في الانحرافات الأسلوبية، وتمثلها مبادئ الحوار، وسنوضح ذلك من خلال مبدأ التعاون ومبدأ التأدب.

رابعا :الأفعال الكلامية:

يحاول المنفلوطي من خلال مقاله أن يغير في معتقدات المخاطبين، والتغيير في معتقدات المتلقي يتوقف في الحقيقة على ما يحتويه سياق الخطاب من قوانين ومعطيات ترتبط بالأعراف الاجتماعية والنفسية لأطراف الحوار؛ فالكلام الإنساني ذو طبيعة اجتماعية، واللغة في حد ذاتها ظاهرة اجتماعية، ومعنى ذلك أن الكلام لا يمكن تفسيره معزولًا عن سياقه الاجتماعي[10]، ولذلك أدرك اللسانيون أهمية معرفة السياق في فهم مقصد المتكلم، وجاءت التداولية للقضاء على القطيعة المعرفية للبنيوية بالسياق المحيط بالنص، وأخذت على عاتقها دراسة اللغة في سياق الاستعمال أو قيد الاستعمال، فلا يمكن تفسير جملة من قبيل: "أحرقوا القتلة، مزقوهم، لا تبقوا على أحد منهم"[11] معزولة عن سياقها الذي قيلت فيه، فالمتلقي لا يستطيع أن يفهم مقصد المتكلم دون معرفة ملابسات ذلك القول، دون أن يعرف مَنْ المتكلم؟ ولمن؟ ولماذا يتكلم بذلك الشكل؟ وما الأثر الناتج عن ذلك القول؟

فالمتكلم عندما يتلفظ بالكلام، فإن ما يخرج من فمه يكون: عبارة، أو سؤالًا، أو شرحًا، أو أمرًا، أو طلبًا، أو وعدًا، أو نصيحة .. إلخ، وهذا الكلام يتضمن الظواهر اللغوية والبلاغية والاجتماعية والثقافية والأدبية وغير ذلك من الظواهر، وكل كلمة مما يخرج من فم المتكلم من الكلام العادي تعد إنجازًا لفعل كلامي؛ لأن المتكلم عندما يتلفظ قد يصيغ عبارة، أو يطرح سؤالًا، أو يصدر أمرًا، أو يطلب طلبًا، أو يعرض عرضًا، أو يشرح درسًا، أو يتوقع حادثة في المستقبل، أو يصف شيئًا .. إلخ.

وكل هذه المجموعات وغيرها أطلق عليها أوستين (AUSTIN) الأفعال الكلامية (speech acts)، وهي "ما تكون لتأديتها بعض الآثار من دلالة الالتزام نتيجة قول القائل لشيء ما"[12] وأدخل سيرل عليها بعض التعديلات، فميَّز بين الأفعال المتضمنة في القول التي هي الهدف في نظرة الأفعال الكلامية، وبين الآثار التي تتركها الأفعال المتضمنة في القول على المستمعين، والتي يطلق عليها الفعل الناتج عن القول.

وإذا نظرنا إلى مقال (سحر البيان) فإن المنفلوطي بدأ مقاله بقوله: "قرأت في...، فالمنفلوطي يحكي لنا موقفًا وهذا فعل متضمن في القول، والفعل المتضمن في القول يتعين إنجازه عن قصد؛ إذ لا بد أن يكون للمنفلوطي مقصد من كلامه حتى ينجز الفعل، أما الفعل الناتج عن القول أو التأثير الناتج عن القول في المتلقين فيكون دون قصد "فالأفعال المتضمنة في القول يتعين إنجازها عن قصد. إذا لم أقصد أن أقدم وعدًا أو أضع تقريرًا،

فأنا لا أقدم وعدًا أو أضع تقريرًا"[13]، فالمنفلوطي يقصد من مقاله أن يدعو المتلقي إلى التخلص من قبول الذل والهوان يدعوه إلى الحرية، يدعوه إلى التخلص من الكلام الجميل دون الفعل الجميل، يدعوه إلى التخلص من التحكم الظالم ..إلخ، ومن ثم فإن فعله الكلامي قد أُنجز، أما التأثير في المتلقي، فقد يكون إيجابيًّا أو سلبيًّا، وقد تحمل أو تستميل مقالة المنفلوطي بعض القراء أو المستمعين إلى التأثر بشيء آخر لم يقصده المنفلوطي، لذلك يقال إن الفعل الناتج عن القول لا يشترط القصد لإنجازه، فـ"الأفعال عن طريق القول لا يتعين إنجازها عن قصد؛ إذ ربما تستميل شخصًا بشيء ما، أو تحمله على أن يفعل شيئًا ما، أو تزعجه، أو تسليه من غير أن تقصد إلى فعل ذلك قصدًا"[14] فالأفعال المتضمنة في القول هي المعنية في المقام الأول في التواصل؛ لأن المتكلم عندما يقول قولًا ما فإنه يحاول أن يوصل ما يعنيه إلى المستمع؛ فإذا نجح في توصيل مقصده، فسوف ينجح في إنجاز فعلًا متضمنًا في القول.

خامسا : شروط النجاح:

إن غاية اللغة لا تكمن في تزويد المتلقي بالمعلومات فحسب، وإنما تجعل المخاطب يلتزم سلوكًا لغويًّا أو اجتماعيًّا معينًا تجاه المتكلم، وتحدد العلاقات بين المتخاطبين، وتعمل على تغيير معتقداتهم ويتوقف ذلك على ما لسياق الخطاب من قوانين ومعطيات ترتبط بالأعراف الاجتماعية وأعراف الكلام.

وهناك مجموعة من الشروط وضعها التداوليون لضمان نجاح الأفعال الكلامية بمجرد التلفظ بالفعل، فكيف يمكن أن يتحقق الفعل الكلامي بمجرد التلفظ به؟ وما أثر ذلك على المخاطبين؟

وقد وضع سيرل شروطا لنجاح الفعل الكلامي وهي[15]:

1. شرط المحتوى القضوي: يصدر المتكلم الفعل وينجزه المتلقي في المستقبل، مثل فعل الوعد.
2. الشرط التمهيدي: ويتحقق إذا كان المتكلم قادرًا على القيام بالفعل وإنجازه، ولا يكفي اعتقاد المخاطب والمتكلم بإنجاز الفعل تلقائيًا مع الأحداث.
3. شرط الإخلاص: صدق المتكلم في رغبته في إنجاز الفعل من المخاطب.
4. الشرط الأساسي: أن يحاول المتكلم التأثير في المخاطب لإنجاز الفعل.

إن كل كلام يصدر عن متكلم فهو يصدر ضمن مؤسسة تضمن له الإنجاز، وهذه المؤسسة هي التي تزود الأفعال الكلامية بالقوة التي تضمن تحققها عن طريق التأثير في سلوك المخاطب ومعتقداته، إضافة إلى ذلك فهي تعمل على تحديد مراتب المتكلمين الاجتماعية والتخاطبية، فإذا تلفظ شخص ما بملفوظ نحو: "حكمت المحكمة.." فإن هذا الملفوظ لن يكون ناجحًا إلا إذا كان صادرًا عن مؤسسة تضمن له تحققه، كأن يكون صادرًا عن قاضٍ في قاعة المحكمة في ملابسات معينة، وفي ذلك تحديد لمرتبة المتكلم الخطابية والاجتماعية (القاضي المتلفظ بالحكم في قاعة المحكمة)، فالمتكلم قبل أن يتلفظ بملفوظ ما يجب أن يسأل نفسه من أكون لأقول ذلك؟ ولِمَن؟ ولماذا؟

ومن ثم فإن صدور هذا الملفوظ من الرجل نفسه (القاضي المتلفظ بالحكم في قاعة المحكمة)، في مكان مختلف عن قاعة المحكمة لن يكون صادرًا عن مؤسسة تضمن نجاحه، وكذلك الأستاذ الذي قال: "ألغيت المحاضرة" في غير قاعة الدرس لغير الطلاب المعنين بها، والرجل الذي قال لغير زوجته: "أنتِ طالق"، وهكذا.

وإذا نظرنا في مقال (سحر البيان) فإنه يصدر عن المنفلوطي، وهو كاتب يمتلك سلطة الكتابة، تلك السلطة تضمن له التلفظ في ظل الملابسات والأعراف الاجتماعية لمهنة الكتابة والتأليف، ومن ثم نستطيع القول: إن مقاله يصدر عن مؤسسة تضمن نجاح إنجازه؛ لأن "سلطة المتكلم قد تحقق الإذعان ولكنها لا تحقق الاقتناع"[16] مع التنبيه على أن التلفظ بفعل القول يختلف عن الفعل التأثيري كما ذكر سيرل؛ فنجاح إنتاج القول يختلف عن الأثر الناتج عن القول.

وكذلك استطاع بروتس وأنطونيوس من خلال موقعهما أن يؤديا الفعل الفعل الكلامي أداءً ناجحًا، فتغيير مكانة الأشخاص الاجتماعية والسياسية يتغير معها نمط الفعل الكلامي وأسلوب صياغته، ومن ثم يتغير التأثير الناتج عن الفعل، ولعل تأثير بروتس على الشعب كان ظاهرًا بعد الانتهاء من خطابه، وقد ظهر ذلك في بداية خطبة أنطونيوس؛ إذ أصدر الشعب بعض الأفعال المتضمنة في القول التي يعلن فيها الشعب التمرد على أنطونيوس ورفض ما سأيتي به، ولولا نجاح بروتس في التأثير على الشعب لدرجة أن الفعل المتضمن في القول (اسمعوا ..) الأخير لهم جاء ناجحًا، وأظهر ذلك في أثر هذا الفعل على الشعب بالقبول، وقد استغل أنطونيوس نفسه هذا الفعل في إقناع الشعب بالاستماع له إكرامًا لبروتس الذي أمرهم أن يسمعوه.

وقد بدأ تأثير خطبة بروتس يتلاشى مع تقديم أنطونيوس لبعض الحجج والمغالطات الي جعلت الشعب يستجيب له، وقد تغيرت طريقة أنطونيوس نفسه في بداية خطبته التي امتلأت بالأفعال الكلامية التي تدعو إلى التودد والتقرب من الشعب، ثم استعمل الأفعال الكلامية غير المباشرة التي تلمح إلى مقتل قيصر ظلمًا، ثم تغيرت الأفعال الكلامية في نهاية الخطبة إلى التصريح بأن بروتس قتل قيصر ظلمًا، ومن ثم فإن تغيير وضعية المتكلم من حالة رفض السماع له إلى حالة الاقتناع بأقواله، كان عاملًا مهمًا في إنجاز الفعل الكلامي.

مع ملاحظة أن الأفعال الكلامية تتحقق ، وإن لم يتوفر لها كافة الشروط لنجاحها، أو للتأثير على المستمعين؛ لأن المتكلم حين يصدر الفعل المتضمن يفترض أن كافة الشروط لتحقيق قوله قد تحققت ولو في ذهنه، ومن ثم فإن اقتراح أحد الناس بعد خطبة بروتس أن يحمل على الأكف والرؤوس إلى بيته: "أحد الناس: أنا أقترح أن نحمله على الأكف والرءوس إلى بيته"[17] فإن المتكلم أنجز الفعل إنجازًا ناجحًا وإن لم يحمل بروتس على الأكف والرؤوس وفقًا للشروط الاجتماعية والملابسات التي استحضرها المتلكم قبل إنجاز الفعل.

سادسا : أنماط الأفعال الكلامية:

التداولية هي اللغة في الاستعمال، واللغة لها استعمالات ضخمة، فالمتكلم يستيطع أن يشرح، ويفسر، ويبتكر، ويحكي، ويصف الأحداث، ويقدم تفسيرات، ويحل المشكلات، ويكتب ..إلخ، وهي صيغة غير منتهية من الأفعال، لكن التداوليين يحصرون عدد هذه الأفعال بالنظر إلى الغاية المشتركة في الأفعال المختلفة التي تسمى الأفعال المتضمنة في القول من قبيل: يقرر، ويحذر، ويأمر، ويَعِد، ويدافع، ويتوسل، ويتعاقد، ويضمن، ويعتذر، ويشكو، ويشكر، فالغاية المتضمنة في القول للفعل الكلامي هي الغرض أو الغاية بمقتضى كونه فعلًا من الأفعال المتضمنة في القول.

ويعني ذلك أن المتكلم عندما يأمر، فإنه قد يعطي الأمر لمجموعة مختلفة من الأسباب، وبقدر ما يوصف الأمر وصفًا صحيحًا، فإنه بوصفه أمرًا يُعدُّ محاولة لحمل المستمع لفعل شيء ما، ويعد ذلك قصدًا من المتكلم أن

يقوم بالأمر، وعندما يَعِد، فإنه بوصفه وعدًا يُعدُّ التزامًا أو ضمانًا للتعهد من جانب المتكلم لفعل شيء ما بالنسبة للمستمع، ويُعدُّ قصدًا أن يفعل المتكلم ما وعد به.

وقد صنفت أنماط الأفعال المتضمنة في القول إلى خمسة أنماط مختلفة من الغايات المتضمنة في الكلام[18]، هي:

1- الغاية التقريرية المتضمنة في القول:

تتفق الغاية التقريرية المتضمنة في القول لدى التداوليين مع قضية الخبر في التراث العربي[19]؛ لأن أفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب، فالغاية من أفعال الكلام التقريرية هي التعهد للمستمع بصدق القضية، إنها تقدم القضية بوصفها تصور حالة الواقع في العالم، وبعض أمثلتها هي الأوصاف والتفسيرات، وكل التقريرات لها اتجاه مطابقة هي الكلمة إلى العالم، أي تتطابق مع الواقع، وشرط الإخلاص في التقريرات هو الاعتقاد دائمًا. وكل تقرير هو تعبير عن اعتقاد. وأبسط اختيار لتحديد التقريرات هو التساؤل عما إذا كان يمكن أن يكون المنطوق صادقًا أو كاذبًا بصورة حرفية.

فالمنفلوطي ينقل لنا عدة قضايا، يخبرنا عنها، أما القضية الأولى فهي قراءة مسرحية يوليوس قيصر، وإخباره لنا عن تلك القضية له غاية تقريرية متضمنة في القول، هي تعهد المنفلوطي أن ينقل للقارئ هذه القضية معتقدًا بصدق ما يقول، وكذلك يرى بروتس عندما ينقل للشعب قضية مقتل قيصر معتقدًا صدق اعتقاده في أن مقتل قيصر عدل، وكذلك أنطونيوس في الدفاع عن قيصر ينقل هذه القضية معتقدًا صدقه في أن قيصر قتل ظلمًا، فالأفعال التقريرية ينقل فيها المتكلم قضيته وشرط نجاحها اعتقاد المتكلم صدق القضية.

2- الغاية التوجيهية المتضمنة في القول:

تتفق الأفعال التوجيهية بشكل كبير مع قضية الإنشاء في التراث العربي، فالأفعال الكلامية التوجيهية تتفق مع أساليب الطلب، نحو الأمر والنهي والاستفهام والاستعطاف والرجاء والدعوة والإذن والنصح والتهديد، والالتماس ..إلخ، وإن كان الطلب يمتاز بالدقة والتفصيل عما جاءت به نظرية الأفعال الكلامية في هذا النوع، والأفعال الكلامية التوجيهية هي محاولة حمل المستمع على أن يسلك بطريقة تجعل سلوكه يضاهي المحتوى القضوي، وأمثلة التوجيهات هي الأوامر والنواهي والالتماسات. واتجاه المطابقة هو دائمًا العالم إلى الكلمة، وشرط الإخلاص السيكولوجي المعبر عنه هو الرغبة. فكل توجيه هو تعبير عن رغبة في أن يفعل المستمع الفعل المُوَجَّه. ولا يمكن أن تكون التوجيهات مثل الأوامر والالتماسات صادقة أو كاذبة، وإنما يمكن أن تكون مطاعة ومعصية ومستجابة ومرفوضة.

تظهر الغاية التوجيهية لمقال (سحر البيان) من خلال الأفعال الكلامية المتضمنة في القول، فإذا نظرنا في خطاب بروتس وأنطونيوس فإننا نجد أنهما استعملا الأفعال التوجيهية، لكي يظفر كل واحد منهما بإقناع الشعب وتوجيهه إلى الإذعان لأقوالهما، فهذا بروتس في خطبته يستعمل الأفعال التوجيهية المتضمنة في القول بصيغة الأمر الصريح في خمسة مواضع، في قوله: "أيها القوم، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم، فأعلموا أني ما قتلت قيصر لأني كنت أبغضه, بل لأني كنت أحب روما أكثر منه"[20] يحاول بروتس توجيه انتباه الشعب على التصديق بأنه قتل قيصر لأنه يحب روما أكثر منه وليس بغضًا له، كما يوجههم إلى سماع أنطونيوس وينبههم أن قيصر الذي قتله غير قيصر الذي يؤبنه أنطونيوس، ويحاول أن يقنعهم أن هناك فرقًا بين قيصر المذنب المقتول

وقيصر الذي يؤبنه أنطونيوس، يقول "بروتس: ها هي جثة قيصر وها هو صديقه أنطونيوس قد جاء ليؤبنه فاستمعوا له، واعلموا أن قيصر المذنب غير قيصر الماجد، وقد سمعتم ما قيل عن الأول فاسمعوا ما قيل عن الثاني، واسمحوا لي أن أقول كلمة أختم بها خطابي"[21].

ومن ثم فإن بروتس يعتمد على المغالطة العاطفية؛ لأنه يعتمد على الترغيب والتوجيه في إقناع الشعب بصدق دعواه، أما أنطونيوس فقد استعمل الأفعال التوجيهية المتضمنة في القول في تسعة مواضع، ففي أول موضع يستعمل فيه الفعل التوجيهي، قال: "أنطونيوس: اسمعوني إكراما لبروتس"[22] فهو يرى التأثر الإجابي لخطبة بروتس على الشعب، ويرى أنه من الصعب سماع الشعب له، فكان توجيهه لهم بالأمر، وهو فعل تعبيري أيضًا؛ لأن فيه تعهدًا من المتكلم للمستمع بصدق القضية، وفيه حمل للمستمع على التصديق بها، وبعد أن تمكن أنطونيوس من حمل الشعب على سماعه والتصديق بما يقول، بدأ يحملهم على مزيد من التأثر فيأمرهم بالبكاء في موضوعين:

إن لم تبكوه لصفاته الكريمة فابكوه لأنكم كنتم تحبونه، ابكوه لأنه كان بالأمس ينطق الكلمة فتدوي في صدور العظماء دوي الرعد في آفاق السماء، فأصبح اليوم مطرحًا في ظل هذا الحائط, لا يجد بين الناس من يأبه له ولا من ينظر إليه[23].

أيها الرومانيون، عفوا إن هذيت بينكم أو أسأت إليكم، واعلموا أن الحزن قد قسم فؤادي قسمين: قسم على هذا المنبر، وقسم في ذلك النعش[24].

ثم دنا وكشف القباء عن جسمه, وقال" إن في كل جرح من هذه الجروح لسانا يشكو إليكم فاستمعوا له, فهو أنطق من لسان الرثاء[25].

ومن ثم فإن أنطونيوس يعتمد أيضًا على المغالطة العاطفية، لما لها من تأثير قوي على حمل المتلقي على الإذعان والتصديق بمقصد المتكلم، أما المنفلوطي فمقالاته بصفة عامة "تتضمن غاية توجيهية، ويهدف المنفلوطي من وراء هذه الغاية إلى الاستمرارية النصية ليتم بها فعل السرد، وتحقيق مقاصد الإصلاح، وتتميز هذا التحاورات بصفة عامة عند المنفلوطي بطول الملفوظات ؛ لأن المنفلوطي يقوم بدور الراوي في الأحداث، ويكون المخاطب مستمعًا ومفسرًا ..، وقد يكون المخاطب صامتًا، وتتداخل هذه الظاهرة في مقالات المنفلوطي..، كما تتسم هذه التحاورات بطول الملفوظات فيها نظرًا لكون الكاتب (المنفلوطي) ساردًا أو راويًا في أغلب المقالات"[26]

ومن هذه المقالات مقال (سحر البيان) فالمنفلوطي يروي فيه موقفًا من مسرحية يوليوس قيصر، ويتخذ من هذا الموقف وسيلة توجيهية للمتلقي ودعوته للحرية وللتخلص من العبودية، وقد اتخذ من الأفعال التوجيهية وسيلة إلى دعوة المتلقي إلى غايته، وما يمتاز به هذا المقال أن المنفلوطي جاء بالأفعال التوجيهية، نحو: الأمر والنهي والاستفهام..إلخ على لسان بروتس وأنطونيوس والشعب، وهو ما يعني أن الأفعال التوجيهية جاءت في الخطاب المروي، ولم تأت على لسان الراوي وهو الكاتب (المنفلوطي) ومع ذلك فالمقال مثل غيره من مقالات المنفلوطي التي استعمل فيها التوجيه الصريح (افعل، ولا تفعل، ...)؛ لأن الغاية من المقال دعوة المتلقي إلى فعل شيء، وهي الغاية المتضمنة في القول من الأفعال التوجيهية، ومن ثم فإن تأدية المنفلوطي الأفعال التوجيهية بشكل ناجح يؤدي إلى إنجاز الغاية المقصودة وإن لم تكن بالأفعال الكلامية المباشرة.

3- الغاية الإلزامية المتضمنة في القول:

كل إلزام هو التزام من جانب المتكلم بأن يتعهد بسلوك الفعل الممثل في المضمون القضوي في المستقبل. وأمثلة الأفعال الإلزامية هي الوعود، والنذور، والتعهدات، والتعاقدات، والضمانات، والتهديد إلزامي أيضًا، ولكنه على خلاف الأمثلة الأخرى، يأتي مضادًا لاهتمام السامع، وليس لمنفعة السامع؛ فالمتكلم في الالتزاميات لا يحاول التأثير في السامع، في حين يحاول التأثير فيه التوجيهات. واتجاه مطابقة الأفعال الإلزامية هو دائمًا من العالم إلى الكلمة، وشرط الإخلاص المعبر عنه هو دائمًا القصد. فكل وعد أو تهديد، هو تعبير عن قصد عن شيء ما. والوعود والنذور، شأنها في ذلك شأن الأوامر والمطالب، لا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، ولكن يمكن أن تكون منفذة، وموفى بها، ومنكوث بها. فمن خطبة بروتس للشعب يقول لهم:

- أنا لا أريد أن أخدعكم عن أنفسكم،
- ولا أن أعبث بعقولكم وأهوائكم،
- أيها القوم، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم[27]

يتعهد بروتس للشعب بألا يخدعهم ولا يعبث بعقولهم، وهذه الأفعال مثل الوعود التي يأخذها المتكلم بفعل شيء للمستمع في المستقبل، وكذلك في خطبة أنطونيوس يقول للشعب:

- أحب أن أسيء إلى نفسي وإلى قيصر وإليكم قبل أن أقول: إنهم أخطأوا في قتل قيصر, فأسيء إليهم[28].
- فإني سأبكيكم في هذه الساعة بكاء شديدا[29].
- أنا لا أريد أن أشعل بينكم فتنة عمياء[30]،
- ولا أريد أن تطالبوا القتلة بالدماء التي أراقوها[31]،
- أنطونيوس: إنه يعطي كل فرد من أفراد الرومان خمسة وسبعين فرنكا، ويوصي بجميع غاباته ومنتزهاته ورياضه لأمته[32]

فأنطونيوس يلتزم ويعهد للمستمعين أن يسئ إلى نفسه وإلى قيصر قبل أن يسئ إلى قتلة قيصر، وهذه مغالطة غرضها كسب تعاطف الشعب، وإقناعه على استيعاب ما سيقوله، ويتعهد لهم بأنه سيبكيهم بكاءً شديدًا لمقتل قيصر، وظل أنطونيوس من خلال الأفعال الكلامية غير المباشرة؛ إذ إنه يتعهد بألا يشعل فتنة عمياء بين الشعب، في حين يبرهن بكل الوسائل الحجاجية على أن قيصر قتل ظلمًا، فيقول "لا أريد أن أشعل بينكم فتنة عمياء، ولا أريط أن تطالبوا القتلة بالدماء التي أراقوها" في حين يسعى إلى ذلك، فيقول شيئًا ويقصد شيئًا آخر.

والوصية تدخل في الأفعال الإلزامية المتضمنة في القول، فوصية قيصر هي تعهد منه والتزام بشيء نحو الشعب، ومن أقوال الشعب تأثرًا بخطبة أنطونيوس:

- آخر: الانتقام الانتقام[33].
- آخر: سنحرق منزل بروتس ومنازل رفاقه[34].

والتهديد أيضًا في قول أحد الناس: الانتقام الانتقام، وقول آخر: سنحرق منزل بروتس ومنازل رفاقه، وهي أفعال فيها وعيد وتهديد يتعهد المتكلم بفعلها في المستقبل.

4- الغاية التعبيرية المتضمنة في القول:

إن التعبير بإخلاص وصدق عن الشكر والتهاني والاعتذارات والتعازي شروط لنجاح الأفعال التعبيرية المتضمنة في القول، ففي الأفعال التعبيرية يكون المحتوى القضوي فارغا ؛ لأن صدق المحتوى القضوي مسلم به ببساطة. فإذا قلت "معذرة لأنني صدمتك" أو "التهاني في الفوز بالجائزة"، فأنا أسلم بأنني صدمتك، أو بأنك فزت بالجائزة، ومن ثم أسلم أو أفترض تناغمًا بين المحتوى القضوي والواقع. ولكن شرط الإخلاص للافعال التعبيرية يتغير بتغير نمط الفعل التعبيري. ومن ثم يكون الاعتذار مخلصًا إذا شعر المتكلم شعورًا حقيقيًا بالأسف بشأن ما يعتذر عنه. وتكون التهاني صادقة إذا شعر المتكلم شعورًا حقيقيًا بالابتهاج حول ما يكون المستمع مبتهجًا به.

ولذلك فتعبير الشعب عن الفرحة بالخلاص من قيصر في قول أحد الناس: "لتهنأ روما بالخلاص منه"[35] متأثرًا بخطبة بروتس يعد تعبيرًا ناجحًا؛ لأنه يعد شعورًا حقيقيًّا بالابتهاج، وتعبير بعض أفراد الشعب عن الحزن والتعازي في مقتل قيصر بعد خطبة أنطونيوس في قوله:

- أحد الناس: يا له من منظر فظيع.
- آخر: وا رحمتاه لقيصر.
- آخر: إن يوما يقتل فيه قيصر ليوم شره مستطير.
- آخر: يا للدناءة والسفالة.
- آخر: يا للغدر والخيانة[36].

تعد أيضًا تأدية ناجحة للفعل التعبيري المتضمن في القول؛ لأنه يعد شعورًا حقيقيًّا بالحزن والأسى لمقتل قيصر وبخاصة بعد خطبة أنطونيوس.

5- الغاية التصريحية المتضمنة في القول:

هي إحداث تغيير في العالم عن طريق تمثيله بقدر ما يتغير. فالأفعال الأدائية بالإضافة إلى التصريحات الأخرى تبدع حالة الواقع مباشرة عن طريق تمثلها كما هي مبدعة. والأمثلة المفضلة هي المنطوقات مثل: "أنا مستقيل" و"أنت مقال"، و"ألغيت المحاضرة" و"بذلك أعلنت الحرب". وفي هذه الحالات نملك اتجاهًا مزدوجًا للمطابقة؛ لأننا نغير العالم، ومن ثم ننجز اتجاه مطابقة العالم إلى الكلمة، عن طريق تمثيله بقدر ما تم تغييره، وننجز اتجاه مطابقة الكلمة إلى العالم. فالتصريحات أفعال فريدة بين أفعال الكلام في أنها تحدث بالفعل تغييرات في العالم

بمقتضى الأداء الناجح فحسب للفعل الكلامي. ولا تكون هذه التصريحات ممكنة إلا بسبب وجود مؤسسات، فإذا أعلن الأستاذ الجامعي إلغاء المحاضرة في سياق معين، فقد حدث تغيير في الواقع.

ويمكن أن تدخل الوصية ضمن هذا النوع إذا كانت بمعنى الوصية بالخلفية الإسلامية التي تعني الوجوب بحد معين، وإن كانت مثل التعهد والوعد تدخل ضمن الأفعال الإلزامية المتضمنة في القول كما تقدم في الغاية الثالثة من وصية قيصر لشعبه.

وتجدر الإشارة إلى أن المتكلم يستطيع أن يؤدي فعلًا كلاميًا في نمط من الأنماط الأخرى، مثل الوعد أو الأمر، وذلك بأن يعلن ببساطة أنه يؤديه. وعلى هذا النحو في المنطوق الأدائي "أنا أعد أن أصل وأراك" ينجز المتكلم التصريح أولًا. ويجعل المتكلم المنطوق حقيقة واقعة عن طريق التصريح بأنه يعد. ومع ذلك بمقتضى هذه الحقيقة يحدث منطوقه وعدًا. وطالما أن قوله "أنا أعد" يحدث حالة الواقع التي يمثلها قوله، أعني حالة المتكلم الواعد، فإنه يؤلف وعدًا وتقريرًا للأثر الذي مؤداه أنه وعد. وعلى هذا النحو يكون الفعل الكلامي ثلاثة أنماط من الغاية المتضمنة في القول وهي التصريح، والنمط الإلزامي، والنمط التقريري.

سابعا : الأفعال الكلامية الكلية:

تأتي الأفعال الكلامية في الخطاب على خمسة أنماط، قد ترد جميعها في النص الواحد، وقد يرد بعضها، وتختلف الغاية في كل نمط عن الآخر، ويمكن أن نعد الغاية من كل نمط الغايات الصغرى للنص، وتكون مع بعضها الغاية الكبرى للنص، ومن ثم يمكن أن يعد النص كله فعلًا متضمنًا في القول يطلق عليه الفعل الكلامي الكلي، ومن ثم فإن للفعل الكلامي الكلي هذا غاية كبرى، ويبحث المتكلم/ الكاتب عن الغاية التأثيرة لنصه من خلال تلك الغاية التأثيرية.

ومقال (سحر البيان) يتضمن فعلًا كلاميًا كليًّا، وهو فعل توجيهي متضمن في القول، غايته حث المتلقي على الحرية والتخلص من الخوف والضعف والعبودية لحملة التيجان، أو حملة البيان.

وقد جاءت الأفعال الكلامية الصغرى- إن جاز هذا التعبير – تتفق من حيث الغاية مع الفعل الكلامي الكلي، فكانت الأفعال التوجيهية المتضمنة في كل مقطع من مقاطع المقال، وإذا نظرت إلى الأوامر في صيغة (افعل) وحدها تكررت عشرين مرة، فالمنفلوطي يحث المتلقي على الحرية والتخلص من العبودية بكافة أنواعها.

والمقال ينقسم إلى أربعة مقاطع، أما المقطع الأول، فهو مقدمة تقريرية أشار المنفلوطي فيها إلى طبقتين من طبقات المجتمع، الطبقة العليا، وهي الطبقة التي يكون منها الحكام، والطبقة المحكومة، وهي الطبقة التي تتلاعب بها الطبقة العليا الحاكمة، كما يقرر أن ذلك التقسيم الطبقي لا يختلف بين المجتمعات المختلفة وعلى مر العصور، وهذه البداية تعد فعلًا كلاميًّا صريحًا يصف وينبه على المشكلة.

وأما المقطع الثاني فهو خطبة بروتس، وهذه الخطبة تضم مجموعة من الأفعال الكلامية التقريرية والتوجيهية والإلزامية وغيرها، ويمكن عد خطبة بروتس تتكون من فعل كلامي كلي تقريري يقرر فيها بروتس أنه قتل قيصر لظلمه، وتخليصًا للشعب من ذل العبودية، وقد نجح بروتس في التأثير في الشعب ويظهر ذلك من الأفعال الناتجة عن القول أو التأثير الظاهر على الشعب.

وأما المقطع الثالث فهو خطبة أنطونيوس فيتكون من فعلين كلاميين، أحدهما تقريري، يقرر فيه أن قيصر قتل ظلمًا، وأما الثاني فهو فعل توجيهي يحث فيه أنطونيوس تصريحًا وضمنيًا الشعب للأخذ بالثأر من قتلة قيصر، وقد استطاع أنطونيوس التأثير على الشعب ونجح في إشعال ثورة الثأر ضد قتلة قيصر.

ثم جاء المقطع الأخير وفيه الغاية من المقالة ويتكون من فعلي كلامي توجيهي يحث فيه المنفلوطي المتلقي على الحرية والتخلص من العبودية، وهكذا جاء المقال مجموعة متباينة من الأفعال الكلامية الكلية، منها الأفعال الكلامية التقريرية والتوجيهية.

ثامنا : الاستلزام الحواري:

اعتمد المنفلوطي في مقاله على أسلوب الحوار، أما الشخصيات المتحاورة فهي: بروتس وأنطونيوس والشعب، فكيف يمكن تفسير قدرة المتحاورين على إنشاء الأقوال وفهمها؟ وكيف يمكن إدرك المحتوى غير الحرفي للأقوال، ولماذا يتبع المتحاورون طرقًا غير مباشرة لإنجاز أقوالهم وأفعالهم؟ كيف يكون ممكنًا أن يقول المتكلم كلامًا ويقصد شيئًا آخر؟ وكيف يمكن للمستمع أن يسمع شيئًا ويفهم منه شيئًا آخر؟ هذه الأسئلة يمكن الإجابة عنها من خلال مبدأ التعاون والحِكم المحادثية، فما المقصود بمبدأ التعاون؟ وما المقصود بالحكم المحادثية؟ وكيف يتم خرق هذه الحكم؟ وماذا يترتب على هذا الخرق؟

يفترض مبدأ التعاون أن يحترم كل أطراف الخطاب لما هو مطلوب منه في عملية التبادل القول وفق اتجاه سير الأحداث وأغراضها المقبولة ضمنية من خلال مجموعة من القواعد، هي[37]:

- قاعدة الكم: تفترض أن تتضمن مساهمة المتكلم حدًا من المعلومات يُعادل ما هو ضروري في المقام ولا يزيد عليه.
- قاعدة القيمة: تفترض على المتكلم أن تكون مساهمته صادقة، فلا تؤكد ما يعتقد كذبه، أو ما يحتاج إلى الحجج لإثباته
- قاعدة المناسبة: يفترض على المتكلم أن يتحدث كلامًا داخل الموضوع، وثيق الصلة بالموضوع، وتنص على أن نقول أشياء مفيدة للتفاعل، أشياء لها علاقة بالمحادثة.
- قاعدة الكيف: تفترض على المتخاطبين الوضوح في الكلام، وتنص على أن نقول ما ينبغي على أحسن وجه، أي نتوخى النزاهة في الحوار وعلى أساس المعلومات الكافية، وقد اقترح (جرايس 1979) تعديل هذا المبدأ ليصبح على صورة "اجعل كلامك على صورة تصلح لإجابة ما"[38]، وتفترض الوضوح وتجنب اللبس والاختصار وترتيب المعلومات وفق غرض المحاورة.

فيجب على طرفي الخطاب الالتزام بهذه القواعد في الحوار، فيتولد الاستلزام الحواري نتيجة الالتزام بهذه القواعد، كما يتولد نتيجة الانحراف عن هذه القواعد[39]، فالمتكلم عندما يطرح قضية ما يفترض في السامع التفاعل وفق الغرض المطروح في خطاب المتكلم، بمعنى أن تكون مساهمة أطراف الخطاب وفق غرض المحاورة

التي انخرط فيها المتحاورن، أي يتعاون طرفا الخطاب في الوصول إلى الغرض المقبول من الحوار، فكيف كانت مساهمات أطراف الخطاب في مقال المنفلوطي.

وإذا نظرنا في الحوار في مقال (سحر البيان) نجد أن بروتس بدأ خطبته مع الشعب بداية طلبية:

بروتس "وهو على منبر الخطابة": أيها الرومانيون، أتعدونني بالصبر القليل على سماع ما أقول من حلو الكلام, ومره إكراما لموقفي, وإكراما للعدل؟[40]

فهل كانت بداية موفقة منه؟ بروتس يطلب من الشعب وعدًا بالصبر القليل على حلو الكلام ومره، ويعلل طلب الصبر القليل بأمرين، الأول: أكرامًا لموقفه. والثاني إكرامًا للعدل. فهل لقاتل أن يطلب من جمهور المقتول الصبر القليل؟ وهل للقاتل من إكرام في موقف الدفاع عن نفسه؟

إذا نظرنا إلى الحوار من ناحية التداولية؛ فإن الكلام قد لا يكون مناسبًا لموقف القاتل الذي يريد الدفاع عن نفسه، وإنما هي مغالطة عاطفية يسعى بروتس من خلالها إلى التأثير في الشعب؛ لأن القاتل ليس في موضع إكرام، ولا يتطلب الأمر معه صبرًا قليلًا؛ وإنما يحتاج إلى مزيد من الصبر إذا أراد أن يغير موقفه، ويجعل مقتل قيصر عدلًا.

وقد يكون الطلب مناسبًا من ناحية أن بروتس من خلال السؤال يعطي فرصة للشعبة في المشاركة في الحوار، فلا يفرض نفسه عليهم من باب التأدب في الحوار وفق اقتراحات (لايكوف) لمبدأ التأدب[41]، ويتكون من ثلاث قواعد[42]، هي: قاعدة التعفف ومتقضاها "لا تفرض نفسك على المخاطب"، وقاعدة التشكك ومتقضاها " لتجعل المخاطب يختار بنفسه"، وقاعدة التود ومتقضاها هو "لتظهر الود للمخاطب" فبروتس من خلال السؤال لا يفرض نفسه على الشعب، ويترك لهم حرية الاختيار بين استمرار المحاورة أو غلقها.

والدليل على رغبته في استمرار المحاورة ونجاحها التودد وفق قواعد مبدأ التأدب، بأن يظهر المتكلم الود للمخاطب، كما هو واضح من خلال أقواله التعبيرية، وكذلك من خلال تقديمه المعلومات المطلوبة في عملية التبادل القولي وفق اقتراحات جرايس لمبدأ التعاون، فأسهم بروتس بمعلومات تعادل ما هو مطلوب في هذا السياق، ومن ثم فإن الطلب في بداية الخطبة يعد إجمالًا وما بعده تفصيلًا، فقال:

"أنا لا أريد أن أخدعكم عن أنفسكم, ولا أن أعبث بعقولكم وأهوائكم, بل أريد منكم أن تنظروا إلى قضيتي نظر المستيقظ الحذر الذي لا يعطي هوادة ولا يسلس قيادا ولا ينام عن شاردة ولا واردة؛ لأني لا أعتقد أن في زاوية من زوايا قضيتي هذه كمينا أخاف أن تقع عليه العيون"[43]

وإن كان تعبير بروتس بالاعتقاد أن هناك زاوية في قضية قتله قيصر تعد كمينا يخاف أن تقع العيون عليه إسهاما حواريا يفتقر إلى قاعدة القيمة من مبدأ التعاون التي تفرض على المتكلم أن يكون إسهامه صادقا، ولا يحتاج إلى تأكيد، كما يفتقر إلى قاعدة الكيف لغموض المقصد من الكمين الذي يخاف أن تقع عليه العيون.

يتابع بروتس خطبته في الاتجاه الذي يسعى إليه، وهو توضيح الأسباب التي دفعته لقتل قيصر، في قوله:

أيها الرومانيون، إن كان بينكم صديق لقيصر يحبه, ويتهالك وجدا عليه فليسمح لي أن أقول له: أيها الصديق الكريم، إن بروتس قاتل قيصر كان يحبه أكثر من حبك إياه[44].

فجاءت إضافته من المعلومات وفق ما يقتضيه غرض المحاورة، فيقول: إنه قتل قيصر، وكان يحبه، ولا يبغضه، ولكنه يحب روما أكثر منه، وهذا استلزام حواري، أراد بروتس منه أن يثبت بطريقة مباشرة أن حب الوطن يفوق حب الأشخاص، وأن الإنسان يمكن أن يضحي بنفسه من أجل الوطن؛ لأنه في اعتقاد بروتس أن قتل قيصر فيه مصلحة الوطن.

أحب بروتس قيصر؛ لأنه كان يحبه، واحترمه لشجاعته، وقتله لطمعه، وإن كانت إضافة بروتس بتلك المعلومات يتخللها بعض المغالطات العاطفية، إلا أنها تسير وفي غرض المحاورة؛ لأن بروتس يواجه الشعب بالقدر المطلوب من المعلومات من خلال توضيح الأسباب التي قتل قيصر من أجلها، فهل كان الطمع حجة قوية لقتل قيصر؟ أم أن الحجة كانت التأثير القوي للتعبير البلاغي في قوله "ففي ساعة واحدة منحته دمعي وقلبي وخنجري"[45]

يتابع بروتس حواره مع الشعب مستنكرًا أن يرضى أحد منهم بالعيش ذليلًا، ويحزن لموت قيصر، وهنا تبدأ المفارقة الكبرى والتصريح بالحجة الأقوى لقتل قيصر؛ إذ إن حياة قيصر تستلزم أن تقابلها حياة الشعب الروماني ذليلًا، ومن ثم يتوجه بروتس إلى الشعب متجنبًا التقرير وفق مبدأ التأدب وقاعدة التشكك المتفرعة منه، بأن تترك المخاطَب يختار بنفسه، فبروتس ترك الخيار للشعب عن طريق صياغة حجته في قتل قيصر بأسلوب الاستفهام كما لو كان متشككًا، في قوله:

- من منكم يكره أن يكون رومانيا؟
- من منكم يكره أن يكون حرا؟
- من منكم يحتقر نفسه؟
- من منكم يزدري وطنه؟
- إن كان بينكم واحد من هؤلاء فليتكلم؛ لأنه هو الذي يحق له أن يثأر لنفسه مني؛ لأني لم أسئ إلى أحد سواه[46].

تعد تلك الوسيلة ناجعة في إقرار غرض المتكلم، وقد حصل لبروتس فعلًا ما أراد، بدليل إجابة الشعب:

- الشعب: لا، لا، ليس فينا واحد من هؤلاء.
- بروتس: إذن أنا لم أسئ إلى أحد منكم[47].

أراد بروتس التأثير على الشعب بقوة المغالطة أو المغالطة بالقوة "وتكمن المغالطة في هذا النوع من الحجاج في التوجه إلى سلوك المخاطبين قصد تكييفه وفق ما يريده المتكلم دون اعتبار لما يفكر فيه المخاطب أو يعتقده، ودون أن يخاطبه ليحصل على اقتناع ذاتي يكون ناتجًا عن الأثر المباشر للحجاج"[48] ولذلك صاغ بروتس أقواله وفق السؤال ليجبر الشعب على التصديق بما يريد، لأن صياغة السؤال بهذا الشكل ربما تصادر على حرية

المخاطب، كما تعطيه حرية الاختيار، "ومن ثم لا يمكن معالجة هذا النوع من الحجاج في إطار المنطق الاستدلالي؛ وإنما يمكن معالجته وفق الطبيعة التداولية التي تسعى إلى تحقيق النفع للمخاطب عن طريق إنجاز الأفعال الطلبية"[49]

لقد استطاع بروتس أن يسير في حواره وفق ذلك الغرض، غرض النفع للمخاطب، وفق ما يتطلبه التعاون بين طرفي الخطاب للوصول إلى الغاية المنشودة، فمن خلال حواره مع الشعب قدم المعلومات المطلوبة لتأكيد موقفه من قتل قيصر بالقدر المطلوب، كما أظهر من خلال بعض العبارات الود للمخاطب، مرتبًا للأفكار، واضح التعبير، متجنبًا الغموض واللبس، ومفسرًا ما غمض أو ما قد يدخله اللبس في التعبير، وقد تجاوب الشعب معه وفق غرض المحاورة، ولذلك استطاع يكسب مؤقتًا قدرًا كبيرًا من إقناع الشعب بأنه لم يقتل قيصر ظلمًا، وإن كان وصوله لتلك الغاية كانت بطريقة غير مباشرة، وعبر عنها بقوله: "إذن أنا لم أسئ إلى أحد منكم"[50].

ويواصل بروتس وفق مبدأ التعاون أن يحترم الطرف الآخر من المحاورة في عملية التبادل القولي وفق ما يفرضه اتجاه المحاورة وأغراضها المقبولة ضمنيًا، فحين قدم أنطونيوس ومعه جثة قيصر، أراد بروتس أن يحصن مكسبه من تأثير في الشعب، ويترك أنطونيوس ليأخذ دوره في الحوار في القضية المطروحة، قضية مقتل قيصر، فقال:

- ها هي جثة قيصر وها هو صديقه أنطونيوس قد جاء ليؤبنه فاستمعوا له، واعلموا أن قيصر المذنب غير قيصر الماجد، وقد سمعتم ما قيل عن الأول فاسمعوا ما قيل عن الثاني، واسمحوا لي أن أقول كلمة أختم بها خطابي[51].

استعمل أفعال الأمر التي يتضح منها أنه يمارس سلطة توجيهية قوية: (فاستمعوا... واعلموا ... فاسمعوا... واسمحوا)، خاصة بعدما حققه من مكسب أدى إلى تعاطف الشعب معه واستجابتهم له، واقتناعهم بغرضه، لقد أحدث بروتس تأثيرًا قويًا في الشعب، جعله يتمكن من فرض السلطة التوجيهية بنجاح.

يصور المنفلوطي الحالة التي عليها الشعب ومدى التأثر بخطبة بروتس، تلك الحالة التي كانت مقدمة كفيلة بغلق المحاورة، لولا امتلاك أنطونيوس الوسائل الحجاجية التي مكنته من استمرار المحاورة، وبقايا التأثير التوجيهي الذي فرضه بروتس في الفعل الطلبي.

لقد بدأ أنطونيوس خطابه بقوله:

- أيها الأصدقاء، أنا ما جئت هنا اليوم لأرثي قيصر بل لأدفن جثته[52].

يبدو أن أنطونيوس وفق قاعدة الكيف من مبدأ التعاون بوضوح ؛ إذ عبر محددًا غرضه من الخطاب أنه جاء ليدفن جثة قيصر، لا ليرثيه؟ فهل كان صادقًا في هذه البداية، أم أنه يسعى لغرض غير مباشر، وإن كانت بدايته تبدو مباشرة وواضحة؟

للإجابة عن هذا التساؤل علينا أن نرى كيف ترك أنطونيوس هذه البداية التي قال فيها إنه جاء من رثاء قيصر، وتحوَّل إلى تبرير حسنات قيصر وسيئاته متخذًا من الطبيعة الإنسانية لحياة البشر حجة مؤيدة تبدو منطقية ؛ لأن حياة كل إنسان بها أعمال حسنة وأعمال سيئة، ثم يحاول أن يهدم ما جاء به بروتس من حجج من خلال حجة أخرى أكثر منطقية، وهي: إذا مات الإنسان تموت معه حسناته، وأما سيئاته فتبقى من بعده خالدة إلى يوم يبعثون ، وفي ذلك دحض لحجة بورتس أنه قتل قيصر ؛ لأنه كان طماعًا؛ فإذا افترض جدلًا أن قيصر كان كذلك، فهي سيئة واحدة في مقابل حسناته الكثيرة، قال أنطونيوس:

- أيها القوم، ما من أحد من الناس إلا وله في حياته أعمال حسنة, وأخرى سيئة.
- أما حسناته فتموت بموته, وأما سيئاته فتبقى من بعده خالدة إلى يوم يبعثون.
- كذلك كان قيصر في حياته ومماته، وحسناته وسيئاته[53].

ثم انتقل أنطونيوس إلى الحديث عن بروتس، فيتوجه إلى الشعب ويقرر أمامهم أنه ما كان ليستطيع أن يقف أمامهم في موقفه هذا إلا بسبب بروتس الذي أمركم أن تسمعوني وأمرني بالكلام، ويقرر أنه أطاعه، ويعلل أسباب ذلك بأن بروتس رجل شريف!، كما يعترف مؤقتًا برأي بروتس في أن قيصر كان طماعًا، وأنه لا يستطيع أن يخالفه الرأي؛ لأن بروتس رجل شريف! كما يقرر أيضًا أنه لا يستطيع أن يقول للشعب إن قيصر كان رجلًا قانعًا عادلًا؛ لأن الشريف بروتس يقول غير هذا، قول أنطونيوس:

- أيها القوم، ما كنت لأستطيع أن أقف موقفي هذا بينكم ولا أن أقول كلمة مما أريد أن أقول لولا أن بروتس قاتل قيصر أمرني بالوقوف وأمرني بالكلام, وها أنتم ترون أنني قد أطعته واستمعت له؛ لأنه رجل شريف.
- أيها القوم، يقول الشريف بروتس: إن قيصر كان رجلا طماعا وأنا لا أستطيع أن أخالفه فيما يقول؛ لأنه رجل شريف.
- أنا لا أستطيع أن أقول: إن قيصر كان رجلا قانعا عادلا أمينا؛ لأن الشريف بروتس يقول غير هذا[54].

فهل أنطونيوس يقصد ما يقول؟ هل يقصد أن بروتس حقًا رجل شريف؟ هل يقصد أنه لا يستطيع مخالفة بروتس في أقواله فعلًا؟ فإذا كان الجواب بلا، فماذا يقصد؟ ولماذا يقول ما لا يقصد؟ ولماذا يتبع طرقًا غير مباشرة لإنجاز أقواله وأفعاله؟

تسطيع التداولية الإجابة عن تلك الأسئلة عن طريق مجموعة من المبادئ الحوارية، ويعد مبدأ التعاون أحد أهم هذه المبادئ والذي يفترض عليهم اتباع عددًا معينًا من القواعد الضمنية اللازمة في التواصل الكلامي كما تقدم، فما مدى صدق المعلومات التي أسهم بها أنطونيوس في هذه المحاورة وما مدى مناسبتها لغرض المحاورة.

يبدو أن أنطونيوس لا يقصد أن بروتس رجل شريف كما قال، وفي ذلك مخالفة لقاعدة القيمة؛ لأنه يقول ما يعتقد كذبه، وفي ذلك مغالطة بأسلوب المدح والثناء، فعندما يكرر أنطونيوس وصف بروتس بالشريف وهو وصف ظاهره المدح والإذعان له، وغايته "التأثير في نفوس المستمعين لحملهم على الاقتناع بكلامه، حتى وإن كانت الحجة ضعيفة، أو كان هذا الثناء في باطنه هجاء"[55] ومخالفة قواعد التعاون يتولد عنه استلزام حواري، فهو يستلزم أولًا أن بروتس ليس شريفًا، وهو ما ينفي اعتقاد بروتس في أن قيصر كان طماعًا، كما ينفي أيضًا أن أنطونيوس لا يستطيع مخالفة بروتس، ويثبت أن قيصر كان عادلًا، ثم شرع أنطونيوس بإضافة المعلومات الضرورية في المحاورة وفق قواعد مبدأ التعاون، فجاءت أقواله واضحة ومباشرة، في قوله:

- كل ما أستطيع أن أقوله, إن الفدية التي افتدى بها أعداؤنا أسراهم الذين جاء بهم قيصر إلى روما قد ملأت الخزانة العامة حتى فاضت بها.
- كل ما أستطيع أن أقوله, إني رأيت قيصر بعيني يبكي لبكاء الفقراء ويحزن لحزنهم, ويبيت الليالي ذوات العدد ساهرا لا يغتمض له جفن حدبا بهم, وعطفا عليهم.
- كل ما أستطيع أن أقوله, إني عرضت بنفسي تاج الملك على قيصر في لوبركال ثلاث مرات فأباه زهدا فيه, وازدراء له.
- كنت أستطيع أن أقول: إن الطمع لا يسكن قلبا مثل هذا القلب, ولا يخالط فؤادا مثل هذا الفؤاد لولا أن بروتس يقول: إن قيصر رجل طماع, وأنا لا أستطيع مخالفته لأنه رجل شريف[56].

ثم انتقل أنطونيوس إلى وصف حالة قيصر مع الشعب، بعد أن حاججهم بالحجج السابقة، وقد جاء إسهامه وفق قاعدة التشكك من مبدأ التأدب؛ إذ صاغ أنطونيوس أقواله الموجهة إلى الشعب في صيغة السؤال، وهو يعطي فرصة للشعب أن يختار بنفسه، ويزيل عنه الخجل إذا أراد الاعتراض، ولم يستعمل أنطونيوس صيغة السؤال فقط رغبة في الوصول إلى غايته من الحوار؛ وإنما استعمل أيضًا الأمريات رغبة في أن يفعل المستمع الفعل المُوَجَّه، نحو قوله:

- أيها الرومانيون، إنكم أحببتم قيصر قبل اليوم حبا جما, فما الذي يمنعكم اليوم من البكاء عليه؟
- إن لم تبكوه لصفاته الكريمة فابكوه لأنكم كنتم تحبونه، ابكوه لأنه كان بالأمس ينطق الكلمة فتدوي في صدور العظماء دوي الرعد في آفاق السماء، فأصبح اليوم مطرحا في ظل هذا الحائط, لا يجد بين الناس من يأبه له ولا من ينظر إليه.
- أيها العقل الإنساني، كيف حالت حالك وتغيرت آيتك؟ وكيف انتقلت من الصدور الإنسية إلى الصدور الوحشية؟ وكيف ضللت سبيلك وعميت عليك مذاهبك فحسبت الخير شرا، والشر خيرا، واختلط عليك الأمر بين الحسنات والسيئات, والمكارم والجرائم؟[57]

ويستمر أنطونيوس في قول غير ما يقصد، ولكنه بدأ يتحسس من غرضه شيئًا فشيئًا، فتراه يستعمل أفعال الظن بعد استعمله أفعال التوكيد، في قوله:

- إنني أعتقد أن بروتس ورفاقه قوم شرفاء عظماء؛ لذلك أحب أن أسيء إلى نفسي وإلى قيصر وإليكم قبل أن أقول: إنهم أخطئوا في قتل قيصر, فأسيء إليهم[58].

ثم أنجز فعلا غير لغوي ولكنه قوي التأثير "أرسل من جفنيه قطرات من الدموع"[59]، وكان نقطة التحول في الحوار لظهور التأثير الإيجابي في الشعب، وبداية تحقيق غرض أنطونيوس من الحوار، وقد توالت الآثار المرتبة على أقواله في أفعال الشعب وأقوالهم، كما يظهر من أقوالهم، ثم يحاول أن يترك للشعب الاختيار أيضًا في طلبه في قوله:

- أتأذنون لي بالنزول من المنبر لأقف قليلا بجانب جثة القتيل؟[60]

فكانت استجابة الشعب قوية ومن هنا تملك أنطونيوس سلطة تأثيرية قوية جدًا، استطاع من خلالها التأثير في الشعب وفق الغاية التي يسعى إليها.

وتبدو المغالطة في خطاب أنطونيوس في اختلاف المقدمات عن النتيجة؛ إذ بدأ حواره بقوله: "أنا ما جئت هنا اليوم لأرثي قيصر بل لأدفن جثته"[61] ثم قال "فابكوه لأنكم كنتم تحبونه، ابكوه لأنه كان بالأمس ينطق الكلمة فتدوي في صدور العظماء دوي الرعد في آفاق السماء"[62]، وصف بروتس بالشريف غير مرة، ثم يبرهن على ظلمه في قتل قيصر، وتراه يقول: " لولا أني أوثر الإبقاء عليكم, ولولا أني أحب تخفيف ما ألم بقلوبكم من الحزن على فقيدكم لتلوت عليكم وصيته لتعلموا أن الرجل كان يحبكم, وأنه ما كان خليقا أن يقتل بينكم وفيكم عين تطرف وفؤاد يخفق" ثم يختم خطابه "في موقفه وحده: أيتها الفتنة العمياء, قد أيقظتك من مرقدك فارفعي رأسك وامضي في سبيلك واشتعلي حتى يحرق لسانك أديم السماء, وحتى لا تبقي على شيء مما حواليك"[63] ومن ثم فإن خطاب أنطونيوس حجاج مغالط؛ لأنه "يعتمد في بلوغ هدف على الإضمار، فهو من أهم مقوماته ويستخدم لذلك أساليب التضليل والتشويه والتعتيم كالسلطة، والكذب، والسؤال الملغوم .. وغيرها من الأساليب، وسيلة لإخفاء المقاصد الحقيقية"[64]

ولذلك عندما استشهد المنفلوطي بالشخصية التاريخية متمثلة في شيخصيات قيصر وبروتس وأنطونيوس اتخذ من السياق التاريخي وسيلة إقناعية، ليوضح أثر سلطة القول والسلطة السياسية في استعباد الشعوب.

الخاتمة:

- يهدف المقال إلى غاية توجيهية يدعو فيه المنفلوطي المتلقي إلى الحرية والتخلص إلى من العبودية، واتخذ المنفلوطي من الاستشهاد بنص من رواية (يوليوس قيصر) وسيلة إقناعية توجيهية لغرض مقاله.
- استعمل المتحاوران الحجاج المغالط أثناء العملية التواصلية ليستدل كل طرف على صدق دعواه وفق الالتزام بالقواعد العامة لمبدأ التعاون ومبدأ التأدب أوخرقها.

- جاءت الأفعال الكلامية في المقال متنوعة بين الأفعال التوجيهية والتعبيرية والتقريرية والإلزامية والتصريحية، وإن ظهرت الأفعال التوجيهية بصورى ملحوظة؛ إذ يهدف المنفلوطي إلى دعوة المتلقي إلى التخلص من العبودية، كما يهدف بروتس إلى دعوة الشعب إلى الإذعان والاقتناع بمقصده، كما يهدف أنطونيوس إلى إقناع الشعب بخطأ بروتس وتجيههم إلى مقصده، فكانت تلك السلطة التوجيهية هي المسيطرة على المقال.

المصادروالمراجع

المصادروالمراجع العربية:

1. آن روبول، وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوي ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، ، دار الطليعة، بيروت-لبنان، ط1، 2003.
2. جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، عدد 1812، 2011.
3. ربيعة برياق، المغالطات الحجاجية وخرق مبادئ التحاور في مناظرة العصر بين أحمد ديدات وأنيس شروش، سياقات اللغة والدراسات البينية، ج2، ع5، 2017.
4. روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء: ترجمة: تمام حسان،عالم الكتب، ط1، 1418هـ-1998.
5. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت، ط1، 1998م.
6. عبده العزيزي، المغالطات الحجاجية دراسة تداولية لنماذج من مقالات المنفلوطي، سياقات اللغة والدراسات البينية، ع5، 2017.
7. عبده العزيزي، معالم التداولية في كتاب النظرات للمنفلوطي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ط1، 2017.
8. عيد مهدي بلبع، التداولية البُعد الثالث في سميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، دار بلنسية، شبين الكوم- المنوفية، مصر، ط1، 2009.
9. عيد مهدي بلبع، المغالطة الحجاجية في سياق الاستشهاد: تأصيل منهجي، سياقات اللغة والدراسات البينية، ع5، 2017.
10. فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تعريب: صابر الحباشة، وعبد الرازق الجمايعي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2012.
11. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لنظرية الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط1، 2005.
12. مصطفى لطفي المنفلوطي، النظرات، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1402- 1982.
13. نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبة، مراجعة نجوى نصر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009.

المصادر والمراجع الأجنبية:

14. Geoffery.N.Leech: Principle of Pragmatics : Geoffery.N.Leech, Longman, London And New York,1983.
15. Grice,Logic and conversation, in Cole peter and Morgan.Jerry.L.(eds): Speech acts, in Syntax and Semantics. Vol.3,New York.1975.
16. How to do things with words: J. L. AUSTIN , Oxford University Press, Amen House, London, E .C .q, 1962.
17. John Rogers Searle, Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language, symindicate of the university of Cambridge, united kingdom 1999.
18. Labov, William, Sociolinguistic Patterns, University of Pennsylvania Press, 1972.

---

(1) المنفلوطي، النظرات، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1402– 1982: 2/ 111.

(2) المنفلوطي، النظرات: 2/ 111.

(3) السابق، والصفحة نفسها.

(4) انظر عن ارتباط التداولية بفكرة الاستعمال: عيد بلبع، التداولية البُعد الثالث في سميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، دار بلنسية، شبين الكوم– المنوفية، مصر، ط1،2009م، صـ25.

(5) راجع عن هذه الأنماط: نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبة، مراجعة نجوى نصر المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009، ص 205.

(6) المنفلوطي، النظرات: 2/ 111.

(7) السابق: 2/ 123.

(8) نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبة: ص 207.

(9) المنفلوطي، النظرات: 2/ 113.

(10) انظر عن ارتباط اللسانيات بالسياق الاجتماعي:

Labov, William. (1972). Sociolinguistic Patterns, University of Pennsylvania Press, p160.

(11) المنفلوطي، النظرات: 2/ 121.

(12) How to do things with words: J. L. AUSTIN , Oxford University Press, Amen House, London, E .C .q, 1962, p.91.

(13) جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة: صلاح إسماعيل،المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2011، عدد 1812، ص173.

(14) السابق، والصفحة نفسها.

(15) انظر:

John Rogers Searle, Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language , symindicate of the university of Cambridge, united kingdom 1999, p 63.

([16]) عيد بلبع، المغالطة الحجاجية في سياق الاستشهاد: تأصيل منهجي، سياقات اللغة والدراسات البينية، ج2، ع5، 2017، ص 7.

([17]) المنفلوطي، النظرات: 2/ 114.

([18]) نعتمد على ما انتهى إليه جون سيرل من تعديلات على تقسيمات أوستين للأفعال الكلامية انظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة: صلاح إسماعيل: ص 181- 183.

(19) انظر عن ارتباط الأفعال الكلامية بقضية الخبر والإنشاء في التراث العربي من خلال دراسة الأفعال الكلامية عند الأصوليين والنحاة العرب: مسعود صحراوي في كتابه: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لنظرية الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط1، 2005م، 129- 219.

([20]) المنفلوطي، النظرات: 2/ 113.

([21]) السابق: 2/ 114.

([22]) المنفلوطي، النظرات: 2/ 116.

([23]) السابق: 2/ 117 - 118.

(24) السابق: 2/ 118.

(25) السابق: 2/ 121.

([26]) عبده العزيزي، معالم التداولية في كتاب النظرات للمنفلوطي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ط1، 2017، ص 93، 94.

([27]) المنفلوطي، النظرات: 2/ 112، 113.

([28]) المنفلوطي، النظرات: 2/ 118.

([29]) السابق: 2/ 120.

([30]) السابق: 2/ 121، 122.

([31]) السابق: 2/ 122.

(32) السابق، والصفحة نفسها.

(33) السابق: 2/ 121.

(34) السابق: 2/ 123.

(35) المنفلوطي، النظرات: 2/ 115.

(36) السابق: 2/ 121.

37) انظر عن هذ القواعد: آن روبول، وجاك موشلار : التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوي ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت–لبنان، ط1، 2003، ص 55، 56. فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تعريب: صابر الحباشة، وعبد الرازق الجمايعي، عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن، ط1، 2012م، ص 64.

(38) انظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء: ترجمة: تمام حسان،عالم الكتب، ط1، 1418هـ–1998، ص 497.

(39) انظر:

Grice,Logic and conversation, in Cole peter and Morgan.Jerry.L.(eds): Speech acts, in Syntax and Semantics. Vol.3,New York.1975. p 45-46.

(40) المنفلوطي، النظرات: 2/ 112.

(41) انظر:

Geoffery.N.Leech: Principle of Pragmatics : Geoffery.N.Leech, Longman, London And New York,1983, p144.

(42) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– بيروت، ط1، 1998م، ص 240،241.

(43) المنفلوطي، النظرات: 2/ 112، 113.

(44) المنفلوطي، النظرات: 2/ 113.

(45) السابق، والصفحة نفسها.

(46) المنفلوطي، النظرات: 2/ 113، 114.

(47) السابق: 2/ 114.

(48) عبده العزيزي، المغالطات الحجاجية دراسة تداولية لنماذج من مقالات المنفلوطي، سياقات اللغة والدراسات البينية، ج2، ع5، 2017، ص 194.

(49) عبده العزيزي، المغالطات الحجاجية دراسة تداولية لنماذج من مقالات المنفلوطي: ص 194.

(50) المنفلوطي، النظرات: 2/ 114.

(51) السابق، والصفحة نفسها.

(52) المنفلوطي، النظرات: 2/ 116.

(53) السابق، والصفحة نفسها.

(54) المنفلوطي، النظرات: 2/ 116، 117.

(55) ربيعة برياق، المغالطات الحجاجية وخرق مبادئ التحاور في مناظرة العصر بين أحمد ديدات وأنيس شروش، سياقات اللغة والدراسات البينية، ج2، ع5، 2017، ص 41.

(56) المنفلوطي، النظرات: 2/ 117.

(57) المنفلوطي، النظرات: 2/ 117، 118.

(58) السابق، النظرات: 2/ 118.

(59) السابق، والصفحة نفسها.

(60) السابق: 2/ 119.

(61) المنفلوطي، النظرات: 2/ 116.

(62) السابق: 2/ 117.

(63) السابق: 2/ 123.

(64) ربيعة برياق، المغالطات الحجاجية وخرق مبادئ التحاور في مناظرة العصر بين أحمد ديدات وأنيس شروش، ص 39.

عودة الضمير إلي البعيد في التراكيب اللغوية، قراءة في القصد النفسي

الدكتور : **حمدي علي بدوي أحمد راشد**
جامعة سوهاج / كلية الآداب

الملخص:-

يتناول هذا البحث أبعاد القصد النفسي في توجيه الدلالة ، وفي تحليل التراكيب اللغوية و تفسيرها ؛ وينطلق من أمر أكدته الدراسات التداولية الحديثة ،وهو أن العبرة في إدراك القصد المركزي ليست في القوالب اللغوية المتراصة حسب قرينة الرتبة المحفوظة أو المحركة ؛ إنما يتوقف الأمر علي ما تحمله موقعية القوالب اللغوية و الإشارية من أبعاد نفسية ، خاصة وأن القوالب اللغوية هي صوت النفس ، فنحن نتكلم بالنفس لا بالكلمات .

وهذا لا يقدح في الترتيب الدلالي للجمل التامة ، حسب معايير الإفادة و الاستقلال و التمام ، أو إلزام المتلقي بإعادة الضمير علي القريب ، أو علي البعيد ، لأن القصدية النفسية لا تلتزم بالتجاور أو التراص ؛ إنما يترك مؤلف النص أو التركيب قرائن لفظية ، أو عقلية ، أو سياقية تقرِّب التوجيه

المقدمة:-

هناك حقيقة لغوية يؤمن بها الباحث ، وهى أن الألفاظ و دلالاتها ؛ " تمثل تجارب الحياة ([1])، بالنسبة لأصحاب اللغة ، و لا نبالغ إذا قلنا : إنه عن طريق هذه التجارب تتشكل الدلالات ، و تصبح لكل لفظة دلالتها الخاصة بها ؛ و قد رصد العلماء منذ القدم دلالات الألفاظ ، فى دراسات مستقلة ، تعرف باسم المعاجم ".([2])

وقد أنكر عبد القاهر الجرجاني أن تكون الفصاحة من ميزات اللفظ المفرد ، لإيمانه بأن فصاحة اللفظ عائدة إلى المعنى ، وأن هذه الفصاحة لا تظهر إلا بضم الكلام بعضه إلى بعض ، في جملة من القول، أو في نص من النصوص ، ومما يدل على ذلك ، أننا نرى اللفظة فصيحة في موضع ، وغير فصيحة في مواضع كثيرة ، ومن ثَمَّ فإن المزية التي من أجلها استحق " اللفظ الوصف بأنه فصيح ، هي فى المعنى دون اللفظ ؛ لأنه لو كانت بها المزية التي من أجلها يستحق الوصف بأنه فصيح ؛ تكون فيه دون معناه ، لكان ينبغي إذا قلنا في اللفظة : إنها فصيحة، أن تكون تلك الفصاحة واجبة لها في كل حال".([3]) في إشارة منه إلي الأبعاد النفسية التي تجسدها القوالب اللغوية .

المحور الأول : بعنوان : جدلية العلاقة بين الدوال و القصد النفسي (إن ترتيب التركيب و انتخاب قوالبه هو صوت النفس):

إن مؤلف النص - تراكيب أو نصوصًا - يرتّب - فى نفسه - ما يريد أن يتكلم به ، ويوجه النفس إليه ، وإذا رجعنا إلى أنفسنا ؛ لم نجد لذلك معنى سوى أنه يقصد إلى قولك : (ضرب) ، فيجعله خبرًا عن زيد ، و يجعل الضرب ، الذى أخبر بوقوعه منه واقعًا على عمرو ، و يجعل يوم الجمعة زمانه الذى وقع فيه ، و يجعل التأديب غرضه ، الذى فُعل الضرب من أجله ، فيقول : ضرب زيد عمرًا يوم الجمعة تأديبًا له ، و هذا ، كما ترى ، هو توخى معانى النحو ، فيما بين معانى الكلم ".([4])

ومن الجيد التأكيد علي أنه لا تؤدى الألفاظ - وحدها - المعنى عند الفخر الرازي – وعند المحققين من علماء العربية - إنما يستعين الإنسان بحواسه ، و أدواته ، و فطرته ، وسياقه التاريخي ، و الثقافي ، والاجتماعي ، فى التصريح بمعنى ما ؛ فقد يعبِّر الشخص عن مقصوده بالإيماءات و الإشارات ، أو يتعاون طرفا النص ؛ المؤلف و المتلقى ، بوصفهما مستخدمى النص ؛ فى توصيل المعانى من خلال الألفاظ و مساعداتها ، كالتصفيق باليد ، و الحركة بسائر الأعضاء . و احتج لذلك بقوله : " لو جُمع جمعٌ من الأطفال فى دار ، بحيث لا يسمعون شيئًا من اللغات ، فإذا بلغوا الكبر ، لا بد أن يحدثوا فيما بينهم لغة ما ؛ يخاطب بها بعضهم بعضًا ، و بهذا الطريق يتعلم الطفل اللغة من أبويه ، و يعرِّف الأخرس غيره ما فى ضميره ".([5])

فقولهم: " لفظ ليس فيه فضل عن معناه ، مُحال أن يكون المراد به اللفظ ، لأنه ليس ، ههنا، اسم أو فعل أو حرف ، يزيد على معناه أو ينقص عنه. كيف وليس بالذرع وضعت الألفاظ على المعاني، وإن اعتبرنا المعاني المستفادة من الجمل فكذلك ، وإنما يختلُّ اللفظ عن المعنى أن تريد الدلالة بمعنى على معنى، فتدخل في أثناء ذلك شيئاً لا حاجة بالمعنى المدلول عليه إليه، وكذلك السبيل في السبك والطابع لا يحتمل شيئًا من ذلك أن يكون المراد به اللفظ من حيث هو لفظ".([6])

- **القوة النفسية لقصد مؤلف النص:**

لقد كان العرب الفصحاء ؛ إذا أرادوا أن يذكروا جملة فعلية أو اسمية ، تشتمل علي معني مهم أو غرض فخم ؛ يستحق توجيه الأسماع و النفوس إليه ، لم يذكروها مباشرة ، خالية ممَّا يدل علي تلك الأهمية و المكانة ، وإنما يقدمون لها بضمير يسبقها ، ليكون هذا الضمير – بما فيه من إبهام وتركيز ، و لا سيما إذا لم يسبقه مرجعه – مثيرًا للشوق و التطلع إلي ما يُزيل إبهامه ؛ باعثًا للرغبة فيما يبسط تركيزه ، فتجيء الجملة بعده ، و النفس مقبلةٌ عليها في حرص و رغبة ، فتقديم الضمير ليس إلَّا تمهيدًا لهذه الجملة المهمة ؛ لكنه يتضمن معناها تمامًا ، ومدلوله هو مدلولها ، فهو بمثابة رمز لها ، أو لمحةٍ ، أو إشارة ، أو توجيه إليها ".([7])

وللقصد قوة نفسية ، وفيها يتم " الانتقال من اللغو إلي اللغة ، ومن اللغة إلي الخطاب ، وبه يتواصل الإنسان مع الذي هو من جنسه ، فيؤثر فيه ، بل يستطيع أن يغيِّر أهواءه وأفكاره ، وقناعاته ، وحتي معتقداته ، ضمن شراكة جماعية ، تكون السيادة فيها لمن يمتلك سحر البلاغة ، وفن الجدال ، وسلطة الحجاج ، وقوة الإقناع ، بامتلاك أدواته ، والتأثير فيمن حوله ، أو فيما حوله علي تعميم القصد و العبارة".([8]) حيث يؤدي انفتاح الدلالة – من دون ضابط - إلي تضليل القصد أو تحويله . ويريد منتج النص – بنصه في صورته الملفوظة أو الإشارية – إلي إحداث تأثيرات ما علي جمهور المتلقين ، حين يتعرفون مقصده ، فهو يهدف – ويخطط- من أجل أن يُساعد المتلقين علي تحسين تحليلهم لمعاني الكلمات , القوالب اللغوية و الإشارية ؛ التى تكمن دقتها فيما تستند إليه من مقاصد ؛ وليس فيما لها من تجلِّيات مادية ".([9])

ويؤمن الفخر الرازي بتحرك الدلالة ، بمقدار ما تسمح به القوالب اللغوية // الألفاظ مع سياقاتها ، و ثقافتها المجتمعية ، وما تحمله من شحنات دلالية ، تسمح بتعدد القراءة للنص بعينه ([10]) و هو ذاته ما أشار إليه الأستاذ الدكتور تمام حسان فى كتابه : **(دلالة الألفاظ)** حين أرجع التغير الدلالي للألفاظ إلى عاملين ، هما الاستعمال و الحاجة ، فقد يؤثر فى الدلالة سوء الفهم ، و بلى الألفاظ ، و الابتذال ، أو قد يؤثر فيه التطور الاجتماعي أو الطبقي أو المهني ، أو الاقتصادي و السياسي ؛ مما يؤثر على الألفاظ من التخصيص أو التعميم أو الكلية أو الاشتمال ".([11])

- **القوالب اللغوية والإشارية هي ترجمان النفس :**

من الجيد الإشارة إلي أن الألفاظ و العبارات - من منظور علم النفس اللغوي - ما هي إلَّا ترجمات للفكر الإنساني ، وخلجات الأنفس ، التى لا تسطيع أن تعبر عنها القوالب الكلامية الملفوظة ، لأنه من العلوم أن النظام اللغوي لا يقوم علي خدمة الأغراض المنطقية وحدها ، بل غايته التعبير عن المشاعر والأحاسيس الداخلية عند الفرد ؛ ويذكر أستاذنا الدكتور تمام حسان أن المعني خاضعٌ للتكوين النفسي للفرد ، فيخضع تارة للغرائز ، وتارة أخري لغريزة واحدة بعينها ، تعتبر من أهم الغرائز ، وقد تخضع للعقل الظاهر أو العقل الباطن ؛ وقد تخضع للحاجات العضوية أو غير العضوية ؛ ممَّا يحسُّه الفرد ".([12])

وأن العلاقة - بين اللفظ و المعني - ليست علاقة اعتباطية على إطلاق الدلالة ؛ لذا فالألفاظ – عند الفخر الرازي – إنما هي قوالب هيكلية تعبِّر عمَّا فى العقل من صور عقلية \ ذهنية ، أو عمَّا في النفس من خلجات قلبية (وجدانية) فلا يمكن الجزم بتعبيرها عن الأعيان الخارجة عن الضمير الذاتي لمؤلف بعينه من دون غيره .

وفى هذا السياق يقول : " للألفاظ دلالات على ما فى الذهن ، لا ما فى الأعيان ، و لهذا السبب يقال : الألفاظ تدل على المعاني ؛ لأن المعاني هى التى عناها العاني ، وهى أمور ذهنية ، و الدليل على ما ذكرناه ؛ أنا إذا رأينا جسمًا من البعد ، و ظنناه صخرة ، قلنا : إنه صخرة ، فإذا قَرُبنا منه ، و شاهدنا حركته ، و ظنناه طيرًا ، قلنا : إنه طير ، فإذا ازداد القرب ؛ علمنا أنه إنسان ، فقلنا : إنه إنسان ، فاختلاف الأسماء عند اختلاف التصورات الذهنية ؛ يدل على أن مدلول اللفظ ، هو الصور الذهنية ، لا الأعيان الخارجة ".([13])

وبإسقاط فكرة الرازي علي الضمير ، نجد أن الضمير يشكِّل صوت النفس الذي لابد منه ، في صياغة التراكيب البليغة و الصادقة ، حتي يُمكن القول بتحقق الاتصال بين الألفاظ و معانيها ؛ وبين هذه المعاني و صورها النفسية ، حيث إن صوت النفس هو الذي يشكل تأليف تناغم القوالب اللغوية من أصغرها إلي امتدادها ، و تنجلي زفرة النفس ، فرحًا أو حزنًا ، من طريقة التركيب و النظيم ، حتي تضحي كل وحدة لغوية خطوة للمعني ، في سبيله إلي النفس .

- **المواضعة (العقد اللغوي) :**

وتخضع تلك الألفاظ // الدوال ، أو القوالب الإشارية ، بما في ذلك حديث الصمت ، و حديث الاعتبار ؛ لمدلولاتها المعروفة فى جماعتها اللغوية ؛ إلا إذا كانت من الله – تعالى - " فإذا كان الواضع هو الله – تعالى – كان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين ؛ كتخصيص وجود العالم بوقت مقدر ، دون ما قبله ، أو ما بعده ؛ و إن كان الواضع الناس ؛ فيحتمل أن يكون السبب خطورة ذلك اللفظ ، فى ذلك الوقت ؛ بالبدل دون غيره ، كما قلنا فى تخصيص كل شيء بعلم خاص ، من غير أن يكون بينهما مناسبة ".([14])

ولقد أدرك عبد القاهر و غيره من علماء اللغة أبعاد اللغة النفسية ، حين جاوز بالمعني حدود اللفظ ؛ فجعل من مستويات النظم ما أكَّده من كون هذا النظم ، مما يُمتع العين ، فى الصورة و الدلالة ، و كأنه أصباغ تتلاحق ، تشهد بالفضل لمبدعها ، بيد أنها لا تنفك عن دائرة الفكر الجمعي لجماعة لغوية ما ، وفى هذا السياق يقول : " اعلم أن من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه والحُسْنَ ، كالأجزاء من الصِّبْغ تتلاحق ، وينضم بعضها إلى بعض ، حتى تكثر في العين ، فأنت لذلك لا تُكْبِر شأن صاحبه ، ولا تقضي له بالحذق والأستاذية ، وسَعَة الذَّرْع وشدة المُنَّة ([15]) ، حتى تستوفي القطعة ، وتأتي على عدة أبيات. وذلك ما كان من الشعر في طبقة ما أنشدتك من أبيات البحتري ".([16])

ويقول : " ومنه ما أنت ترى الحسن يهجُم عليك منه دفعة ويأتيك منه ما يملأ العين ضربة، حتى تعرف من البيت الواحد مكان الرَّجل من الفضل ، وموضعه من الحذق ، وتشهد له بفضل المُنّة وطول الباع ، وحتى تَعلم ، إنْ لم تَعلم ، القائلَ ، أنه من قيل شاعر فحل ، وأنه خرج من تحت يد صَنَاعٍ ، وذلك ما إذا أنشدته ؛ وضعت فيه اليد على شيء ، فقلت: هذا، هذا !! وما كان كذلك فهو الشعر الشاعر، والكلام الفاخر، والنمط العالي الشريف ، والذي لا تجده إلا في شعر الفحول البُزَّل([17]) ، ثم المطبوعين الذين يُلْهَمون القول إلهامًا ".([18])

فمن الصفات " التي تجدهم يجرونها على اللفظ ، ثم لا تعترضك شبهة ، ولا يكون منك توقف في أنها ليست له ، ولكن لمعناه كقولهم : لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة ؛ حتى يُسابق معناه لفظه ولفظه معناه ، ولا يكون لفظه أسبقَ إلى سمعك من معناه إلى قلبك . وقولهم: يدخل في الأذن بلا إذن ، فهذا مما لا يشك العاقل في أنه يرجع إلى دلالة المعنى على المعنى ، وأنه لا يُتصور أن يُراد به دلالة اللفظ على معناه الذي وضع له في اللغة ". ([19])

- **صوت النفس قد يتحقق في اللفظ المفرد :**

أدرك الجاحظ(ت 255هـ) أبعاد علم النفس اللغوي ، حين عدَّ الإشارات ، و الإيماءات دلائل تعبيرية قصدية ، أو أمارات قد تسدُّ خللًا في قدرة المؤلف علي صياغة قصده ، أو في إنجاح عملية التواصل ؛ حين لا تنجح الألفاظ في حمل صوت النفس ، أو أن يعجز مؤلف النص عن انتخاب معينات لفظية علي إبراز قصده ، فيقول: " ما أكثر ما تنوب عن اللفظ ، وما تُغني عن الخط، وفي الإشارة بالطرف و الحاجب ، وغير ذلك من الجوارح ، موفق كبير ، ومعونة حاضرة، في أمور يسترها بعض الناس من بعض، وحُسْن الإشارة باليد والرأس من تمام البيان باللسان ".([20])

فالأصل أن يربط المؤلف بين القصد و المنطوقات الكلامية أو الإشارية ، أو السياقية ، أو العرفية ، فيوازن بين ما ينطقه ، و بين ما يقصده ، لأنه لا يُمكن – بحال – إهمال التأثير الذهني للمنطوقات العرفية ، لينوّع من قوالبه المستثمرة و المنتخبة ، و يجعل مكوناتها أكثر شفافية ، و إن غمضت ؛ حملتْ غموضًا فنيًّا جميلًا ، يتلقاه المتلقي بالقبول . فإذا قال الإنسان كلمة ، نحو : الحق ، و صمت ، لترك في تلك الكلمة معني نفسيًّا ، مرده إلي خلفية المتلقي عن هذا المؤلف ، و عن عِلّية هذا التصرف اللغوي ، فإذا ما قال : العلم ، فله وجهة نفسية ؛ وإذا ما قال : الجامعة ، لظن المتلقي أن هذه الكلمة تحمل بُعدًا ما ، إيجابًا أو سلبًا ؛ شغل حيزًا ما في ذهنه أو في عقله ، فصاغة في قالب لغوي واحد .

وسيتناول الباحث القراءة النفسية لقصد المؤلف علي ضوء من أبعاد علم النفس اللغوي، حيث تنطلق تداولية عودة الضمير علي البعيد ممَّا قرره علماء النفس اللغوي ؛ من أن كل كلمة أو كل جملة ، أو نص يتكون من أربعة عناصر أساسية ، هي :

- المدلول عليه، وهو الشيء المقابل للقالب اللغوي في عالم الواقع ، سواءً أكان ماديًّا أم معنويًّا .
- الناحية الانفعاليــة .
- النغم (Toine) .
- القصد .([21])

المحور الثاني : الجانب التطبيقي للبحث (نماذج تطبيقيـــة) :

تُشير تداولية عودة الضمير إلي البعيد إلي ما يُنجزه من الشحنات النفسية ، إضافة إلي الرسالة الفكرية التى تحملها ، بيد أنها تركز علي الرغبة في توجيه المتلقي نفسيًّا ؛ إما بالسلب ، وإما بالإيجاب ؛ ليتخذ موقفًا تجاه القصد المركزي لمؤلف النص . وما دامت التداولية تقضي بأن عملية إنتاج الخطاب و قراءته و تفسيره هي بفعل مشاركة عناصره ؛ فيغدو أساس الأمر منطقيًّا ذهنيًّا ونفسيًّا ؛ فيصبح مقصد المتكلم حالة ذهنية ، ويصبح صوغه و تقبله حالة نفسية ، وهذا معطيً مهمًّا من أسس التداولية ، وهذا ما سيُتناول في هذا البحث، ومثل ذلك ما يلي :

أولًا : الشواهد القرآنية :

1-كما في قوله – تعالي : " يا أيُّها الذين ءامنوا إذا تداينتم بدينٍ إلي أجلٍ مسمًّي فاكتبوه .."([22])

فبالنظر في ظاهر النص نجد أن الضمير في قوله : (فاكتبوه) يصلح – من حيث الصناعة النحوية و الصياغة الدلالية – أن يعود علي أحد مفسرين متقدمين مذكورين ، أحدهما : أن يعود إلي الدين ، و الآخر : أن يعود إلي

الأجل المسمي ، وإذا أخذنا بقاعدة : عودة الضمير علي المحدَّث عنه ، أقررنا بعودة الضمير علي الدين ؛ إذ هو القصد من الخطاب ، و هو الكلمة النواة ، التي تدور حولها القوالب اللغوية الأخري , كما يصح أن يعود الضمير علي الأجل ، و هذا سائغ ، و يكون المراد : اكتبوا الدين أو اكتبوا الأجل الذي تواضعتم عليه .

ومن الجيد التسليم بعودة الضمير علي البعيد ، و هو الدين ، إذ هم الأهم في نفس صاحبه من كتابة الأجل ، فالأجل من دون الدين إطار أجوف ، لا يتعلق بنفس المقرض بقدر تعلق نفسه بالحصول علي ماله ، أو ما أقرض ، و يكون المعني – كما عند الزمخشري : " إذا تعاملتم بدينٍ مؤجَّلٍ فاكتبوه ؛ فإن قلت : هلا قيل : إذا تداينتم إلي أجلٍ مسمي ؟. وأي حاجة إلي ذكر الدين ، كما قال : داينت أروي و لم يقل بدين ؟. قلتُ : ذُكر ليرجع الضمير إليه في قوله : (فاكتبوه) ؛ إذ لو لم يُذكر لوجب أن يُقال : فاكتبوا الدين . فلم يكن النظم بذلك الحُسُن ؛ ولأنه أبينُ لتنويع الدين بين مؤجَّل و حالٍ . فإن قلتَ : ما فائدة قوله :(مسمًّي)؟. قلتُ : ليُعلم أن من حق الأجل أن يكون معلومًا ؛ كالتوقيت بالسنة و الشهر و الأيام ... و إنما أُمر بكتابة الدين ؛ لأن ذلك أوثق ، و آمن من النسيان ، و أبعد من الجحود ، و الأمر للندب ".([23])

2- وللنظر إلي المعني ذاته عند أخوة يوسف – عليه السلام - كما في قوله – تعالي : " أُقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا يخل لكم وجه أبيكم و تكونوا من بعده قومًا صالحين ".([24])

والمتأمل للآية الكريمة يجد أن الضمير في قوله : (بعده) يصلح أن يعود علي أحد معينين ، أحدهما : يوسف – عليه السلام ، والآخر : مصدر : (اقتلوه) أو (اطرحوه) ؛ أى : القتل أو الطرح أرضًا ، ويكون المعني – والله – تعالي- أعلم بالصواب - أي : من بعد يوسف أو قتله أو طرحه أرضًا ، وكل ذلك يحتمل معني مقبولًا ، و تفسيرًا جائزًا و سائغًا .

لكننا حين نلج البعد النفسي لأخوة يوسف نجد أن إعادة الضمير إلي البعيد قد أماطت أمرًا خالج نفوس أخوته ، حيث لا يشغلهم طريقة القتل ؛ بل ما يهمهم هو التخلص من يوسف الذي شغل قلب أبيهم ، و صرفه عن حبهم ، فإذا ما غاب يوسف ، بأي طريقة كانت ، فرغ لهم قلب أبيهم من الشغل بيوسف ، الذي كان يأزُّ أنفسهم ، ويضغط علي باطنهم ،من دون أن يُشكل عليهم وجوده عبئًا في الواقع المادي ، لذا امتلأت نفوسهم حقدًا علي أخيهم ، فلم يدفعهم حديث القتل و الاعتقاد عن أن يقتلوا أخاهم ، إنما انحصر أمرهم النفسي –أيضًا- في انزعاجهم وخوفهم من غضب أبيهم و سخطه ، ودللوا علي ذلك بقرينة لفظية ، هى كلمة(أبينا) ، ومما يقوي من الرأي أنهم أوردوا كلمة (أبينا) التى لا تعني الأبوة المباشرة ، لأن غضب النفس قد قهرهم ، فأفقدهم صوابهم أن يقولوا : والدنا .

وقد تؤدي إشارة المؤلف إلي دواخل نفسه - أو قدرة المتلقي علي اكتناه بواطن نفسه - دورًا كبيرًا في الدلالة علي المقصود الحقيقي للنص ، وهذا ما عبَّر عنه مصطلح النُّصْبة ، الذي أشار إليه الجاحظ ، فقال : " هو ما قد يؤدي دور الكلام في الدلالة علي المقصود ، وإيضاح المستور في النفس ؛ كما أن له اعتباره في النظر إلي الخطاب علي أنه شبكة موسعة من الدلالة ".([25]) ثم إنهم لما أعادوا الضمير إلي البعيد نفوا عن أنفسهم أن هذا قريب من أفعال نفوسهم العاقلة - علي حسب ظنهم - إنما هو أمر خالج نفوسنا ، مرده إلي سيطرة شيطانهم علي أنفسهم ، لطارئ عرض، وأن هذا الفعل قد صدر من سطوة غيرهم ، وهو شيطان نفوسهم ، و وتقاسموا أنهم سيعودون - من بعد التخلص منه - أمة صالحة .

والنفس - بطبيعتها - تميل إلي إعادة استرجاع البعد النفسي ، ولكن بصورة مختصرة ، إذ قد حقَّق عودة الضمير إلي البعيد اقتصادًا لا يخل بالغرض ، وفي التركيب السابق أوجز الخطاب القرآني القصد النفسي لأخوة يوسف ، مع استيفاء غرضهم ، وقد نتج عن ذلك حُسن وقع في نفوس المتلقين ، إذ النفس مجبولة علي الإعجاب باللفظ القصير و المعني الراسخ ، و الفكرة المطولة .

والذي يقوِّي من هذا الرأي أنهم عدُّدوا طرق التخلص منه ، فعرضوا القتل أو الطرح من الأرض ؛ بنفيه بعيدًا عن العمران، وكذلك عرضوا إلقاءه في غياهب الجب ، وهنا يُمكن القول بعودة الضمير علي البعيد ، وهو قتل يوسف - عليه السلام – ولا يُمكن التمسك بإمكانية عودة الضمير – في هذا الموضع علي الأقرب ، لمجافاته لقصدية المؤلف . وقد أدرك الزمخشري هذا المعني ، و أحال الضمير في قوله : (بعده) إلي قتل يوسف - عليه السلام – فيقول : " (من بعده) : من بعد يوسف ، أى : من بعد كفايته بالقتل أو التغريب ".([26])

3-ومثل ذلك قوله – تعالي : " هو الذي جعل الشمس ضياءً و القمر نورًا و قدَّره منازل لتعلموا عدد السنين و الحساب ".([27]) قال الفراء : و لم يقل : و قدرهما ، فإن شئت جعلت تقدير المنازل للقمر خاصة ؛ إن به تُعلم الشهور، وإن شئت جعلت التقدير لهما جميعًا ، وهو مثل قوله – تعالي : " و الله و رسوله أحق أن يُرضوه " . ولم يقل : أن يُرضوهما .([28]) وحيث إن الضمير المفرد المذكر المنصوب في الجملة الفعلية : (قدَّره) يُحتمل أن يعود علي أحد مفسرين ، هما :

- القمر ، وقد شغل موقع الاسم المعطوف ، وهو المذكور القريب .
- الشمس ، وقد شغل موقع المبتدأ ، و هو المذكور البعيد .

قال أبو حيَّان : إن الضمير عاد عليه – أى : القمر – وحده ، لأنه هو المُراعي في عدد السنين و الحساب و القمر ثمانٍ و عشرون منزلة ،([29]) في حين ذهب ابن عطية إلي أنه قد يُريدهما معًا ؛ بحسب أنهما مصرَّفان في معرفة عدد السنين و الحساب ، لكنه اجتزئ بذكر أحدهما " . ([30])

وليس من شك في أن خلافهم حول عودة الضمير علي أيٍّ من المتعاطفين - في الآية السابقة - مرتبط بالسياق الخارجي ؛ فمنهم من جعل القمر وحده هو المُراعَي في عدد السنين و الحساب ، فعليه يعود الضمير ، ومنهم من جعل الشمس- أيضًا- هو المُراعَي في حساب عدد السنين و الحساب ، فعليه يعود الضمير ، كذلك فالضمير يُمكن أن يعود إليهما معًا ، لكنه اجتزئ بأحدهما من الآخر .([31])

لذا فهم يريدون أن يقرروا أمرًا في ذهن جماعتهم ، و نفوسهم ، يحاولون استدعاءه ؛ أنه لايخفي أن للشمس دورًا كبيرًا في حساب عدد السنين ، إذ هي المسبب لفصول السنة ، و دوران عجلتها ، وارتباط الذهنية الفكرية و النفسية بالشمس ، لدي عموم البشر – ولاسيما العرب - من الأمور البدهية و المسلَّم بها ، فبها يبدأ اليوم ، وبضيائها يشع الكون نورًا و حياة ، و بغيابها يغيب كل ذلك ، وتتحول الحياة إلي سكون ، وظلام ، وبغياب الضوء ما علم الناس أوقاتهم ، و سنينهم . لذا كان من الأفضل عود الضمير إلي البعيد .

4-وقد ساق لنا الخطاب القرآني أمثلة جسَّد فيها عودة الضمير علي البعيد حالة نفسية لأطراف عملية التخاطب أو أحدهم ، كما قال – تعالي : " ولما رجع موسي إلي قومه غضبان أسفًا قال بئسما خلفتموني من بعدي

أعجلتم أمر ربّكم وألقي الألواح وأخذ برأس أخيه يجرُّه إليه ...".([32]) ومن هنا كان تفسير الضمير المفرد المنصوب في التركيب الفعلي (يجرُّه) ذا دلالة نفسية ، إذ يُحتمل أن يعود علي أحد مفسرين ،هما :

- **التركيب الإضافي : (أخيه)** ، وكلمة أخ منه علي وجه الخصوص ، إذ المقصود هنا ، سيدنا هارون – عليه السلام – وقد شغل موقع المضاف إليه ، و المضاف في التركيب الإضافي ، وهو أقرب مذكور .
- **كلمة : (رأس) ، في عبارة الجار** (برأس) ،وقد شغلت موقع الاسم المجرور ، وهو المذكور البعيد . وقد تشغل موقع الاسم المضاف في التركيب الإضافي : (رأس أخيه).

والمستحضر لسياق الآية ، و لغضب نبيّ الله – موسي – عليه السلام – و طريقة إلقاء الألواح ، كل هذا يدل – بوضوح- علي غضب موسي ، و حاجته إلي دفء أخيه ، يحتمي به من خواء الغضب ، ويجد المتأمل للسياق المشهد أن كل هذا مبعثه أمر نفسي ، فقابل موسي – عليه السلام – انفعاله بحالة من الهدوء ، بأن غرس رأس أخيه في صدره ، ليطفئَ لهيب ثورة الانفعال ، وقد أطلق الخطاب القرآني الجزء و أراد الكل، إذ البعد العرفي للسياق يقتضي ألَّا يُستطاع جر كل الجسم إليه ، فعاد الضمير علي البعيد .

يقول الزمخشري :" (وأخذ برأس أخيه) ، أى : بشعر رأسه (يجره إليه) ؛ أى : بذؤابته ، وذلك لشدة ما ورد عليه من الأمر الذي استفزَّه ، وذهب بفطنته ، وظنًّا بأخيه أنه فرَّط في الكف ، ... في إشارة منه إلي أنهما أبناء بطن واحدة ، وذلك أدعي إلي العطف و الرقة ، وأعظم للحق الواجب ؛ ... ويذكره بأمه ؛ لأنها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ، ولأنها هي التي قاست فيه المخاوف و الشدائد ، فذكره بحقها".([33])

ويؤيد هذا الرأي ما فعله سيدنا موسي – عليه السلام- حين وجد قومه قد نكصوا في عهدهم معه ، فاتخذوا العجل ، فطرح الألواح ، لمَّا أصابه من فرط الدهش وشدة الضجر ، وكان في نفسه حديدًا شديد الغضب ، وكان سيدنا هارون -عليه السلام – ألين منه جانبًا ، وقد أكمل هذا صورة الحالة النفسية التى دفعت سيدنا موسي – عليه السلام – ليضم رأس أخيه إلي صدره ، يستأنس به : مما يمنع المشاهدين من الشك في أنهما أصحاب نفس واحدة ، ورسولا دعوة واحدة .

ثانيًا : شواهد الحديث الشريف :

يسوق ابن جني حديثًا مقتضبًا ، يذكر فيه أن القصدية قائمة علي الإحساس ، وأن اللغة النفسية تسبق كل لغة ، بيد أن لها محددات ، سواءً تمثَّلت في لغة الإشاريات ، أم اللغة الجسدية ، أو لغة السياق الناطق ، انظر إليه وهو يقول : " وذلك أن تُحس – في كلام القائل – من التطويح ، و التفخيم ، و التعظيم – ما يقوله قولُه ، طويل أو نحو ذلك ".([34]) ومن ذلك :

1-الحديث الذي رواه الإمام البخاري (باب صدقة العلانية ، وقوله : والذين يُنفقون أموالهم بالليل و النهار سرًّا و علانية ...) الآية ، و إلي قوله : ولاهم يحزنون) سورة البقرة : 15/274:(باب إذا تصدق علي ابنه ، و هو لا يشعر) ، يقول : حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا أبو الخُوَيْرية ، أن مَعْن بن يزيد قال: بايعت رسول الله – صلي الله عليه و سلم-أنا وأبي وجَدي ،وخطب عليَّ ، فأنكحني ،وخاصمت إليه، وكان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق بها ، فوضعها عند رجلٍ في المسجد ، فجئتُ ، فأخذتها ، فأتيته بها ، فقال :والله ما إيَّاك أردتُ ، فخاصمته إلي رسول الله – صلي الله عليه و سلم- فقال : لك ما نويتَ يا يزيد ،ولك ما أخذتَ يا معْنُ ".([35])

وقد عمد الرسول – صلي الله عليه و سلم – إلي تجنُّب الغموض في التعبير ، الذي يعجز فيه المتلقي عن تحديد للمعني المقصود من النص ؛ إلَّا غموضًا حمل بعدًا جماليًّا (تجنُّب الإبهام) ([36])، وهنا قد يتسع احتمال نجاح الاتصال ، تتضاعف قوة استلزامه الحواري ، كما أنه قد يزداد العائق الاحتمالي للاتصال حين يعمد المؤلف إلي التعمية ، بيد أنه قد يكون لدي منتج النص دوافع للغموض .

وليس من شك في أن مؤلف النص قد يسوق صورًا من القوالب اللغوية المراوغة ، ليدفع المتلقي إلي الاندهاش و اليقظة ، لذا فالضمير المستتر في قوله :(خطب) يُحتمل أن يعود علي أحد أمرين ، كلاهما مقبول من حيث الصناعة النحوية والسلامة الدلالية ، هما :

1- الرسول- صلي الله عليه و سلم .وهو أبعد مذكور.
2- جد معن . و هو أقرب مذكور.

فقد ذهب الكرماني إلي أن الضمير في الفعل (خطب) يعود علي الرسول – صلي الله عليه و سلم- فقال : وقوله :(خطب)، من الخطبة ، وهي: طلب النكاح ،و الفاعل هو رسول الله – صلي الله عليه و سلم؛ لأنه أقرب المذكورين ، ولأنه مقصوده بيان علاقاته مع رسول الله – صلي الله عليه و سلم-من المبايعة ، و خطبته عليه ، وإنكاحه ، و عرض الخصومة عليه .([37])

وقد ذكر الإمام ابن حجر أن الفاعل هو رسول الله – صلي الله عليه و سلم- وهو مراد مَعْن بن يزيد – رضي الله عنه – وهو بيان أنواع علاقاته برسول الله – صلي الله عليه و سلم-و التى تعد فضائل و مناقب له ؛ و لمى يُشر إلي الموقعية الإعرابية للضمير العائد علي رسول الله – صلي الله عليه و سلم- بأنه أقرب مذكور .([38])

ووافق رأي العيني ما ذهب إليه الكرماني ، حيث ذكر أن مضمون قوله : خطب عليَّ . يُشير إلي أن النبي – صلي الله عليه و سلم- خطب امرأة لمَعْن بن يزيد – ﷺ – لأنه يُقال: خطب عليَّ : أي : أرادها لغيره ؛ وإذا قال : خطب إلي : إذا أرادها الخاطب لنفسه ، فهو يري أن الفاعل هو رسول الله – صلي الله عليه و سلم- لأنه أقرب مذكور .([39])

وتجدر الإشارة – هنا – إلي أن الضمير المستتر صالح لأن يشمل - بدلالته - أيًّا من المفسرين المتقدمين ، والمحدث عنهما ، أحدهما: رسول الله – صلي الله عليه و سلم – والآخر هو : جد مَعن بن يزيد ، باعتبار السياق ، فدارت الخطبة بين شخصين ، باعتبار إظهار العلاقة و مبالغة في الشرف ، فهو رسول الله – صلي الله عليه و سلم ، الذي قام بكل الأفعال ، كما هو باد من البنية السطحية لنص الحديث .

فهو الذي خطب للرجل ، وهو الذي أنكحه ، وهو الذي اختصم إليه مَعْن ، وهو الذي حكم في الخصومة المالية بين معن وأبيه يزيد . وهو المنوط بمضمون الحديث ، لكنه هو المحدث عنه ، فعاد إليه الضمير ، على الرغم من بُعده الموقعي ؛ كما أن هذا التفسير قد حمل بُعدًا نفسيًّا للرجل ، وهو رغبته في إظهار ما بينه و بين رسول الله – صلي الله عليه و سلم .

ومعلوم أن جد الراوي هو أقرب مذكور ، لكن القرائن اللغوية و السياقية و النفسية تصرف الضمير المستتر في الفعل (خطب) عن أن يعود إلي المفسر القريب ، و هو جد الراوي ، وأكدت تلك القرائن أن هذا الضمير إنما يعود علي المفسر البعيد ، مراعاة للبعد النفسي ؛ كما أنه هو المحدث عنه . وهنا عود الضمير علي البعيد المحدث عنه أولي من الأقرب ؛ لأنه هو جوهر الكلام ، وجميع الخطابات مترتبة عليه .

2-ومن الأمثلة الدالة علي إمكانية توجيه عودة الضمير إلي البعد وفقًا للمحددات النفسية لأبعاد الخطاب ، الحديث الذي رواه أبو هريرة –ﷺ- قال : قال رسول الله – صلي الله عليه و سلم :" من آمن بالله و رسوله ، و أقام الصلاة ، و صام رمضان ، كان حقًّا علي الله أن يُدخله الجنة ، جاهد في سبيل الله ، أو جلس في أرضه ، التي وُلد فيها ، فقالوا : يا رسول الله ، أفلا نبشّر الناس ؟ قال : إن في الجنة مائة درجة أهدها الله للمجاهدين في سبيل الله ؛ ما بين الدرجتين ، كما بين السماء و الأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ؛ فإنه أوسط الجنة و أعلي الجنة ، أراه فوقه عرشُ الرحمن ، و منه تفجَّر أنهار الجنة .([40]) فمن اللافت للنظر أن هناك ضميرين يصلحان لأن يعودا علي أكثر من مفسر ، وفقًا للصناعة النحوية و المحدد الدلالي ، و هما :

1- الضمير هاء الغيبة المفرد المتصل بقوله : (فوقُه) برفع القاف ، يُحتمل أن يعود إلي أحد مفسرين ، هما :

- الفردوس . وهو أبعد مذكور .
- أعلي الجنة ، و هو أقرب مذكور.

2- الضمير هاء الغيبة المفرد المتصل في قوله : (منه) يُحتمل أن يعود إلي أحد مفسرين ، هما :

- الفردوس ، و هو أبعد مذكور .
- العرش : و هو أقرب مذكور .

وقد تعدد الضبط الإعرابي للقاف من قوله : (فوقه) بين الضمة و الفتحة ، فقد رواها أكثر المحققين بالنصب علي الظرفية ، ومن هؤلاء ابن حجر العسقلاني ، وعلي هذه الرواية ؛ فلا شيء فيها ؛ إنما هى ظرف منصوب ، و يعود الهاء منه إلي الجنة ، إلَّا أن تمام الدلالة يقدح في هذا الرأي ؛ إذ يجعل عرش الرحمن فوق الجنان ، من دون تحديد لدرجات الجنان و منازلها .

فمن الثابت أن الفردوس أعلي الجنان ، و فوقه عرش الرحمن ، و مما يعزِّز هذا الرأي الحديث الذي رواه عبادة بن الصامت – ﷺ – أن رسول الله – صلي الله عليه و سلم – قال : ذر الناس يعلمون ؛ فإن الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين ، كما بين السماء و الأرض ؛ و الفردوس أعلاها درجة و أوسطها ، و فوقُها عرش الرحمن ، و منها تفجر أنهار الجنة ، فإذا سألتم الله ؛ فاسألوه الفردوس ".([41])

غير أنه توجد رواية لقوله : (فوقه) مرفوعة بالقاق المثناة المعجمة الفوقية ، التى تعلوها ضمة الرفع ؛ فتصبح الجملة خبرية ، مستأنفة ، تطرح معني جديدًا ، و هو أن فوق المفسر عرش الرحمن ، و يقول ابن حجر : الضمير في قوله : (فوقه) للفردوس ؛ وكذلك الضمير هاء الغيبة من قوله : (منه) فيعود إلي الفردوس لا إلي العرش ([42]) لأنه من المقطوع به أن الأنهار مما تختص به الجنان ، و أعلاها الفردوس ، فعاد الضميران في الشاهد السالف الذكر علي البعيد ، حتي إن ابن حجر يصف الرأي القائل بعودتهما إلي أقرب مذكور بالوهم . وذهب الإمام العيني إلي أن الضمير في : (منه) يعود علي الفردوس ، يقول : " أي : من الفردوس ، وقد وهم من أعاد الضمير إلي العرش ".([43])

ويري المؤلِّف أن الضمير في الموضوعين يعود علي الفردوس ، و إن لم يكن أقرب مذكور ، بل هو الأبعد ، أخذًا بقاعدة : عودة الضمير علي المحدث عنه أولي من تعدد التفسيرات ، و قد جاءت قرينة السياقات اللغوية و التشوق النفسي سببًا لصرف توجيه عودة الضمير عن الأقرب إلي الأبعد .

ثالثـاً : الشواهد الشعرية :

في كثير من الأحيان ؛ يُكسب عود الضمير علي البعيد النص ثراءً في دلالته ، و يُكسب الكلمة فيه دلالات جديدة ، تُضاف إلي دلالتها المعجمية ، من خلال قصدية المؤلف ، التى تعكس حالته النفسية و الشعورية ، وتُبين لنا نفسية المؤلف أو المتلقي ، وأثر ذلك في إنتاج النص ، أو صياغته ، أو إخراجه ، أو قراءته ، أو تحليله ، أو تفسيره ؛ وأهداف ذلك النفسية و الاجتماعية ، إذ إن المؤلف للنص يتحكم في ترتيب (44)عناصر قصده ، في ضوء من حالته النفسية ، و بعده الانفعالي ، وعلي كلٍّ فالكلمة الشعرية تتخطي - كثيرًا - معناها القاموسي ، بل تتخطي المعني الواحد إلي المعاني المتوافقة – بل المتعارضة أحيانًا – ويسهم في ذلك الكلمة ذاتها ، تشكيلها ، و معناها ، ووضعها في السياق ، و صلتها بالموضوع التي تُقال فيه ".(45)

وقد يستثمر مؤلف النص المعاني التبادلية التي تتيحها البنية الشكلية (البنية السطحيـة) لظاهر النصوص في إحداث هزَّة نفسية ، بين الإيجاب أو السلب ، أو بين القبول أو الرفض ، أو بين التفاعل أو النفور ؛ أو بين القصد المركزي أو القصد الهامشي ؛ ممَا تبطنه الأنفس ، فيجعل للقصد المركزي أمارات ، تجعله حاضرًا في السطح ، فين حين يكون في استطاعة المتلقي التعرف علي القصد الهامشي من البنية السطحية مباشرة؛ مع قدرة ذهنيته علي تخزين القصد المركزي، بما يتلاءم مع خلجات نفسه .

وحتي يصنع مؤلف النص ذلك بأن يجعل أحد القصدين واقعًا في عالم النص ، و يجعل الآخر تتنازعه الجمل ، وتستفز قوالبه نفس المتلقي ، فيوازن بين القصدين المتبادلين ، ويصطحبهما في ذهنيته ووجدانه ، ويُخرج أحدهما من مواقع التخزين ، ذلك القصد الذي يتفاعل مع نفسه بصورة نشطة ودائمة ، ويتصارع معه ، حتي التوصل إلي قرار ، تطمئن إليه نفسه ، فيُبعد غير المحتمل ، ويجعله بعيدًا عن حيز التخزين النشط .

وتختلف صياغة الخطاب الشعري حسب ما يعتور الشاعر من حالات نفسية ، أو هزة وجدان ، أو ثورة انفعال بالسلب أو الإيجاب ؛ يقول القاضي الجرجاني :" يرق شعر أحدهم و يسهل ؛ و يصلب لفظ أحدهم ويتوعر منطق غيره ، وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع ، وتركيب الخِلقة ، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ودماثة الكلام بمقدار دماثة الخلقة ، وأنت تجد ذلك ظاهرًا في أهل عصرك وأناء زمانك ، وتري الجافي منهم للألفاظ معقد الكلام ، وعر الخطاب ؛ حتي أنك ربما وجدت ألفاظه في صورته و نغمته في جرسه و لهجته ، ومن شأن البداوة أن تُحدث ذلك ".(46)

وقد يستعمل الشاعر الضمير في نصه ، ليلفت انتباه مستقبل النص ، أو ليعرض تجربة اجتماعية أو نفسية ، فيجعل من عودة الضمير علي البعيد سببًا في جعل المتوقع قريبًا ، أو قد يجعل القصد المتوقع بعيدًا عن التحقق ، كل ذلك نابع من دوافع نفسية محضة ، كما في قول ابن الرومي ، يصف لحية الليف المعلم ،(اللحية العريضة) (من بحر الخفيف):

إنْ تَطُل لحية عليك وتعرض فالمخالي معروفة للحمير

علَّق الله في عذاريك مُخَلَّاة ... ة ولكنها بغير شعير
فاتَّق الله ذا الجلال وغيِّرْ ... منكرًا فيك ممكن التغيير
أرعِ فيها الموسي فإنك منها ... شهد الله في آثام كبير
أو فقصِّر منها فحسبك منها ... نصف شبرٍ علامة التذكير
لو رأي مثلها النبيُّ لأجري ... في لِحي الناس سنَّة التقصير.([47])

يعرض ابن الرومي في أبياته عدم تقبُّله لمنظر هذه اللحية ، التى تشبه المخلاة ، التي هي كيس كبير ، يعلَّق في رقبة الدابة ، يوضع فيها علفها ، أو هو وعاء مهمات الجندي ، ويتعرض لمتلقيه بالذم علي إبقائه لها علي تلك الصورة ، فقد استهجن ابن الرومي أن تكون اللحية مثل المخلاة الموضوعة للحمير ؛ بل لقد جاوز ذلك إلي أن ذلك من الآثام الكبيرة ، و أنها من المنكرات . وقد استثمر ابن الرومي طاقة الإيهام حين ساق قوالب لغوية تتيح للضمير المفرد المؤنث المجرور في عبارة الجار (منها) أن يعود علي أحد مفسرين ، هما :

- المُخَلَّاة ، وهي المذكور القريب ، وقد استحضر ابن الرومي فيها صورة اللحية ،وقد شغلت موقع المفعول به .
- اللحية العريضة ، وهي المذكور البعيد ،وقد شغلت موقع الفاعل .

وحيث إن الشعر صورة نفسية ، موجهة ، وتتحرك في أعماق النفس ؛ وإنما المحاولات اللفظية التى يعمد إليها الشاعر ، من بحر أو وزن أو قافية ؛ إنما ترجع لعمل هذه الهزة الوجدانية الموجهة ([48]) ، فقد أدخل مؤلف النص في حسبان المتلقي معنيين متبادلين ، كلاهما حاضر في ذهنه ، و أحدهما قريب من نفس الشاعر ، وساق لذلك قرائن ؛ إذ إن حديثه عن اللحية ، واستنكاره لطولها ، و الإهمال في تهذيبها ، ثم أورد قرائن لفظية ، دفعت المتلقي إلي تقريب عودة الضمير علي البعيد ، وهي ألفاظ من مثل : أرعِ فيها الموسي ، والموسي لا يُستعمل إلَّا مع اللِّحي ؛ وقوله : أو فقصِّر منها ، وقوله : لو رأي مثلها النبيُّ لأجري . ،وقوله : في لِحي الناس سنَّة التقصير.

وفي عودة الضمير علي البعيد تحديد لأحد المعنيين ، واستدعاء ما يتناسب مع سبب الإنتاج لهذه الصياغة ، وهو بُعدٌ نفسي ، وقد أدركه المتلقي ، حين استدعي هذا المعني من المخزون الذهني و النفسي لكل من المؤلف و المتلقي . فرد عودة الضمير إلي اللحية لا إلي المخلاة.

وأحيانًا يشكِّل عود الضمير علي البعيد ضربًا من التكرير المُلح ، المرتبط بقصدية المؤلف و نفسيته ، المحقِّق للتعلق و اللذة ، وكأن مؤلف النص يُمارس ضغطًا علي نفسه ، ليكشف أمرًا ما ، و ليُشير إلي نقطة ما ، ترتبط به ارتباطًا وثيقًا ، يُريد أن يُشير إليها ، وكأنها تشكل لديه بؤرة الشعور ، فلا ينفك يتركها ، فيغدو الضمير صوت النفس التى تتحرك سعادة أو حزنًا ، كما هو الحال عند ابن إدريس اليماني ([49]) ، في قوله (من المتقارب) :

أما و الهوي وهو أحلي قَسَمٌ ... وإن بِنْت عنه بنفسي قَسَم
وما يُجتلي من أقاحٍ ضحوكٍ ... يُشبُّ بماء الشباب الشَّبِم .([50])

ويقسم الشاعر بحبه ، و نشوته حين رأي محبوبته ، الاتي ترفل في ثوب الشباب ، ذاكرًا أن هذا من أحلي ما أقسم به ، ويقرر أنه عالق بنفسه ، حتي وإن غاب عنه و فارقه ، كما يُظهر مدي حبه للمروج الخلَّابة ، التي تجعل القول ، يمضي سريعًا ، فينتهي في سرعة ، لا يُريد أن تُسرق منه ، في أيامه التى يتمتع فيها بلذات الحياة . من منطلق

هذا المعني نجد أن الضمير المفرد المذكر المجرور ، الموجود في عبارة الجار(عنه) قد استخدمه ؛ ليُعبر به عن أحد مفسرين ، هما :

- أحلي قسم ، والذي شكل موقع الخبرية في الجملة الاسمية ، وهو المذكور القريب.
- كلمة(الهوي) (ه) ، التي شغلت موقع المبتدأ ، وهو المذكور البعيد .

فلا يخفي أن الشاعر يُضمر أمرًا في نفسه ، وهذا يتناسب مع انفعاله ، وأكثر تماسًا مع وجدانه ، وصرح بمعناه في أول البيت ، ثم ألح في ذكره بأن ساق ضمير الفصل (هو) للتوكيد ، ثم أراد أن ينشر لواعجه ، التى تحرق فؤاده ، فألزم نفسه بأن يظل وفيًّا لحبه هذا ، حتي و إن فارقه ، يؤيد هذا الرأي أن لواعج النفس مضمرة ، و الفراق أمر نفسي ، وقد حققت تلك المقابلة بُعدًا نفسيًّا ، هو ما ينطوي عليه قصد الشاعر . وهنا عاد الضمير علي البعيد ، هو قوله : (الهوي) أو (هو) . وقد جاء الخداع الدلالي في استخدام الضمير – هنا – ليؤثر في نفس المتلقي ، حين صلح بأن يعود علي القسم ؛ وأن الشاعر قد عاهد محبوبته ، و أقسم علي هذا الحب ، وأن لن يُفارق هذا العهد ، و إن فارقته محبوبته ، أو غاب عنها .

وفي عودة الضمير علي البعيد تأكيد علي الأبعاد النفسية للغة ، إذ إن موسيقي الشعر تزيد من انتباهنا ، و تضفي علي الكلمات حياة فوق حياتها ، وتجعلنا نحس بمعانيها ، كأنما تمثُل أمام أعيننا تمثّلًا عمليًّا واقعيًّا ؛ هذا إلي أنها تهب الكلام مظهرًا من مظاهر العظمة و الجلال ، و تجعله مصقولًا مهذبًا ؛ تصل معانيه إلي القلب بمجرد سماعه ".([51])

وفي القول بعودة الضمير إلي البعيد ، وهو الهوي ، عُدَّ هذا المعني واحة ، يعبِّر فيها الشاعر عن قلبه المتحرق ، فيطلب مزيدًا من الراحة و السعادة ، في الرياض و الأقاح ، ويسترخي وسط كل هذا ، وهذا المعني سرمدي ، يتتبعه الشاعر ، من دون ملل ، إذ هو مصدر شبابه و نشوته .

رابعًــا : الشواهد النثريــة :

تتمثَّل تداولية عودة الضمير علي البعيد فيما يُحدثه الضمير - في متلقيه - من آثار بالغة ، الذي تباشر ذهنيته وجدانه ، فيلجأ إلي المناجاة تارة ، و إلي التجادل تارة أخري مع مكونات النص بمفهومها الأوسع ، فيصبح النص أكثر تأثيرًا في ذاته ، فإذا توفر القبول النفسي للقصد ، كان ذلك أقرب إلي فهم معطيات النص ، وقد يُسهم الأثر النفسي في قبول النص أو ردّه ، حين يأتلف القصد مع نفسه أو حين يختلف عنها ، فيلجأ إلي التأويل . لأن النفس قد توحدت معه ، فأصبح القصد خارج قيد العقل .

وقبل أن يشرع مؤلف الخطاب في صياغته عليه أن يُدرك حالة متلقيه النفسية ، و يستحضرها ، ليوفر له بيئة مناسبة لتقبل خطابه ، وذلك علي مستوي الألفاظ و المعاني ، ولعل هذا ما وصي به ابن قتيبة (ت267هـ) الكتاب ، فقال : " ويُستحب له – أى : الكاتب- أن يُنزل ألفاظه في كتبه ؛ فيجعلها علي قدر الكاتب و المكتوب إليه ؛ وأن لا يُعطي خسيس الناس رفيع الكلام ، و لا رفيع الناس وضيع الكلام :.([52])

ومن سنن العربية أنهم كانوا ، إذا أرادوا ذكر جملة تشتمل علي أمر مهم " أو غرض فخم يستحق توجيه الأسماع و النفوس إليه لم يذكروا مباشرة ، وإنما يقدمون لها بقوالب فيها من الغموض و الإبهام ما يكفي لطمس معالمها ؛ ويذكرون قوالب و جمل و معاني أخري ، قد تقترب أو تبتعد عن الأمر الذي يوارونه ، من باب الالتفات ، ثم يُردفون

ذلك بضمير رابط ، يركز القصد ، و يُثير الشوق ، ويجعلهم يتطلعون إلي مرجعيته ، و ربط ذلك بالقصد المركزي لمؤلف النص ، فتأتي النفس – بعد ذكر الضمير – متشوقة للكشف عن إدراكها للقصد ، وتقبل عليه في ترقب ، و توحد ، و متابعة .

1-من الأمثلة النثرية الدالة علي أنه يُستحسن عودة الضمير علي البعيد ، مراعاة للجانب النفسي : ما راوه عبد الرحمن الشرقاوي في مسرحيته (ثأر الله) ، ممَّا دار بين عمر بن سعد ، و ابن زياد ، و القائد ؛ حول واقعة القبض علي مسلم بن عقيل : يقول :

- عمر : وهو فردٌ واحدٌ يُحدث فيكم مَقتلة ؟.
- كيف – بالله- إذا جاء الحسين بن عليٍّ برجاله ؟.
- ابن زياد : من يا تُري يبرز لـه "؟!.
- القائد : أنا ما أوقعته إلَّا بحيلة .
- قد منحناه الأمان .
- ولبثنا ساعةً حتي استرحنا .
- حفرةً في الأرض له .
- وكسوناها بأدغالٍ و عشبٍ ، و كساها الليلُ ظُلمة .
- واستدرجته حتي تقدَّم .
- هكذا أوقعتُ بالضرغام مسلم .([53])

ومؤلف النص يروم إبلاغ المتلقي بأن حالة من الحقد قد سادت معارضي الحسين – ﷺ – فمنهم من اشتط في حقده ، و منهم من ربط بين الحسين – ﷺ – و نسبه و عرقه ، و صلته برسول الله – صلي الله عليه و سلم – أو خاف سطوة الحسين – ﷺ – أو أن يُصاب بلعنات من يعادي الأنبياء، وآلهم ، فلم يستبد في قهره للحسين – رضي الله عنه .

والتحاور السابق - بين بعض من كادوا للحسين – يعكس حالة نفسية من استشراء الحقد و الكراهية بين جميع أطرافه ، للحسين – رضي الله عليه و سلم – فالمتحدث الأول يهاب الحسين ، و يري فيه قوة و شجاعة ، و يتعجب من كونه فردًا واحدًا ، و يصنع مقتلة بين الرجال ، ويأتي حوار الطرف الثاني ليقوي هذا الاعتقاد بأنه في حيرة من أمره و أمر رجاله ، و إذا جاء الحسين ، فمن ذلك الرجل القادر علي البروز له ومواجهته .

فسيطرت علي القتلة مخاوف من عودته ، فما تعانيه ذواتهم من انفعال غدا موجِّهًا لسلوكهم ، وقوة دافعة لتصرفاتهم ، فكأن مسلم بن عقيل غدا مثل الوسواس القهري ، يستفزهم ببطولاته ، فأرادوا أن يحفروا له حفرة ضيقة ، يخسفون به الأرض ، فتواريه ، فبذلوا الجهد و الطاقة ؛ حتي إنهم قد احتالوا للإيقاع بالقائد البطل مسلم بن عقيل ؛ بأن منحوه الأمان ، ثم استراحوا ساعة ، في إشارة إلي إجهادهم من قوة البطل ، و من مجالدته لهم ؛ وقامت أبعاد تلك الحيلة علي أنهم قد حفروا حفرة في الأرض ؛ للإيقاع بهذا البطل ، ثم قاموا بتغطيتها ببعض

الأدغال و الأعشاب ، وقد زاد ظلام الليل من تلك الخديعة ؛ بأن زاد ظلمة الحفرة ، ثم استدرجوه حتي تقدم ؛ ثم يُقر قائدهم بأن تلك الحيلة هي التي أوقعت بذلك الأسد في قتاله ، و شجاعته ، و سراشته .

والناظر إلي الضمير المفرد المؤنث المنصوب في كلمة **(كسوناها) يجد أنه** يُحتمل أن يعود علي أحد مفسرين ، هما :

- كلمة (حفرة) ، وقد شغلت موقع المفعول به ، وهي المذكور البعيد .
- كلمة (الأرض) ، وقد شغلت موقع الاسم المجرور من عبارة الجار و المجرور (من الأرض) ،وهي المذكور القريب .

وليس من شكٍّ في أن عودة الضمير علي كلمة حفرة في إشارة إلي حالة الحقد النفسية ، التى يعايشها ، إذ إن الحاقد يُريد أن تُخسف الأرض بمن يكره ، فلا يراه مطلقًا ، بخلاف ما إذا قتله علي الأرض ، فإنه سيظل معايشًا له ، مما يزيد من حنقه و حقده ، كما إن هناك من القرائن اللفظية التي أيدت هذا الرأي ، تمثل في حديثهم عن الاستدراج و التحايل ، و كسوة الحفرة بالعشب و الأدغال.

كما أن هناك قرينة عقلية وهي أن عودة الضمير علي البعيد (الحفرة) فيه منطقية ، أيدتها دلائل لفظية ، فتلك الحفرة يستطيعون تغطيتها بالأعشاب و الأدغال ، و هي تتسع للخسف بفرد واحد ، و هو ما يريدونه ؛ بخلاف كسوة الأرض بالأعشاب و الأدغال ، فهذا مما لا طاقة لهم به ، وهم ليسوا بالسذج ، ليحفروا جميع الأرض لقتل فرد واحد ، فقد أيَّد عودة الضمير علي البعيد قرينتان ، الأولي لفظية ، و الثانية عقلية .

وهنا قد يُعوَّل لعودة الضمير إلي البعيد بأنه لابس استكناه الدلالة الجوانية للمؤلف ، من خلال تراكيبه اللغوية و النحوية ، إذ كانت تلك العودة بمثابة أمر قد خطَّ رسومًا ممهدة و هادية إلي ما يعتور نفس أحد طرفي الخطاب ، أو كليهما ، أو مقربة لما تمور به دواخله ، وأو ما يقصده من التأثير النفسي في ذهنية التلقي ووجدانه ، واضعًا في الاعتبار القدرة الاستعابية لطاقة التلقي .

- **الخاتمـــــة و النتائـج :**

وأخيـــرًا :

فقـد كانت القوالب اللغوية – والانتخاب فيها – وسيلة لتحقيق غاية نفسية ، إذ جاء التصرف بعودة الضمير إلي البعيد غاية لتحقيق الأغراض و المقاصد ، و المآرب النفسية ، أو رغبة في إشباع بعد داخلي ، وكانت نفس المؤلف هي الفاعلة لهذا الانتخاب ، وهي الموجهة لتفسيره ، وقصدت قوالبه اللغوية مجاوزة الدلالة المباشرة من البنية السطحية ، إلي فعل تضميني مسَّ نفس مؤلف النص أو نفس متلقيه ، فأُنتجت طاقات نفسية جديدة ، و دلالات متوقعة أحيانًا ، و غير متوقعة أحيانًا أخري ، ولا يعني البحث – هنا- خروج القوالب عن مألوف الأصول اللغوية ، أو الالتزام به ، إنما الأمر في اكتناه البعد النفسي لمحددات الخطاب ، و محاولة المتلقي اصطياد القصد المركزي لمؤلف الخطاب.

وتجدر الإشارة إلي التنبيه بضرورة تكثيف البحوث حول الأبعاد النفسية للنصوص ، والتراكيب ، و الجمل ، أو حتي علي مستوي القالب اللغوي الوحيد ؛ وعلاقة ذلك بالقصد المركزي لمؤلف النص ، علي ضوء من الالتزام لضوابط الاستلزام التخاطبي// أو الاستلام الحواري..

ويوصي البحث بإعادة النظر في صيغة العموم القاعدية ،وإن رواية اللغة تسبق كل قاعدة ، وأن حديث النفس العاقلة الفاعلة هو أصل القواعد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

ثبت المصادر والمراجع:

- الإبداع الدلالي للحذف في القرآن الكريم (دراسة تطبيقية في كشاف الزمخشري) د : حمدي علي بدوي ، ط2 ، دار غريب للطبع و النشر ، القاهرة
- أبو تمام و قضية التجديد في الشعر ، د : عبده بدوي ، (د. ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1985م ، القاهرة .
- أدب الكاتب ، لأبي محمد بن قتيبة ، تحقيق : محمد الدالي ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، 2007م
- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، د : مصطفي سويف ، دار المعارف ، مصر ، 1951م .
- البعد الدلالي للبنية المقطعية في سورة الزلزلة ، د : حمدي علي بدوي ، مجلة الثقافة و التنمية ، العدد السابع بعد المائة ، (107) أغسطس 2016م .
- البيان و التبيين ، تأليف : عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط4 ، مكتبة الجاحظ ، الكتاب الثاني ، 1395هـ/1975م ، القاهرة ، مصر.
- تهافت المعني وهباء الحقيقة ،د احمد يوسف ، م 38 ، ع1 :، يوليو – سبتمبر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، (د . ت) ، الكويت .
- ثأر الله (الحسين ثائرًا ، الحسين شهيدًا) ، تأليف : عبد الرحمن الشرقاوي ، مكتبة روز اليوسيف ، القاهرة ، 1984م .
- جمالية المناسبة اللفظية في شعر أمل دنقل (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة أنموذجًا) د : حمدي علي بدوي ، الطبعة الأولي ، دار غريب للطبع و النشر ، 2018م ، القاهرة.
- الخصائص ، تأليف : ابن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، (د. ط) ، (.د . ت) ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان
- دلائل الإعجاز ، تأليف : عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) تحقيق : د : محمد عبد المنعم خفاجي ، (د . ط) ، مكتبة القاهرة ، القاهرة ، 1980م .
- دلائل الإعجاز ، تأليف : عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) تعليق : محمود شاكر ، ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1989م.
- دلالة الألفاظ ، د : تمام حسان ، (د . ط) مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، (د . ت)
- دور السياق في تقدير مرجع الضمير في الدراسات اللغوية و القرآنية ، د : محمد أحمد خضير ، مجلة علوم اللغة ، المجلد الثاني ، العدد الأول ، دار غريب للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1999م ، نسخة : pdf
- ديوان ابن الرومي ، علي بن العباس بن جريج ، تحقيق د : حسين نصَّار ، (د. ط) ، مكتبة دار الكتب ، القاهرة ، 1976م .

- ديوان ابن الرومي ، شرح الأستاذ : أحمد جَسن بَسج ، من منشورات محمد علي بيضون ، ط3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1423هـ/2002م .
- صحيح البخاري ، تأليف : الإمام البخاري ، (د. ط) ، دار الحديث ، 1425هـ/2004م ، القاهرة ، مصر.
- صحيح البخاري بشرح الكرماني صحيح البخاري بشرح الكرماني ، (ت786هـ) ، تأليف : محمد بن يوسف الكرماني ، تحقيق : محمد محمد عبد اللطيف ، ط2 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1401هـ/ 1981م .
- علم اللغة المقارن، د : حازم على كال الدين ، ط 3 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2008 م.
- علم النفس اللغوي ، د : نوال محمد عطية ، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1395هـ/1988م .
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، تأليف : الإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني (ت855هـ) ، تحقيق :عبد الله محمود محمد عمر ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1421هـ/2001م .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للإمام : ابن حجر العسقلاني ، (ت 852هـ) ، تحقيق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، (د . ط) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .
- كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسَّام الشنتريني ، تحقيق : د : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، القسم الثالث ، المجلد الأول .
- الكشاف ، تأليف : جار الله الزمخشري(ت538هـ) ، شرح و ضبط و مراجعة : يوسف حمادي ، ط1 ، مكتبة مصر ، 1431هـ/2010م ، القاهرة .
- اللغة العربية معناها و مبناها ، د : تمام حسان ، ط3 ، القاهرة ، 1985م .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تأليف : أبو محمد عبد الحق بن غالب ، (ابن عطية) ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1422هـ .
- المحصول فى علم أصول الفقه ، فخر الدين الرازي ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، و على محمد معوض ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1999م .
- مدخل إلي علم لغة النص ، د : إلهام أبو غزالة ، و علي خليل حمد ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1999م.
- مسألة اللفظ و المعني ، د : حمدي علي بدوي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، العدد الرابع و الأربعون ، الجزء الأول ، يوليو 2017م
- مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي ، مراجعة : عبد الله الصاوي ، ط 3 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان (د . ت) .
- معاني القرآن ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق ، الشيخ : محمد علي الصابوني ، 1409هـ / 1988م ، (د , ط) ، (د , ت) ، جامعة أم القري ، المملكة العربية السعودية .
- معاني القرآن ، للفراء ، أبو زكريا بن زياد الفرَّاء ، الجزءان الأول و الثاني ، تحقيق : محمد علي النجار و أحمد يوسف نجاتي ط3 ، عالم الكتب ، 1403هـ/1983م ، بيروت ، لبنان .
- موسيقي الشعر ، د : إبراهيم أنيس ، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1952م .

- النحو الوافي ، تأليف : الاستاذ : عباس حسن ، ط3 ، دار المعارف ، القاهرة (د . ت) .
- الوساطة بين المتنبي و خصومه ، القاضي الجرجاني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،وعلي البجاوي ، ط1 ، المطبعة العصرية ، بيروت ، لبنان ، 2006م .

---

[1] مسألة اللفظ و المعني ، د : حمدي علي بدوي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، العدد الرابع و الأربعون ، الجزء الأول ، يوليو 2017م :69

[2] علم اللغة المقارن ، د : حازم على كال الدين ، ط 3 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2008 : 5

([3]) دلائل الإعجاز (مرجع سابق): 400- 401

[4] دلائل الإعجاز : 405

[5] المحصول 1 : 89

([6]) دلائل الإعجاز(مرجع سابق): 351-352.

[7] انظر : النحو الوافي (عباس حسن) (مرجع سابق) 1: 251

[8] تهافت المعني وهباء الحقيقة ،د احمد يوسف ، م 38 ، ع1 :، يوليو – سبتمبر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، (د . ت) ، الكويت : 20

[9] انظر : مدخل إلي علم لغة النص (مرجع سابق) : 158 بتصرف.

[10] انظر : مفاتيح الغيب 1 : 22

[11] دلالة الألفاظ ، د : تمام حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، (د . ت) : 134

[12] انظر : علم النفس اللغوي ، د : نوال محمد عطية ، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1395هـ/1988م : 39 – 40 ، و انظر : اللغة العربية معناها و مبناها ، د : تمام حسان ، ط3 ، القاهرة ، 1985م ، (مرجع سابق) : 27

[13] مفاتيح الغيب 1 : 24

[14] المحصول 1 : 89

([15]) المُنَّة : القوة و الضبط .

([16]) دلائل الإعجاز (ط الهيئة المصرية العامة للكتاب) : 88

([17]) و البُزَّل : جمع بازل ، و هو البعير ينشق نابه ، و يبزل عند دخوله فى السنة التاسعة ، و تُستحكم قوَّته .

([18]) دلائل الإعجاز (ط الهيئة المصرية العامة للكتاب) : 88

([19]) دلائل الإعجاز: 206.

([20]) انظر : البيان و التبيين (مرجع سابق) 1 : 83 - 84

([21]) انظر : علم الدلالة المقارن ، د : حازم علي كمال الدين ، (د.ط) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2004م : 37

[22] سورة البقرة ، 2 /286

[23] انظر : الكشاف (مرجع سابق) ، جزء 1 : 301

[24] سورة يوسف ، 9/12

[25] انظر : البيان و التبيين (مرجع سابق) 1 : 86

[26] الكشاف ، (مرجع سابق) ، م2 : 304

[27] سورة يونس : 5

[28] انظر : معاني القرآن ، للفراء ، م1 : 458

[29] معاني القرآن ، لأبي جعفر النحاس ، (مرجع سابق) جزء3 : 278

[30] انظر : الكشاف (مرجع سابق) م2: 225 ، و المحرر الوجيز ، لابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تأليف : أبو محمد عبد الحق بن غالب ، (ابن عطية) ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1422هـ ، م5: 125

[31] انظر : دور السياق في تقدير مرجع الضمير في الدراسات اللغوية و القرآنية ، د : محمد أحمد خضير ، مجلة علوم اللغة ، المجلد الثاني ، العدد الأول ، دار غريب للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1999م ، نسخة : pdf: 75

[32] سورة الأعراف : 150

[33] الكشاف (مرجع سابق) 2: 67

[34] انظر : الخصائص ، تأليف : ابن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، (د.ط) ، (د . ت) ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1 : 118

[35] صحيح البخاري (مرجع سابق) جزء1 : 362 ، رقم الحديث : 1422

[36] انظر : الإبداع الدلالي للحذف في القرآن الكريم (دراسة تطبيقية في كشاف الزمخشري) د : حمدي علي بدوي ، ط2 ، دار غريب للطبع و النشر ، القاهرة :238

[37] انظر : صحيح البخاري بشرح الكرماني ، جزء 7: 192 -193 بتصرف يسير .

[38] انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري(مرجع سابق) جزء3 : 293

[39] انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، تأليف : الإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني (ت855هـ) ، تحقيق :عبد الله محمود محمد عمر ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1421هـ/2001م ، جزء 8 : 288

[40] صحيح البخاري (مرجع سابق) ، جزء 2 : 303-304 ، رقم الحديث : 2790

[41] انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (مرجع سابق) ، جزء 6 : 13

[42] انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (مرجع سابق) ، جزء 13 : 414

[43] عمدة القاري بشرح صحيح البخاري (مرجع سابق) ، جزء 8 : 120

[44] انظر : جمالية المناسبة اللفظية في شعر أمل دنقل (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة أنموذجًا) د : حمدي علي بدوي ، الطبعة الأولى ، دار غريب للطبع و النشر ، 2018م ، القاهرة : 207

[45] انظر : أبو تمام و قضية التجديد في الشعر ، د : عبده بدوي ، (د.ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1985م ، القاهرة : 145

[46] الوساطة بين المتنبي و خصومه ، القاضي الجرجاني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،وعلي البجاوي ، ط1 ، المطبعة العصرية ، بيروت ، لبنان ، 2006م : 187

[47] انظر : ديوان ابن الرومي ، علي بن العباس بن جريج ، تحقيق د : حسين نصَّار ، (د. ط) ، مكتبة دار الكتب ، القاهرة ، 1976م : مج 3 : 927 – 928 ، وانظر: ديوان ابن الرومي ، شرح الأستاذ : أحمد جَسن بَسج ، من منشورات محمد علي بيضون ، ط3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1423هـ/2002م ، 2 : 23

[48] الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، د : مصطفي سويف ، دار المعارف ، مصر ، 1951م : 40

[49] هو أبو علي بن إدريس اليماني العبدري اليابسي ، من يابسة ؛ إحدي الجزر الشرقية ، قال عنه الضبي : شاعر جليل عالم ، و كانت وفاته عام 470هـ.

[50] الأبيات وردت في كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسَّام الشنتريني ، تحقيق : د : إحسان عباس ، ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، : 341

[51] موسيقي الشعر ، د : إبراهيم أنيس ، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1952م : 16

[52] انظر : أدب الكاتب ، لأبي محمد بن قتيبة ، تحقيق : محمد الدالي ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، 2007م : 19

[53] انظر : ثأر الله (مرجع سابق) ، 1 : 141

تحولات الشعرية العربية واتجاهات التفاعل المجتمعي ـ قراءة سيكوثقافية

المدرس الدكتور: هدى عطية عبد الغفار

جامعة عين شمس / كلية الآداب

الملخص:-

الشعر ـ بمختلف تجلياته ـ هو حادثة جمالية وثقافية في الآن ذاته؛ فكل شاعر يعاني تاريخيّته، ويمتص رغما ما تفرزه سياقاتها من أنظمة وقوانين وأعراف تسري خفية في بدن شعره ومادته الفنية. وتسعى هذه الدراسة إلى قراءة الشعرية العربية الجديدة على امتداد مراحلها المتتابعة كشفا- من ناحية- لشفراتها ومضمراتها النسقية؛ بغية تأويلها في ضوء السياقات الثقافية والظروف التاريخية التي أنتجتها، ورصدا – من ناحية أخرى- لسيكولوجية التلقي والتفاعل والتفضيل المجتمعي للشعر الجديد في مراحله، وتعامله معه تكريسا وتهميشا. وهو أمر لا يتحصل للناقد إلا بالقراءة الفاحصة التي تكشف هذه الأنساق مثلما تكشف دلالاتها النامية.

المقدمة:-

الشعر منتج ثقافي بامتياز، يتعانق فيه الواقعي مع المتخيل، وتتفاعل فيه الذات المبدعة استجابة أو تصادما مع ما يكتنف وجودها من تجربة ثقافية. وبتعبير شارح أقول: إن الشعر ـ بمختلف تجلياته ـ هو حادثة ثقافية بقدر ما هو حادثة جمالية؛ فكل شاعر يعاني تاريخيّته، ويمتص رغما ما تفرزه سياقاتها من أنظمة وقوانين وأعراف تسري خفية في شعره ومادته الفنية. ويتولد عن هذه الثنائية المتمثلة في علاقة الشاعر ـ التاريخ، والشاعر ـ النص نسقان ثقافيان هما بمثابة وجهين لعملة واحدة: نسق جمعي (ظاهر) يتم تكريسه والانتصار له، يرتبط بالسياق الخارجي أو التاريخي المحيط بالشاعر، ويعد افرازا لثقافة المؤسسة الاجتماعية والمرجعيات الخاضعة لها، ونسق شعري (مضمر) هو الوجه المثيل للنسق الثقافي الظاهر الذي رام لنفسه خباء نصيّا متخذا من فعل الاختباء استراتيجية في ترسيخ وجوده وفروضه ومقولاته.

والواقع أن حضور الأنساق الثقافية المضمرة في الخطابات الشعرية يتأرجح بين حالين: حضور مطمئن يشي بسُلْطة الثقافة وهيمنتها وقدرتها على إخضاع ذوات هشت لها إبداعا وتلقيا، وهو الوضع الأعم والأكثر تحققا. وحضور آخر قلق؛ فربما تناوش تلك الأنساق المضمرة لمح بصر أو بصيرة فعانت صراعا ناجما عن محاولات تعريتها وكشف عيوبها حيث تستفيق الرؤية الشاعرة على حيل الثقافة في تثبيت أنساقها داخلة في ضرب من المساءلة لما تتعمد إضماره في الخطاب الشعري، وقد تبلغ المساءلة حد التمرد على الأنساق لتشكيل عالم لا تكون فيه الذات الشاعرة مجرد بوق للثقافة السائدة، فيكون الشعر في أسمى تجلياته محاولة لمعالجة الواقع الثقافي بكيفية أو بأخرى.

وتسعى هذه الدراسة إلى قراءة الشعرية العربية الجديدة على امتداد مراحلها وتنوّع تحولاتها كشفا ـ من ناحية ـ لشفراتها ومضمراتها النسقية، بغية تأويلها في ضوء السياقات الثقافية والظروف التاريخية التي أنتجتها، ورصدا ـ من ناحية أخرى ـ لسيكولوجية التلقي والتفاعل والتفضيل المجتمعي للشعر الجديد في مراحله وتحولاته، وصولا إلى سبر أغوار العلل الكامنة وراء تعامل المتلقي معه في كل مرحلة تكريسا أوتهميشا. وهو أمر لا يتحصل للناقد إلا بقراءة فاحصة تكشف الأنساق الثقافية الفاعلة مثلما تكشف دلالاتها النامية وتعري خباء تمثلاتها النصية، فمن الصعب الامساك بجدليات الأنساق الثقافية المضمرة بغير حوار واع مع الأبنية الجمالية، فالجمالية كما يرى عبد الله الغذامي هى "أخطر حيل الثقافة لتمرير أنساقها وإدامتها"[1]، وهذا يعني "الإعلاء من شأن الوظيفة الجمالية في بنية الخطاب الثقافي ـ من جهة ـ والاعتراف بقدرة البلاغي والجمالي في المراوغة وتوليد الأنساق من جهة أخرى"[2].

(1)

أولاً: نسق التعاضد:

حين نتأمل الشعرية العربية الجديدة نكتشف أن أحد أهم المفاهيم التي لعبت دورا أساسيا في مختلف مراحل الانفجار الحداثي كان مفهوم العضوية بأشكاله وصيغه وتمثلاته المختلفة[3]. فقد كان من بين مرتكزات نقد الرومانتيكية لشوقي مفهوم العضوية[4]، ومن منطلقات الكتابة لدى مدرسة أبلو والرابطة القلمية مفهوم آخر

للعضوية قائم على وحدة الوجود ووحدة العالم[5]. وقد شغل المفهوم ذاته مكانة مركزية في التبدي الحداثي الثاني، فأنتج الشعراء من أمثال السياب ونازك الملائكة وخليل حاوي وصلاح عبد الصبور.. وغيرهم، نصوصا تقوم على العضوية العميقة التي تنهض عليها القصيدة الجديدة في مرحلتها التكوينية، حيث تُنقد ككل لا يتجزأ شكلا ومضمونا، فإدراك الشكل فى قصائد هؤلاء الشعراء وأمثالهم، كما ذهب أدونيس في بيانه حول الحداثة "تتطلب وعيا شعريا كبيرا يتناول معرفة الأجزاء في مادة القصيدة، وعلاقات هذه الأجزاء بعضها بالبعض الآخر، وائتلافها فيما بينها ووحدتها. ومن لا قدرة له على هذا الإدراك، لا يقدر أن يفهم القصيدة الجديدة ولا الأشكال الشعرية الجديدة"[6].

والحق أن المكتبة العربية تزاحمت بأبحاث سعت إلى تأكيد مركزية العضوية والوحدة في مقولات الحداثة وإنجازاتها الفنية، واتخذت هذه الاندفاعة النقدية فيما يتصل بالشعر مسارين، عني أحدهما برصد مظاهر العضوية والوحدة في بنية النص الشعري المعاصر إثباتا لجمالية تلك البنية وتأكيدا لقدرة الخيال الخلاق فيها، بينما اتجه الآخر في حركة استرجاعية صوب الشعر القديم محاولا التدليل على أن نصوصه هى أيضا تتمتع بوحدة عضوية ما[7]. شارك في هذا الجدال عشرات النقاد عبر دراسات ومقاربات منهجية مختلفة، وتراوحت الآراء حول مطلب العضوية وقيمته في الشعرية العربية حضورا وغيابا، لكن أحدا ـ فيما أعلم ـ لم ينتبه إلى ظهوره باعتباره تجسيدا لنسق ثقافي مضمر، واستجابة شعرية ملائمة وموائمة للطابع التاريخي للمرحلة وللسياق الثقافي الحاكم لها ذلك الذي عمد إلى تكريس التعاضد محتفيا به ضمن منظومة أنساقه.

فلقد دخلت مقولة العضوية الثقافة العربية منذ خمسينيات القرن الماضي، تنتصب راية خفاقة تزامنا مع انتصابها راية عالية في الحياة السياسية العربية، ومن الدال أن عددا من المهتمين بالعضوية كانوا ينتمون إلى الحقلين معا: الشعري، والسياسي. فلا شك أن كل ثقافة تبلور لنفسها في إطار معطيات اقتصادية واجتماعية وسياسية إجماعا أو رؤية مركزية للوجود، وحلم للمستقبل. وما حدث هو أن الثقافة العربية اجتمعت حول حلم قومي كان له بعده السياسي المتمثل في الفكر الاشتراكي، وبعده الإنساني العام المحسوس فى الانفتاح على عوالم أخرى من دول العالم الثالث والغرب الذي تجسدت العلاقة معه في مفاهيم التحرر من التبعية، مما يشي بإجماع على مشروع عضوى وحضاري مكتمل.

وفي ذلك المفصل التاريخي يأتي الشعر الجديد ليجسد هذه الرؤية الجماعية وهذا المشروع الجماعي الذي بدأ منذ خمسينيات القرن الماضي ـ كما أسبقت ـ دخولا في السبعينيات. وليس من الغريب أن نقول إن هناك تطابقا بين هاتين اللحظتين: لحظة تبلور الرؤية المركزية أو الإيديولوجيا الجماعية، ولحظة الشعر، الأمر الذي يتطابق فيه النسق المضمر مع النسق الظاهر.

إن ما حدث للشعر الجديد فى انفجاره الأول والثاني والثالث هو أنه تطور وتنامى من داخله، فبدأت تنمو لغة جديدة لعلاقة الشعر بالعالم وعلاقة الشاعر الفنان بمجتمعه والوظيفة العضوية للفن عموما، والنمو البين لفكرة الإجماع والعضوية في رؤية مركزية، والنتاج الشعرى فى تلك المرحلة يجسد الرؤية الجماعية تجسيدا باهرا، وقد ظل ذلك قائما إلى أواخر الستينيات حيث تولد من رحم الانكسارات العربية نسق ظاهر جديد هو ما أدعوه بنسق التفكك فى مقابل نسق العضوية.

تمثلات التعاضد:

تجلّى الوعي الجمالي الحداثي في مجموعة من الخصائص الجمالية والتقنيات الفنيّة التي تسم شعر تلك المرحلة في مجمله، ومن مجانبة الصواب ـ أو على الأقل النظرة القاصرة ـ أن نعتبر خصائص الشعر وليدة خيالٍ خلّاقٍ فحسب أو لعب إبداعي غير مبرر، جريا منا وراء نظرة ذات طابع كولوردجي أو اقتفاء لمنطلقات نقدية أسلوبية، فالحقيقة أنها بالأساس مخاض نسق ظاهر يحاول أن يكون حاكما وأن يجلب لنفسه تأييدا وإجماعا بشتى الطرق؛ ومن ثمّ يجتاح ساحة المنتج الثقافي مضمرا ذاته في شعابها وخاصة فيما يُنتج من منجز أدبي يُنتظر منه أن يكون صوت الثقافة وإعلامها[8]. وإن أبسط متابعة كشفية للشعر في النصف الثاني من القرن المنصرم تميط اللثام عن ثقافة التعاضد وكيف أضمرت ذاتها في عجين شعر الخمسينيات والستينيات متحكمة في طبقات بنائه وفي تحديد أبرز سماته التي تعد في حد ذاتها تَمثُّلا إبداعيّا لوجه النسق الخبيئ، ويمكن تكثيف هذه التَمثُّلات وإعادة قراءتها وتأويلها من زاوية ثقافية فيما يأتي:

1. **التعاضد بين الموسيقى والموضوع:**

رأى الشعراء الحداثيون العرب أن موسيقى القصيدة الكلاسيكية شبيهة بإطار الصور الكلاسيكية؛ أي أنها لا تتفاعل مع الموضوع ولا تتعاضد معه، فالموسيقى التقليدية سابقة على الموضوعات الجديدة، ومن ثم فهي تقيّد الشاعر بما يتواءم مع مرحلة سابقة. لهذا حاول هؤلاء البحث عن موسيقى جديدة لتجربتهم بحيث تتحوّل الموسيقى في كل قصيدة إلى موسيقى القصيدة الخاصة لا إلى موسيقى البحر، وفي كل الأحوال فقد انطلق الشعر الجديد ليكسر رتابة البيت التقليدي، ذي الهندسة الرتيبة المعروفة مسبقاً واستعمل بداية التفعيلة وحدة إيقاعية يرتكز عليها ثم عمل على تكسيرها بالتدوير وغيره، وعلى فصم ارتباطها بالبحر الأصل لها.

2. **التعاضد بين إيقاع القصيدة والإيقاع الداخلي للنفس:**

فقد طُرح عوضاً عن البيت مفهومُ السطر الشعري، فأصبحت الأسطر مرتبطة ارتباطاً حميماً متعاضدة مع الإيقاع الداخلي لنَفْس الشاعر بكل ما فيها من حركات وسكنات، من فورات وتدفقات عاطفية ولحظات هدوء وصفاء، فراحت هذه الأسطر تقصر أو تطول بناءً على ذلك، وتم التعامل مع القوافي بصورة جديدة من تقفية سطرية موحدة أو متنوعة، إلى تقفية الجملة الشعرية بطرائق مختلفة، إلى تقفية المقطع الشعري فحسب، وصولاً إلى إلغائها حتى في الكثير من نصوص التفعيلة كما لجأ الشاعر الحديث إلى المزج الموسيقي فاستخدم المزج العروضي والمزج بين نظامي التفعيلة وقصيدة النثر، واستلهم الإيقاعات الداخلية من الشعر العربي القديم ليستثمرها ويطورها في قصيدته الجديدة، فقد رأينا الشاعر يتعامل بحرّية وتلقائية مع إيقاع الشعر وموسيقاه ورأيناه مسكوناً بالتجريب في هذا المجال، حتى أصبح من المستحيل أن نجد نصين اثنين – لشاعرين حقيقيين – ينظمهما إيقاع واحد أو تسوسهما موسيقى واحدة!

3. **تكريس مفهوم الوحدة:**

انطلقت قصيدة الحداثة العربيّة في تجاربها الأولى والمبكّرة من مفهومٍ اعتبر يومها أحد أهم مرتكزاتها الجماليّة

وهو مفهوم الوحدة الذي جاء بصيغ مختلفة أهمها: الوحدة العضوية تأثراً فيما يبدو بالمدرسة الرومانسيّة، وركّز الشعراء الرواد على هذهِ الفكرة فرأى السيّاب القصيدةَ كائناً حيّاً ينمو ويتطور حتى يحقق اكتمالهُ، وهذا ما نجده في نص رسالةٍ بعثَ بها إلى أدونيس مُعلقاً على إحدى قصائدِهِ، يقول فيها: " كانت قصيدتك رائعة بما احتوته من صور، لا أكثر، لكن هل غاية الشاعر أن يُري قراءَه أنّه قادر على الإتيان بمئات الصور؟ أين هذهِ القصيدة من (البعث والرماد) تلك القصيدة التي ترى فيها الفكرة تنمو وتتطور، والتي لا تستطيع أن تحذف منها مقطعاً دون أن تفقد القصيدة معناها"[9].

ويؤكد الشاعر العراقي بلند الحيدري النمو العضوي لقصيدة الشعر الحر، متخذا من هذا المظهر وسيلة للتمييز بين القصيدة القديمة والجديدة من حيث شكلها وبناؤها، فعنده أن القصيدة الجديدة تنحصر في إعطاء تطور العمل الفني طبيعة نمو عضويّة، بمعنى أنها تتسع وتنمو عبر كافة أطرافها: موسيقاها، وصورها، وبنائها الموضوعي، وتأزمها النفسي. وكذلك يؤكد أحمد عبد المعطي حجازي ضرورة الوحدة العضوية في بناء القصيدة الحديثة، مشيرا إلى كونها مجموعة العلاقات التي تربط مفاصلها وأجزاءها وتتيح لها التشكل على نحو يتسم بالنمو الكلي المتكامل[10].

وكما يتبين، لقد وجد الحديث حول الوحدة إجماعا كليا، لا يند عن الإجماع الذي لاقاه نسق التعاضد والوحدة في الحياة الاجتماعية، وهناك آراء مشابهة لنازك الملائكة والبيّاتي، ويوسف الخال.. وآخرين، الأمر الذي يظهر بجلاء أن شعراء الحداثة ولاسيما الرواد منهم اعتبروا الوحدة العضويّة والنمو والتكامل، تلك المصطلحات التي لاتنفك ترتبط بالرؤيا، أقانيم جمالية رئيسة في تشكيل القصيدة العربية الجديدة.

4. التركيب الذروي:

أدرك بعض الشعراء العرب أن قصائد الشعر العربي القديم بصورة عامة قصائد لا تعرف مفهوم الذروة، فبناؤها يقوم على روعة المعاني لا ترابطها، مفتقدا الوحدة؛ سواء كانت وحدة عضوية أو موضوعيّة. فقد نرى القصيدة القديمة تمتد فتبلغ مئة بيت، وهذا أمر مستحب ما دام الوزن واحداً والقافية واحدة تشدُ أزر القصيدة، وما من داع لتكون المعاني المطروقة كلها مترابطة متحدة متصاعدة لتبلغ ذروة معينة، فبالإمكان تقديم بيت على آخر أو تأخير جملة أبيات وتقديم سواها، وهذا أمر لم يره الشعراء الرواد في الشعر الأوربي الذي يقوم على التركيب الذروي، وربما بسبب تأثرهم بالشعر(الفرنسي والأنجلوسكسوني) وبسبب مؤثرات محليّة ونفسيّة وسياسية عديدة رأينا عدداً من نماذج قصائد التفعيلة يحاول شعراؤها الاستفادة من مفهوم الذروة في الفن، وهو مفهوم يقوم على أن عناصر القطعة الشعريّة تكون متفرّقة متباعدة أول الأمر، ثم تتقارب وبعد ذلك تصطرع ثم تبلغ الذروة من العنف: وعندها تنحل الأزمة، ثم يعقبها هبوط أو سلام يؤدي إلى النهاية، و قد بدا كل ذلك نتاجاً للمرحلة الرومانسيّة حيث إن " انطلاق العواطف و التحامها ثم انتصارها أو تحطّمها هي مبادئ الرومانسيين. و لكي يضفوا على هذه الفوضى الانفعالية شكلاً فنيّاً، قالوا بوجوب فرض (تعاضد) نهائيّ بينها، فالذروة هي الرباط الذي يربط في الختام العناصر المتفرّقة في وحدةٍ فنيّة.

5. أسطرة التجربة:

ظهَرَ منهجٌ راسخٌ وعميقٍ أطلق عليه البعض "المنهج الأسطوري" وفق مصطلح إليوت، أو النسق الأسطوري، وربط كثيرون بين ظهور الشعر الحداثي وبين ولوج الأسطورة جسد القصيدة بصفتها بعداً بنيوياً شعورياً، وقد ذكر صلاح عبد الصبور في حياتي مع الشعر: "إن الدافع إلى استعمال الأسطورة في الشعر ليس هو مجرد معرفتها، و لكنه محاولة إعطاء القصيدة عمقاً أكثر من عمقها الظاهر، ونقل التجربة من مستواها الشخصي الذاتي إلى مستوى إنساني جوهري، أو هو بالأحرى حفر القصيدة في التاريخ"[11]. وأكد يوسف سامي اليوسف أن الأسطورة لم تلج جسد القصيدة لتكون " بمثابة عتلة رافعة لها، وإنما جاءت بوصفها الرؤيا الشعرية نفسها، وبوصفها جوهر التركيب البنيوي للقصيدة عينها[12] "، وبذلك تحققتْ فوائد فنية جمّة تمثلت في تعميق الكيف الدرامي للقصيدة، وإعطاء المفاهيم والتصوّرات بُعداً شخصياً، وإعطاء المضمون بُعداً كونياً، والتخلص من الزمن وتعطيله والتعبير عن رغبة الشاعر في التطهّر والتجدّد. وقد استرفَدَ شعراء الحداثة الرواد بدايةً الأساطير الإغريقية والرومانيّة، كأن نقرأ لأدونيس على سبيل المثال توظيفاً لأسطورة سيزيف في بعض مقاطع " أغاني مهيار الدمشقي"، ولاسيما قصيدة "الإله الميت"، المقطع الموّجه " إلى سيزيف"، وكأن مهيار يريد أن يقول من خلاله أنه اختار هذه الدرب الشاقة فهو سيحمل معه صخرته الأبدية دافعاً ثمن حريته التي سلبوه إياها غالياً، محاولاً حتى الرمق الأخير تغيير الواقع:

" أقسمتُ أن أكتبَ فوقَ الماء

أقسمتُ أن أحملَ مع سيزيفْ

صخرتهُ الصماءْ .

أقسمتُ أن أضلَ مع سيزيفْ

أخضعُ للحمى وللشرارْ

أبحثُ في المحاجرِ الضريرهْ

عن ريشةٍ أخيرهْ.

تكتبُ للعشبِ وللخريفْ

قصيدةَ الغبارْ.

أقسمتُ أن أعيشَ مع سيزيفْ "[13].

استلهم الشاعر العربي الحديث الأساطير الفرعونيّة وأساطير ما بين الرافدين ، والسورية القديمة فشاهدنا في فضاءاتِ نصوصهم إلى جانب" أوليس وسيزيف وزوس وبرمثيوس وأفروديت وفينوس، شخصيات مثل: "رَعْ وإيزيس وإنانا وعشتار وجلجامش، وعنات وبعل، وأنكيدو، مع التأكيد على حضور أساطير الخصب والانبعاث (تموز،الفينيق، العنقاء، أدونيس، عشتار، بعل)، ولاسيما بعد النكبة في الخمسينيات والستينيات كرمز على انبعاث الحياة وتجددها بعد الموات، وعلى انبعاث الأمة. وبرزت مجموعة الشعراء التموزيين من أمثال: أدونيس،

والسياب، وحاوي، فقرأنا لأدونيس ضمن هذا السياق قصيدة "البعث والرماد"، التي منها:

"أحلم أن رئتي جمرة

يخطفني بخورها يطير بي لبعلبك

بعلبك مذبحٌ

يقال فيه طائرٌ مولّه بموته

و قيل باسم غده الجديد باسم بعثه

يحترقُ

...

للموت يا فينيق في شبابنا

للموت في حياتنا

منابع، بيادر

...

و أمس مات واحدٌ

خبا وعاد وهجهُ

من الرماد والدجا

تأججا"[14]

وقرأنا لخليل حاوي في ديوانه " الناي و الريح"، ما يقود إلى المصب نفسه، وكان السياب في "أنشودة المطر" قد سبق إلى استلهام أسطورة الانبعاث و النماء ولكن بعمق شديد، ودون أي ذكر للفينيق أو تموز أو سواهما، فقد جاء التوظيف ضمنياً يومئُ و لا يصرّح.

ثُم جاءت النقلة النوعيّة في الانتقال من توظيف مختلف تلك الأساطير التي تنتمي إلى تراث المنطقة أو ما وفد إليها- إلى استدعاء الشخصيات التراثية العربية(مسيحيّة وإسلاميّة وسواها) واستخدامها أدوات فنية، أو لنقل راح الشاعر يعبّر بها عما يريد ولم يعد يعبّر عنها، ويروي قصتها في جسد القصيدة، كما كان الشأن في مدرسة الإحياء، فاستخدمها رموزًا وأقنعة ومرايا وما إلى ذلك، ومن هذه الشخصيات على سبيل المثال: محمدعلي، المسيح، مريم، ألعازر، أبو ذر الغفاري، خالد بن الوليد، الشنفرى، الخضر، صقر قريش، المتنبي، ديك الجن، كليب، مهيار، الرشيد، الحلاّج، زرقاء اليمامة، الحسين ... إلى آخره

استجابة الجمهور وتفاعله مع نسق العضوية:

هكذا عكست القراءة العمودية المتسائلة نسق العضوية المضمر فى بنية الشعر الجديد حتى نهاية الستينات، ذلك النسق الذي يتكشف على كل الأبعاد الموضوعية والشكلية الزمانية والمكانية. ونأتي إلى مسألة الاستجابة والدافعية السيكولوجية الجماعية الكامنة وراءها. فإن القارئ- الجمهور- كان يستجيب لهذا الشعر لأنه كان يبلور الرؤية الجماعية الموحدة، يبلور حلم العضوية الذي يسهم فيه كل فرد في المجتمع بقدر ويحرص عليه ويتمناه، لذا كان لهذا الشعر قدرة على التواصل معه والتوحد به، وكان لهذا الشعر جمهوره الواسع إلى حد ملحوظ.

(2)

ثانيا: نسق التفكك والتشظي:

إن شيئا بالغ الأهمية قد حدث منذ سبعينيات القرن الماضي دون أن يلتفت إليه الكثيرون، وهو أن الشعر لم يعد يفصح عن ذات الإيمان بالعضوية، ولم يعد يستبطن تمثلاتها الجمالية والدلالية في بناه النصية، وبعبارة أدق، غابت الكثير من هذه التمثلات، مما يشي باهتزاز نسق العضوية عن مكانته وتمكنه، وانسحابه الحثيث مقارنة بالسابق.

ويبدو للمتأمل ظهور نسق ثقافي مضمر جديد ينحو إلى التفكك، ويشف عن رؤية تفتيتيّة تتآزر مع الرؤية المركزية السائدة في العالم، وتلائم النسق الثقافي الظاهر في تلك المرحلة من تاريخ الشعرية العربية، ذلك النسق الذي أخذ يتنامي بشكل واضح منذ سبعينيات القرن الماضي ودخولا في الألفية الثالثة.

بلى، لقد ساد نسق التفكك والتفتت على كلا المستويين: العالمي والعربي، وانهارت مقولات العضوية ابتداء بالهيجيليّة وانتهاء بالصوفية المعاصرة مرورا بالأيديولوجيات الكبرى. ويبدو لى أن ميلاد هذا النسق الجديد هو انتصار ورد فعل للرأسمالية المنصرمة ومعولها الناخر، كما أنه استجابة _ على المستوى العربي_ لسلسلة الانكسارات التي أخذت صورة خلخلة كاملة نتج عنها بؤس مادي وروحي عاشه ويعيشه الإنسان العربي منذ انهيار المشروع القومي الواحد وحتى اللحظة الراهنة؛ منذ أن تبدي له أن حلم العضوية مجرد خيال ظل عجزت الثورات أن تدعمه، تلك الثورات المبتورة التي لم تؤد جميعها ما كان يرتجى منها؛ ربما لأن الواقع العربي أشد احتياجا إلى ثورات حضارية جذرية لا مجرد ثورات سياسية.

يضاف إلى ما سبق ما يُلمس من انفجار زمنية العصر الحديث وسرعة إيقاعها، فالإرباك الذي لحق الحياة جراء ذلك أثّر تأثيراً مباشراً على الإنسان المعاصر وطرائق عيشه، وقد تسلل ذلك الشعور بسرعة زوال الأشياء والظواهر التي كان التغيير يداهمها إلى كل شيء، ولاسيما في المجالين الاقتصادي والاجتماعي حتى إذا ما وصلنا للجانب الثقافي وجدنا كل شيء يعدو بفعل التطور الهائل للمعلوماتية ووسائل الاتصال والميديا، مما جعل هذه العوامل تنتزع من الناس ذلك الشعور بالديمومة الذي كان يميز الفترات التي اتصفت بالاطمئنان وبطء التغيير، ومن ثم تحطمت التشكيلات القديمة في جميع مجالات الحياة، حتى صارت الاندفاعة التي أعقبت الثبات النسبي للماضي تفرز أشكالا جديدة تتبلور بسرعة، ولكنها لا تلبث أن تذوب مرة أخرى في التيار.

ولم تنعكس البلبلة وفوضى الروح على الحياة الواقعية وحدها، بل امتدت إلى كل الأصعدة وفي كل شيء، في الفلسفة والعلم والرؤى التي يفكر بها الإنسان العربي ويعيش، وفي الفنون جميعا: الشعر، والفنون التشكيلية، والغناء، والموسيقى، والنقد الأدبي، وغيرها.

نعم، لقد استجاب الشعر العربي لتمزقات الواقع وانبجاسات النسق الثقافي الظاهر، مثلما استجاب من قبل لما كان من تبلور لرؤية جماعية عضوية وتجسيد لها. إن تمثلات التفكك بأشكاله تفتتا وتجاورا وتشظيا ولاتناغما تحلّ محل تمثلات العضوية تحت مؤثرات اجتماعية وسياسية وفكرية معاصرة.

تمثلات نسق التفكك في القصيدة المعاصرة:

تعبر تمثلات التفكك عن نفسها في تجليات متنوعة متضاربة ومتعددة يجمعها أمر ناظم هو التشكل في فضاء لا يشكل بنية متواشجة متكاملة موحدة كما كانت بنية شعرية التعاضد، وأحيانا نلحظ الصراع الضدي بين النسقين المضمرين: التفكك والتعاضد، لتكون الغلبة على مستوى البنية السطحية للنص للمكونات الظاهرة لنسق التفكك، فيما يضحى نسق العضوية كامنا فى العمق أو حلما إنسانيا مخاتلا يخشى أن يهوى كليا أو يتوارى فيمسك باللاوعى سبيلا لنجاته. أوليس هذا ما يحدث بالضبط خارج النص، يشتعل في العمق وهم التوحد بينما لا تنبئ كل الظواهر الخارجية إلا عن تناثر. ألا يسود وهم العضوية العربية على المستوى الجغرافي، فيما تمزق قوى التشظي الأشقاء.

1. النثرية وانحلال الإيقاعية المنتظمة:

سُئل أبو حيان التوحيدي: لمَ لا يُطرِب النثر كما يطرب النظم؟ فأجاب: "لأنا منتظمون فما لاءمنا أطربنا"[15]. لقد لخص الرأي السابق الموقف التذوقي للشعر العربي منذ العصر الجاهلي وحتى وقت قريب، لكن الواضح أن ثبات هذا الرأي بدأ يضعف، ويهتز اقتناعنا به إذا عرضناه على الذائقة الراهنة. فقد تغيرت الذائقة ولم يعد قول أبي حيان صادقا على نحو قاطع، خاصة مع تجربة قصيدة النثر التي صارت بيتَ طرب لعدد كبير من الشعراء والقراء، يزداد قاصدوها يوما بعد يوم. فتُرى هل اعترانا صدع صرنا معه لامنتظمين فما لاءمنا أطربنا؟.

لا شك أن هذه القصيدة المغامرة الممتدة في نسغ المغايرة الشعرية العربية، تدعونا بإلحاح إلى مقاربات نقدية عديدة ودائمة؛ كشفا لتبدلات الكينونتين: الشعرية، والأنطولوجية من ناحية ، وتحولات الذائقة من ناحية أخرى، تلك التي باتت تحبِّذ ما هو نثر؛ تعنى به، وتطلبه، بل وتتعمده.

وأول ما يتبدى لمتأمّل، هو انطلاق شعرية قصيدة النثر من تجربة مركزية جاذبة لنثارها، تقوم على إحساس طاغ بوحشة العالم، واصطدام بجدرانه، ومعاناة عذاباته. وقد أدى القلق المتوقد إزاء تلك التجربة أن حمل الشعراء على عاتقهم إبراز بشاعة اللحظة الآنية، وكشف تشوهات اليومي المعيش وتشتتاته، وذلك عبر سرديات شعرية درامية يمكن وسمها بشعرية القبح والتشويه؛ فهى تنحو إلى الاحتفاء بالذات والخيبات والانكسارات، بلغة جريحة تحتفي بالتشظي، وتختزل العالم في إيقاعية نثرية لامنتظمة تفضح كوامن الذات وارتجاج الوجود معا، إذ تقول التجربة كينونتها الشعرية عبر أخذ مسافة للتأمل في عالم لا يستحق ـ فيما يرى شعراء النثر ـ إلا التوبيخ نظرا لفظاعته تجاه الذات الشاعرة المتشظية، والغارقة في خرائب وجود يزداد نزيفا وجرحا وتقيحا، لذلك احتاج الشاعر إلى لغة تحتفي بعزلة الفرد وبتفكك المجموع وبالخراب الناجم عن انعدام القيم الإنسانية، والصمت المريب

لذات كلية ناعسة.

ولم يكن خروج القصيدة الراهنة على الإيقاع إلا لاعتباره جزءا من صوت الماضي ومفاهيم العضوية والنفس المشترك، تلك المفاهيم التي لم يعد لها وجود في ظل بروز فكرة الذات الفردية التي تأبى عضويتها بالعالم الموحش والعدواني، فتغدو الكتابة محض مخاضها واختياراتها، لا ضابط قبلي لها، فلا تتشكل في إطار نموذج مسبق أو تبعا لشعريات مشتركة كما كان في شعر التفعيلة، بل تمثل ولادة حرة طليقة إلا مما تجسده لغة النثر في ذاتها من مكونات جماعية ونفس مشترك.

خلقت القصيدة الجديدة أو لنقل الآنية إيقاعية بديلة مندغمة مع إيقاع الداخل، وذبذبات العواطف وزلازل البواطن المتشظية بفعل عوامل حضارية وتاريخية لم تكن في صالح الذات، بقدر ما زادت من تأزيم علاقة الشاعر مع الواقع المتشرذم والمتشظي.

2. تفتت مرايا التجربة:

لعلني لا أجانب الصواب إذا قلت إن شاعر اللحظة الراهنة يواجه الكتابة الشعرية بعراء إيديولوجي وبلا انتماء إلا للحظة ولذاته المنفردة وللشعر. لكن، إذا كانت الشعرية العربية الجديدة في قصيدة النثر قد اتخذت منذ تسعينيات القرن الماضي مسارا يقوم على تهميش مركزية الذات الشعرية لصالح شعرية المعيش واليومي، فإن القصيدة الآنية أحدثت ضربا من التوفيق بين مركزية الذات ومركزية المعيش، على أساس أن المسافة بينهما مسافة التحام كاشف للبعدين الدراميين معا: إيحاش العالم، والفجيعة الإنسانية. ومن هذه الزاوية، أفرزت القصيدة الآنية تحركين مهمين يوحيان في العمق بوهم العضوية، بينما يفرزان على المستوى السطحي تمثلات التفكك القائم على تجاور الرؤى وتشظيها:

- تحرك يتأسس على قوة المشاهدة، وسبر أغوار المرئي، ورصد التفاصيل اليومية، والصور التلقائية، كشفا لموبيقات العالم المعيش، واقتناصا لبنية تشوهاته تلك التي نراها ممثلة في مرايا متجاورة تعكس جوانب: القبح، والخراب، والتبدل، والعبث، والغياب، والتشظي، والزوال... إلى آخره.
- أما التحرك الآخر فإنه يأخذ القصيدة إلى ملكوت الرؤيا، ويعتبرها تجربة تكتسي بعدا وجوديا. وانطلاقا من ذلك التصور شددت بعض القصائد على مركزية الذات في الواقع المعيش، ونضالها من أجل تأكيد الحضور واختيار المصير، مقترفة، ولو على سبيل التوهم، جنحة الاحتيال على التشوّة والبشاعة الوجودية، مبتدعة جملة من الإجراءات في مواجهة شعور الذات الفاجع والملحمي بالاستيحاش.

والواقع أن هذا التنميط لا يلغي التنوع الذي ربما اعترى كلا المسارين.

وعلى المتوالية الشعرية الأولى للمسار الراصد لقبح العالم، يمكن نعت تجربة الكثيرين من الشعراء، من مثل: محمد متولي، محمد آدم، نوري الجراح، قاسم حداد، يحيى جابر، عبد الكريم الرازحي، عبد اللطيف الربيع، محمد عيد

إبراهيم، فتحي عبد الله ، رفعت سلام، حلمي سالم، وديع سعادة، عبد المنعم رمضان،أحمد طه، مؤمن سمير، مصطفى السيد، ومحمد بدران، وآلاء فودة،... وغيرهم. فقصيدهم مرآة إنسانية تراوحت بين الاستواء والتحدب والتقعر، لتعكس الصورة الجحيمية للعالم المعيش وفقا لمنظورات الذات الرائية ومدى سخطها على ذلك العالم اللامرغوب، الذي لا طاقة لها على الاندماج فيه، ولا التملص أو الفكاك منه؛ فتقعد محسورة، يرهبها فداحة الصور وقبحها، وتطحنها رحى الرغبة وتطوحاتها.

ويتبدى القبح والتشويه الشعري العمدي للعالم في خطاب قصيدة النثر الراهنة ممثلا من زوايا ورؤى متباينة، منها على سبيل المثال: **مرض العالم وخرابه، فى تجربة مصطفى السيد سمير**. حيث تكشف تجربة الشاعر مصطفى السيد في قصيدته " تاريخ مرضي للعالم" عن فعل شعري عنيف بارع في صوغ الأحلام الكابوسية، إذ تتحول أشياء العالم المعيش، خاصة تلك التي طالما تم الاحتفاء بها، لتتجاوز دلالاتها الملازمة تاريخيا إلي دلالات أخرى سلبية، تجسد احتدامات الوجود، وتخطو طريقها نحو تعرية العالم لإحداث تحاوير حافلة بالتوتر وظلال المعاني عبر أداء منولوجي استبطاني تهيمن فيه رؤى الخراب، ويغيب فيه البحث عن القيمة؛ لأنه ليس ثمة قيمة في عالم تحولت إيجابياته إلى سلبيات وأمراض مزمنة، حتى أن الأنا والآخر المقذوف بهما فيه صار اجتماعهما معا يعني الفناء المحقق؛ فالعالم مريض شائه ومفكك والعدم منتظر.

أشجار المدينة كمادات على جبهة الإسمنت
الحافلات أمعاء ممتلئة ببشر عسيرين على الهضم
البحر تضخم في إحدى الرئتين
يعوض ضمور الأخرى
الأغنيات تاريخ مرضي ينقصه الدقة..
أسلاك الحدود الشائكة ندوب في وجه الحلم
الجنود تشنجات داكنة تعتري الوطن
الرايات ملاءات ينبغي تغييرها كل فترة
لتجنب قرح الفراش.
النجوم سعال لملائكة لم يرتدوا ما يقيهم من الوحدة
القمر عمى ليلي
الحب فقدان مزمن لحاسة التذوق
القهوة نزيف داخلي يغرق أحشاءنا.
الانترنت طبيب فقير يقاوم النعاس في قسم الطوارئ
وهو يضع قسطرة بلاستيكية لأوجاعنا المحتبسة.
الشوارع دعامات من الجبس
تغطي انكساراتنا التي لا تشفى

الميادين كدمات زرقاء
الزوايا تحتضن البكتيريا
وتطردنا.
وأنا وأنت
قطرتان من الدم من فصيلتين مختلفتين
نبحث عن عالم يمكنه إيواءنا معا
دون أن يموت.[16]

وتظهر القصيدة كتلة لامكانية، ترمي إلى عولمة النص وجعله غير مرتبط بحدود جغرافية، فهو يخلق حالة كابوسية عامة مرتبطة بالإنسان دون ارتباطات مكانية أو زمنية، مما يشير إلى الاتفاق القائم بين الهم الجمعي والقلق الذاتي تجاه العالم المريض والقبيح.

والحق أن العالم المريض والخرب الذي يتحدث عنه "مصطفي السيد" يوجد داخل الشاعر فى نفس الوقت الذي يوجد فى الخارج، يمثُل فى الوعى الذى يراه، ويمكن- مجازًا - أن نستبدل لفظة عالم ثقافى بعالم واقعى، فإذا كان الثانى موجودا فى ذاته ولذاته مستقلا عن أية خبرة، فإن العالم الثقافى يعدّ جزءا لا يتجزّأ من مفردات العالم المعيش الذى يعنى به الوعى ويتوجّه إليه، والتمثّل الداخلى هو أسلوب الوعى فى تحويل الواقعى إلى ثقافى[17].

وتتجاور المرايا حيث **التفلُّت والفقدان والغياب، في تجربة محمد بدران.** فإن جزءا من قبح العالم ينشأ بالتأكيد من الشعور بتفلته كعملة ثلاثية الأبعاد لا نقوى على استعادتها من قبضة الهواء، ولأن تفلته وشيك وبطىء فمازال الطفل الإنساني يمضغ قرفه كعلكة، ومازال مشغولا بغياب الذات الكلية الأزلية الشاهدة على شقائه وعذاباته، عاتبا عليها: لماذا تحتجب في الوقت الذي يحاول فيه البعض أن يلعب دورها فيفسد العالم؟! لا شىء يملكه ذلك الطفل فى مواجهة العالم سوى أمنيات قصيد نازف وفارغ من المعنى.

تقول صديقتي:
إن الله كان جادا
حين وصف نفسه بالرحمة،
تبكي كثيرا،
وتغمض عينيها من فرط ما ترى.
..
"العميان لا يرون الله"
قالها اعمى
يبيع الحكايات في سيدنا الحسين
مقابل جنيه جديد، له ملمس حديدي

ومضى
يتمتم في صوت غير مفهوم
كأن الله لا يراه!
...
الظلال تتراكم حول الأضرحة
بشكل هزلي كل يوم
البعض جائع
لأن طعام الله "ناقص ملحا"
الأصوات تتداخل
لا شيء يفسر شيء،
البعض حاول أن يلعب دور آخر
فافسد النص.
أمه كالعادة
تحزم ما تيسر من قصائد
تلقيها في النهر
ما بها من ملح
سيعدل طعام الله.[18]
.....

ربما قدر لي أن أتابع هذه المرايا المفتته والمتجاورة فى دراسة لاحقة.

3. اللازمانية واللامكانية:

رفض الانتماء الزمني والمكاني أو ما عرف "بالمجانية" هو وجه من أنسنة النص وعولمته وجعله غير عضوي ولا مرتبط بحدود جغرافية وزمنية معينة، فمجانية النص تأتي من عدم انتمائه لأرض معينة أو لشعب معين. وإلغاء المكان هو طريقة أخرى لإلغاء الزمن، لأن الزمن يمكن إدراكه على أنه مكان فكري0 فقصيدة ما بعد الحداثة تعالج ظاهرة إنسانية عامة يمكن أن نتلمسها في أي مجتمع من المجتمعات، إنها مرتبطة بالإنسان من دون ارتباطات جغرافية أو زمنية، تتخطى حدود أوطانها إلى الوجود الإنسانى كله، ولا يعني ذلك كونها عضوية بل إن عضويتها التحتية الخفية تتجلى في الإيحاء لا فى البناء، إذ ينهار التاريخ ، فلا تصدر عنه الذات، تلك التي تخلت عن هوس الزمني، ومن وجوه ذلك ظهور الشذرة والقصيدة البرهة والومضة التي تنتجها ذات تعاين العالم وتتأمل تناقضاته ومفارقاته بوعي انفصامي وبهدوء رفيق.

4. التشذيروتفتت الموضوع:

اكْتَسب التشذير أهميته الكبرى في شِعريَّة ما بعد الحداثَة، وصار نَصُّه عقدًا مِن النّصوصِ المتتابعة؛ الَّتي تُؤكِّدُ مبْدأ التجزؤ وَالتفكك، أصْبَحَ النَّصُّ يَتَشَكَّل مِنْ سِلْسلة مِنْ النُّصوص المتوالية في فَضَائِه في كَثَافَة شَديدَة، تُؤسِّسُ لاستدامة نسق التَّشظّي وَالتّفكك وَالتفتيْت وَالتَّشذير:

الستائر المذعورة ليس بها خطب
الأسرّة الدافئة ليست معدة للراحة الأبدية
الدمى البالية لا تليق بها الأكفان المستعملة
والحدائق الزاخرة الآن أمامك بالظلال
لا يهمها إن جئت وحيدًا
أو في صحبة علاقة عابرة بكلب[19]

5. التركيبي المشهدي:

المشهَديَّة هيَ اعْتِمَاد آليّاتِ صِنَاعة المشْهَد؛ لِتحقيْق المجاز البَصَريّ، ومن ذلك هذا النص لمصطفى محمود والمعنون ب "خمسةٌ وعشرونَ سطراً بالألون الخشبيّة":

منذُ خمسةٍ وعشرين كومةُ قشٍّ
كانت جدّتي تخبزُ الأيّام هُنا في وسط الدار
على فُرنها الطّينيّ..
والآنَ والأيام تعجنُنا وتخبزُنا
لمّا تزل بعضُ كلماتِ الأغاني
-التي كُنّا نتدثّر بها صغارا؛
كُلّما باغتنا الوحيُ في الشارع الخلفيّ-
عالقةً في فؤادي
(الدنيا بتشتي، واروح لستّي.. تعمل لي فطيرة..
تحت الحصيرة .. آكلها وانام .. عند اليمام).
***
منذُ خمسةٍ وعشرين لوْحا
كانَ الشَّيخُ مُمسكاً بعصاهُ

كمن يحبسُ الأفراحَ في كفه

وكنّا نردِّدُ الآيَ كالعصافير تُغنّي للصدى

"سبِّح اسم ربّك الأعلى"

فيرُدُّ الكون،

وننتشي كمن مسّه قبسٌ من نبوّة.

***

منذُ خمسةٍ وعشرين تابوتا

وأمّي تحفظُ تاريخ الموتِ جيّدا

تحدّد الجغرافيا بشاهدِ قبرٍ،

وتعرفُ الأيام بلون التوابيت!

خمسةً وعشرينَ سنةً تتّشحِ بالسواد

هذهِ القدّيسةُ السمراء

التي ربّت الصبرَ حتّى صار شيخا

وحينما آتاها الله الضغط العصبيّ

وفيروس سي قالت:

مرحباً بضيوف الحبيب في جسدي!!

***

منذُ خمسةٍ وعشرين كوباً من الشاي بالحليب

قد امتلأت بالحُزنِ تارةً، وتارةً ملأناها

بالأناشيد وال "ستيلّا"

خمسةٌ وعشرونَ عاماً مرُّوا يا (غازي)

ونحنُ نشاهدُ سبيس تون معا

ونخبّيء اللبؤات على "الهارد ديسك" وفي السراويل

تبدَّلت الشخوص؛ لكنّها الدنيا يا صاحبي..

فاسند رأسك إلى كتفي المُتعب،

وضع رأسي

في جيب قميصك -عند القلب تماماً-

وتذكّر "إني أنا أخوكَ فلا تبتئس" يابنَ الحُزن.

***

منذُ خمسةٍ وعشرينَ قلماً من الرصاص

وأبي يُمسكُ أصابعي الخمس

تماماً كمن يُمسكُ بذاكرتي

ويقول: اكتب "يابن الكلب"

"ولا تقصُص رؤياكَ على إخوتِك"

خمسةٌ وعشرونَ كُرّاساً يا أبي،

ولا زالت تردّدُ في أذني كلّما هممتُ بالكتابة

خمسةٌ وعشرونَ وأنتَ معي

وأنا أراكَ رأيَ العين

كمن "رأى الجبل دكاً عندما تجلّى لهُ الله"!![20]

وَعَلى هَذَا النَّحوِ يبدو العَمَلُ الشِّعريُّ، مقتربا من طبيعَةِ العَمَلِ السِّينمائيّ؛ يُركِّزُ فيه الشَّاعرُ على مُفْرَدَاتِ المشْهَدِ البَصَريّ، ويُحدِثَ مَا يسمى بالمونتاجِ الزَّمنيّ، من خلال تَوَالي الكَادرَاتِ أوْ المشَاهِدِ السِّينمائيَّةِ المتعاقبة والمتجاورة، حيث تحل العين محل الأنا تماما، مما يؤدي إلى انحسار جماليات الانفعال والشعور وبروز الذهنية.

ويذهب كمال أبو ديب إلى أن هذا الحلول يمثل انعداما لامتلاك العالم وفقدانا للرغبة في التفسير وهو وجه من وجوه سقوط الأيديولوجيا[21]، لأن كل تفسير في النهاية هو تعبير عن تملك أيديولوجي للمفسر، فالكتابة من وجهة النظر هذه تنأى اليوم عن التفسير لأنها تشعر أنها لا تمتلك العالم أيديولوجياً، فترى العالم مغلقاً غير قابل للإدراك ، ويصبح الشعر، شعر اللحظة الراهنة شعر البرهة، شعر الذات التي " لايشرنقها وعي تاريخي ولاتفهم اللحظة باعتبارها وليدة التاريخ، بل تدركها حسيا باعتبارها لحظة منقطعة قائمة في ما يكاد يكون انقطاعاً زمنياً كلياً عن نهر الزمن المتدفق"..

ويشي التركيب المشهدي بانهيار الوحدة وتهدم مركزية الرؤية أو البؤرة المركزية للعالم.

6. اللامعقولية والتشابك الاختلاطي والنزوع السريالي:

إن الفعل الأساسي الذي يقوم به السريالي ضمن نسق التفكك هو فعل تحرر، إنه غريزة عميقة في الإنسان تنزع إلى تحطيم ما يشده إلى العالم من قوانين. ولم تتعمد الشعرية العربية بماء الحداثة إلا حينما انخرطت في معمان المواجهة والتأسيس وقامت بسلسلة من الأفعال التدميرية من مثل تخرب الذاكرة باعتبارها آلة متسلطة،

وتدمير سلطة اللغة وقوانينها الدلالية والنحوية.

ونرى وجها من هذا التمثل في قصيدة حلزون الوقت للشاعرة آلاء فودة، تقول:

تأزمت كثيرا من متلازمة الوقت،

علقت المواعيد في سقف حجرتي

وتأملت انسكاب الحياة

كل شئ كان هادئا

ويمر بذكاء مفرط في الرتابة.

كان الوقت انبوبا بين فضائين شاسعين

وكنت حلزونا

يحبو بين مدى من الأزمنة،

فقيرا

وحذائي مثقل بالحصى

لكن خطواتي لم تتوقف،

تمددت في الساعة

وعبرت هذا الحاجز الضيق بين العمر والكون.

رأيت كل أبنائي

الذين أنجبتهم في أوقات جاءت أو ستجيء

صار أبنائي أحفادا وأجدادا لبعضهم البعض.

والفضاء أسود

والرحم أسود

وهذه القيامة سوداء

والوقت كلب أسود ينعق كلما انتهت ساعة

وبدأت أخرى.

فلم أثق يوما بالمواقيت.

هجرني حبيبي في نفس الثانية التي يحبني فيها،

تمدد الوقت ليسع الحب والوداع!

تمددت الثانية فصارت حيوات بأسرها

حيوات كالتي في المسافة بين عجلات المقطورة والإسفلت،

في المسافة بين الضوء وظله،

بين الرصاصة والضلع الممزق،

بين الجسدين في سكينة العناق،

بيني

وبين انقسامي المتكرر

في حياة لا وقت فيها.

ويرى الدكتورصلاح فضل أن السريالية والصوفية تلتقيان في منطقة واحدة هي "التجريد"[22]، فهذا ما حاوله المتصوّفة عندما نزعوا عن الكلمات دلالاتها المألوفة وأعطوها دلالات جديدة من خلال "الترميز أو التشفير اللغوي في الشعر القديم بنزع الدلالات الحسية والدنيوية المتصلة بالجنس والخمر وربطها رمزياً بدلالات جديدة ترتبط بعالمهم ومواجدهم، والشعر التجريدي يمارس العملية ذاتها أي نزع الدلالات المألوفة للكلمات وإعطاءها دلالات جديدة دون مرجعية سوى التجربة اللغوية والشعرية.

وخلاصة الأمر في هذه النقطة أن التقارب بين السريالية والصوفية يعدّ مسرباً من مسارب الإبهام والغموض في شعر الحداثة العربية وما بعدها.

7. المسافة الدلالية وكسر أفق التوقع:

لقد حدد الدرس اللساني الحديث ست وظائف للخطاب من خلال ترسيمة جاكبسون الشهيرة التي تحدد طبيعة الخطاب عامة والخطاب الأدبي بشكل خاص. ويرى جاكبسون أن ماهية الخطاب واتجاهه إنما ترجع إلى تركيز المرسل على إحدى هذه الوظائف دون غيرها، فالوظيفة الانفعالية تأتي للتعبير عن المرسِل وطبيعته وانطباعاته الذاتية، أما الوظيفة الإبلاغية(الإيهامية) فتتعلق بالمرسَل إليه وأحواله، وأما الوظيفة الإنشائية (الشعرية) فهي جوهر الرسالة التي يحملها الخطاب الأدبي وهي الوظيفة التي تجعل الرسالة هدفاً في ذاتها وتمنحها الشكل الذي يجعل منها نصاً أدبياً، وتَعْني الوظيفة المعجمية وجود شفرة مفهومة بين طرفي الخطاب (المرسل – المرسل إليه)، وأخيرا تحقق الوظيفة الانتباهية ضمان صيرورة التواصل بين الطرفين.

والحق أن للخطاب الشعري خصيصات نوعية هي وحدها التي تميزه من سواه من خطابات الحياة اليومية، لعل أهمها اللغة واستعمالاتها الخاصة التي تتجاوز الوظيفة الإبلاغية وهذا ما عبر عنه جاكبسون بالوظيفة الإنشائية (الشعرية) التي تجعل الرسالة بوصفها كياناً لغوياً هدفاً في ذاتها. فإذا كان الكلام العادي ينشأ عن مجموعة انعكاسات مكتسبة بالمران والملكة، فإن الخطاب الشعري صوغ للغة عن وعي وإدراك، ليست اللغة فيه مجرد قناة عبور الدلالات، بل هي غاية تستوقف لذاتها. هذا يعني أن الخطاب الشعري يسعى إلى خلق لغة خاصة داخل اللغة من خلال انزياحاتها، وتغليب القطب الصوتي على القطب الدلالي، بحيث تصبح الكلمة إشارة حرة

تسبح في خيال المتلقي دون قيود دلالية مسبقة, لأن هدفها إثارة انفعال لا تقرير وقائع. فهي لغة استشرافية بطبيعتها، لا تعرف اختزال المعنى بل توسيع وتضييق بين الرمز والفكرة، بين العلامة المكتوبة والمعنى المحدد.

وإذا كانت قصيدة النثر في الحداثة وما بعدها تشترك مع الأنواع الشعرية الأخرى في هذه الخصيصات العامة، إلا أنها اعتمدت آليات فنية معينة تميزها نوعاً ما من سواها. من هذه الآليات كسر أفق التوقع، وهذا يتم عبر خلخلة الألفاظ عن عضويتها القديمة للمعجم الجمعي المشترك، ومنحها دلالات ليست لها من قبل، وذلك عبر التركيب بين المتشظى من الدلالات والمتباعد، الأمر الذي يفضي بطبيعته إلى خلخلة توقعات المتلقي ومفاجأته لإحداث الفجوة والهزة أو مسافة التوتر. ولعلها ذات الفجوة والهزة والمسافة الموجودة في ثقافة يصوغها واقع كل ما به لامبرر وربمالامفهوم.

وعلى هذا الأساس أصبحت قصيدة النثر في كثير من الحالات تعمد إلى المفارقة وكسر أفق التوقع وربما تكلفت في الإعداد لذلك سعياً لإحداث الهزة أو مسافة التوتر, حيث تكتب القصيدة بتقريرية مقصودة لتقديم أفكار شبه مباشرة في الطرح , تمهيداً لإحداث هذه الهزة وصولاً إلى أقصى درجات المفارقة، وبهذا تكون طبيعة التلقي على امتداد النص مباشرة وبسيطة، لتفاجَأ بهذا الكسر غير المتوقع الناجم عن مفارقة أو مفارقات يتم تحصيلها بطريق التقابل والتوازي والتناظر والمفاجأة. وقد اشتغلت قصيدة جسارة السرّ للشاعر لقمان محمود على هذا الفضاء الشعريّ في مجموعة من لقطاتها، لتشكّل كلّ لقطة من لقطاتها رمزيةً مفارقة خاصة ذات طبيعة تشكيلية جمالية نوعية، ففي إحدى اللقطات رسم الشاعر مسارين اثنين شكّلا جوهر الفاعلية الشعرية في اللوحة، المسار الأوّل المتمثل بدال (الفراشة) ذي الحضور الشعريّ المركزيّ في الصورة وهو يهيمن على بؤرة اللوحة ويملأ مساحتها أيضاً:

تبقى الفراشةُ أميّةً
حتى تتعلّمَ
قراءة النارِ
دون أن تحترق

يمنح الفعل المضارع تبقى دال الفراشة خاصية الديمومة والاستمرار والحياة، على الرغم من أنّ الصفة أميّة تقلل كثيراً من زخم هذه الديمومة والحضور والحياة بحكم دلالتها التراجعية التي تضعف من قوّة الدال وزخمه، غير أن الجملة الشعرية مع سياقها المؤنسن تبقى ناقصة الشعرية لا تكتمل إلا حين تهبط هذه الجملة إلى السطر الشعريّ اللاحق المشرع بـ حتى ، حيث تدخل على الفعل المضارع تتعلّم، وهو يقترح مبدئياً محو أميّة الفراشة المعلّقة بصرياً فوقه، ومن ثم تتحدد بلفظة قراءة، وهي تضاعف من قوّة حضور الفعل تتعلّم من أجل مواجهة أميّة، ومن ثمّ تنفتح على طبيعة المقروء النار الذي يحقق انزياحاً ظاهراً ومفارقاً لا يمكن فهمه إلا بعد استكماله دلالياً دون أن يحترق، على النحو الذي تكون فيه النار هي مادة التعلّم، وتفادي الاحتراق بها هو مضمون هذا التعلّم، وبذلك تتخلّص الفراشة من أميتها حين تتعلّم الحياة وتتفادى الموت.

إنَّ اعتماد بنية المُفارقة نَسقاً جمالياً في النَص أمر لا يمكن النظر إليه بمعزلٍ عن آفاق التجربةِ الحياتيةِ والجماليةِ للشاعر، وما يدفع إلى هذا ما يعقِدُه الشاعر من قنواتٍ حواريةٍ بين ما هو جَماليّ فنيّ وما هو حياتيّ يوميّ في مقاربتهِ الشعريةِ للحياةِ (القصيدة). فإن التعبير بالمفارقةِ، يرتبط لدى الشاعرِ المعاصرِ بالموقفِ الجدلي من

الحياة والعصر، وما يشوبه من صراع يجعل الفعل يرتمي من أحضان اللا معنى، حيث تصبح المفارقة هي الوسيلة الوحيدة التي تقرر المعنى بافتراض خلفية لجميع مظاهرِ الصراع في هذا العصر.

8. انقطاع الرسالة وانكسارها وتحطمها وهدمها:

تعتمد هذه الآلية على فكرة الانزياح أو العدول التي فرضت سلطتها السببية على الشعرية المعاصرة , التي جعلت مصطلحات (الكسر – التحطيم – الهدم – القطع) للبنية النحوية أو السياقية / المرجعية أو الفكرية، مصطلحات لها دورها في العمل الشعري بوصفها الطريقة المثلى للوصول إلى الانزياح، ومن ثم الشعرية بمفهومها المعاصر، الأمر الذي أفادت منه قصيدة النثر وحاولت جادة تحقيق هذه الآلية, مما جعل الإرباك أو التشويش سمةً أساسية ' بل لازمة لقصيدة النثر :

الجوع امرأة تتعرى
في سوق الحطَّابات
مَن قدَّ قميصك يا بن العلوية ؟ مَن 000 ؟ مَن000؟ مَن ؟
ثانية في البدءِ
خلع الربُ قميصَ الأحزان,
هل خلع الرب قميص النوم ؟
و أشار إلى حشد بقايا دلمونَ ، وأرورو ... ,
لا غالب إلاه لا عاصم من هذا الزمن
إلا (الجلطةُ) أو سوط الشرطي
أو كأس عصير .. آح.... ضر ...

هذا مقطع من قصيدة طويلة تعتمد آلية انقطاع الرسالة من خلال تقنيات الفراغ والنقط وقطع الدلالة على طول سياقها التركيبي والنحوي, بهدف تحقيق المقصدية الفنية والزج بالمتلقي إلى جو النص للمشاركة في تأسيس بنية الخطاب الدلالية من خلال إكمال الدلالات المقطوعة وسد الفراغات المتروكة0 فالقصيدة تبدو غير قادرة على إيصال رسالتها بوضوح نتيجة البتر في تراكيبها اللغوية وتوظيف بنية التجاور والانقطاع, ويبدو السطر الثالث : (من قدَّ قميصكَ يا بن العلوية ؟ من 000؟ من 000؟) , منقطعا عما قبله مما يستفز ذهنية القارئ, فضلا عما يتخلل النص من ألاعيب تجريبية اعتباطية متمثلة في مساحات البياض واستعمال الحروف والنقط وغيرها. فالقصيدة عموما كاليغرافية تعيد الاعتبار إلى القراءة البصرية، وتفتح أفقا للخرق والإبداعية النابضة برؤى شعرية ثرية بمحمولاتها الموضوعاتية والجمالية، احتفاء بالذات باعتبارها مقوما من مقومات نصية جديدة .

9. انهيار المركز وغياب الأيديولوجيا:

لم يعد للقصيدة بؤرة تفيض منها، بل أصبحت سمة الإنتاج تنوعه وتناثره وتعدد أنماطه؛ ذلك لأن الرؤية والأيديولوجيا انهارتا معا، وانهارت معهما الذات، هناك موت لمفهوم الذات والوعى الكلى ليحل محله الوعى الجزئي الحسي فى الغالب وهكذا تبدو صور ولقطات ولمحات ولفتات بغير مركز ولا وشائج رابطة. وتتراوح النصوص بين

المتفجر عاطفيا والجاف فى ظل إلغاء للذات التى تعاني لصالح الذات التي تعاين وتبلغ تشظيها بحجم تشظي ما تعاينه وقد انهارت واحديتها وعضويتها.

10. انكماش الفضاء:

كرد فعل مبالغ فيه لطغيان الآخر الجماعي يتحول الأمر إلى نفي شبه مطلق للآخر، مما أفضى إلى الانكماش إلى فضاء الذات، وتقلص العالم ، ودخول التجربة إلى هوس قهري بالغرف المغلقة والآمنة تلك التي لا تتسع إلا لهواجس الصوت المفرد وهمومه ونزوعاته وخيباته وملاحظاته، وما يلوكه من كوابيس وخيالات جامحة وتوترات .

ولكن أين الآخر فى هذه التجربة؟ إن التركيز على الذات أفضى إلى ممارسة اختزالية للآخر فى شكل أميل إلى الإيروسية المرائية في زي صوفي، مع هوس بالجسد الشهواني بجزئياته وتفاصيله.

استجابة الجمهور وتفاعله مع نسق التفكك:

لا نستطيع أن نخالف الحقيقة فنقر باستجابة واضحة من قبل المجتمع للشعرية الجديدة فى انفجارها الأخير الذي أظهرت تمثلاته سلفا، فثمة قطيعة حادثة بين الطرفين: بين منتج الثقافة، ومتلقيه، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن وبإلحاح: إذا كان النسق المضمر للتفكك ناتج وموائم لنسق ظاهر على المستوى الثقافي، حاكم للرؤية المجتمعية القائمة أيضا على تكريس صور التفكك، فلماذا لا يقبل قطعيا ما أفرزته هذه الثقافة؟

إنني لا أعتقد أننا نواجه أزمة في الإبداع الشعري فقد تمخضت عنه الثقافة حاملا جيناتها التكوينية، مجسدا رؤيا العالم الحالية ، التي حددتها بانهيار المركز وتفتته وتفككه. الأزمة الحقيقية فى سياق الثقافة ذاته، فغياب الأيديولوجيا ، ونفي الآخر ، وتقليص الفضاء وتهميشه ، كلها عوامل يعيشها الإنسان العربي فى كل بقاع أقطاره، ومن ثم يمكن أن نرجع عدم التواصل إلى الدافع السيكولوجي الذى يحمل الآخر الجمهور على تقليص فضائه استجابة للحظة راهنة أساسها التفكك، وقطعا مع الآخر وعوالمه، مع عوالم يحمل حيالها هاجس الخوف ورغبة الخلاص. تلك الرؤية الطاغورية التي تغلق نوافذ الرياح كى لا تقتلعها من خيار الفردية.

إن النسق المضمر للتفكك يعاني قدر التفاعل المهزوم ، وقد نرجع ما أسميه التفاعل المهزوم إلى بنية الثقافة عموما القائمة على الثنائية: إذ تشير الثقافة فى معناها الكلي إلى صلة بين حضارة مخصوصة وإنسانية كونية. والحال أن الحضارة المخصوصة قد تختار مصير وتكرس له وتجمع علية وتدفع إليه لكنها لا تتمكن أبدا من تفادي عراك وشيك مع الإنسانية الكونية التى تفضل العضوية والاتحاد الأمر الذي يكبل التفاعل المشطور بين قطبي الصلة ويصبح بدهياً لدينا الاعتراف بمقولة هوراس الشهيرة ما من شيء إنساني غريب علي.

المراجع:

1. أحمد عبد المعطي حجازي، الشعر رفيقي، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2013.
2. أدونيس، الأعمال الكاملة ، المجلد الأول ، دار العودة، بيروت، ط1، 1971.

3. أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢.
4. أدونيس: الصوفية والسريالية، دار الساقي. ط2، 1995.
5. إسماعيل الصيفي، بيئات نقد الشعر عند العرب من الجاهلية إلى العصر الحديث، دار القلم، الكويت،1974.
6. حنون المبارك، دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1980، ص 86-87.
7. أبو حيان التوحيدي: المقابسات، تحقيق حسن السندوبي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، الطبعة الثانية، 1992، ص22
8. صلاح عبد الصبور، حياتي في الشعر، دار إقرأ، بيروت، 1983، ص 140.
9. صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، شركة الأمل للطباعة والنشر، 1996.
10. . عبدالحكيم بلبع، حركة التجديد الشعري في المهجر بين النظرية والتطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980 م.
11. عبد الحي دياب، عباس العقاد ناقدا، الدار العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.
12. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي- قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2001.
13. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، القاهرة،1978.
14. العقاد (بالاشتراك مع المازني)، الديوان في الأدب والنقد، دار الشعب، القاهرة، ط2، 1921.
15. كمال أبو ديب، جماليات التجاور أو تشابك الفضاءات الإبداعية ، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧
16. ماجد السامرائي، رسائل السياب، دار الطليعة، بيروت 1975.
17. محمد مندور، الشعر المصري بعد شوقي، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، 1955.
18. مجلة الثقافة الجديدة، ملف الإبداع الشعري الراهن، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2016.
19. مصطفى عبدالغني، الاتجاه القومي في الرواية، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت،1994.
20. ميخائيل نعيمة، الغربال، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط6، 1960.
21. يوسف بكار، بناء القصيدة العربية في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1983.
22. يوسف سامي اليوسف، الشعر العربي المعاصر، إتحاد الكتاب العرب – دمشق ، 1980.
23. يوسف عليمات، جماليات التحليل الثّقافي: الشعر الجاهلي نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان، ط1، 2004.

---

1. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي- قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2001، ص77.

2. يوسف عليمات، جماليات التحليل الثّقافي: الشعر الجاهلي نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان، ط1، 2004، ص35.

1. اختلف الدراسون في تحديد أول من نادي بوحدة القصيدة وضرورة تعاضد أجزائها: ففي حين يرى إسماعيل الصيفي أن حسين المرصفي هو أول من دعا إلى وجوب تحقيقها، نجد عبد الحي دياب يعقد الزعامة للعقاد، أما محمد مندور فيحل خليل مطران في المحل الأول، في حين يجعل يوسف بكار البداية الحقيقية لصاحبي الديوان (العقاد والمازني) اللذين ارتضيا «الوحدة المعنوية» اسما للوحدة المطلوبة.
راجع في هذا الصدد، إسماعيل الصيفي، بيئات نقد الشعر عند العرب من الجاهلية إلى العصر الحديث، دار القلم، الكويت،1974، ص136. وراجع، عبد الحي دياب، عباس العقاد ناقدا، الدار العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965، ص 410-428. وراجع أيضا، محمد مندور، الشعر المصري بعد شوقي، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، 1955، ص22. وانظر، يوسف بكار، بناء القصيدة العربية في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1983، ص 288.

4. عمد العقاد وزملاؤه إلى إثبات ما في قصيد أحمد شوقي من تفكك، واتخذوا مثالا على ذلك قصيدته في رثاء مصطفى كامل التي مطلعها:

المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما في مأتم والدّاني

وهى قصيدة مكونة من أربعة وستين بيتا بدت لهم مشتتة لا روح لها ولا سياق ولا شعور ينتظمها ويؤلف بينها. الرأي الذي أيده أيضا ميخائيل نعيمة منتهجا نهج العقاد في دراسة قصائد شوقي وكشف ما بها من تفكك وإحالة وتقليد وولع بالعرضي دون الجوهري.
انظر، العقاد (بالاشتراك مع المازني)، الديوان في الأدب والنقد، دار الشعب، القاهرة، ط2، 1921، ص132-136. وانظر كذلك، ميخائيل نعيمة، الغربال، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط6، 1960، ص 145- 154.

5. انظر، عبدالحكيم بلبع، حركة التجديد الشعري في المهجر بين النظرية والتطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980 م، ص224.

6. أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢، ص ٤٥-٤٦.

7. دارت معارك فعلية حول هذه المسألة بين من أنكروا وجود العضوية في الشعر القديم، معتبرين غيابها نقيصة فيه، ومن أنكروا وجودها من منطلق رفض إخضاع التراث الشعري لمقولات معاصرة، ومن زعموا أنهم استطاعوا أن يكشفوا وجود الوحدة في الشعر القديم ويثبتوا بذلك فضيلة عليا له يتغنى بها النقد الحديث ويعتبرها سمة من سمات الخيال الخلاق، على نحو ما فعل طه حسين في كتابه من حديث الشعر والنثر.

8. شغل نسق التعاضد مكانة مركزية تماما تجلت في أبهى صورة لها في سعي جيل كامل من المبدعين في شتي أجناس الإبداع إلى إنتاج نصوص تمتلك تعاضدا ووحدة عميقة، ويمكن أن نعد كتابة الأجزاء في الرواية، وبزوغ الرواية الاجتماعية ضربا من تحكم النسق. كذلك تجلت مركزية هذا النسق في تنظير المنظرين للحداثة الأدبية في مرحلتها التكوينية، وفي تأثير هذا التنظير على أعمال كتاب لا يحصون. راجع: عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، القاهرة،1978. وراجع أيضا، مصطفى عبدالغني، الاتجاه القومي في الرواية، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت،1994.

9. ماجد السامرائي، رسائل السياب، دار الطليعة، بيروت 1975، ص85.

[10] انظر، أحمد عبد المعطي حجازي، الشعر رفيقي، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2013، ص 142.

[11] . صلاح عبد الصبور، حياتي في الشعر، دار إقرأ، بيروت، 1983، ص 140.

[12] . يوسف سامي اليوسف، الشعر العربي المعاصر، إتحاد الكتاب العرب – دمشق ، 1980، ص 133.

[13] . أدونيس، الأعمال الكاملة ، المجلد الأول ، دار العودة، بيروت، ط1، 1971، ص 427.

[14] . أدونيس، الأعمال الكاملة ، المجلد الأول ، ص 262.

[15] . أبو حيان التوحيدي: المقابسات، تحقيق حسن السندوبي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، الطبعة الثانية، 1992، ص222.

[16] مجلة الثقافة الجديدة، ملف الإبداع الشعري الراهن، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2016، ص70 - 119

[17] انظر، حنون المبارك، دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1980، ص 86-87.

[18] . المرجع السابق، ص 75.

[19] . مجلة الثقافة الجديدة، ملف الإبداع الشعري الراهن،، ص 83.

[20] . مجلة الثقافة الجديدة، ملف الإبداع الشعري الراهن، ص 101

[21] انظر، جماليات التجاور أو تشابك الفضاءات الإبداعية ، كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، ص 31.

[22] انظر، صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، شركة الأمل للطباعة والنشر، 1996، ص 381. انظر كذلك، أدونيس: الصوفية والسريالية، دار الساقي. ط2، 1995، ص 25.

قصيدة الومضة في الأدب الأردني بين النظرية والتطبيق " كمائن الغياب " للشاعر علاء الدين غرايبة أنموذجاً

الباحث: **عبد الله محمد الربيع**
جامعة جرش / الأردن

الملخص:-

تُعد قصيدة الومضة من الأنماط الجديدة التي استحدثت في القصيدة العربية، فهي قصيدة النضج الفني، حيث أنها تستفز عقل المتلقي وفكره، بعدد قليل من الكلمات بلغة مكثفة ومختصرة، كما أنها في خاتمتها تركز على إثارة الدهشة، فهي تسمح للمتلقي بإعمال فكرة واستخدام كل مهاراته الثقافية والادبية لفك معرفة الأنساق المضمرة في النص. ولعلها انتشرت في السبعينيات من القرن العشرين حتى أصبحت شكلاً شعريا خاصا.

ونحن في دراستنا هذه سنتعرف على التأصيل التاريخي لقصيدة الومضة، وأهم من كتب فيها في الأدب الأردني، كما سنتعرف على سماتها من خلال ديوان (كمائن الغياب) للشاعر الأردني علاء الدين غرايبه.

المقدمة:-

اقتضت طبيعة الدراسة أن تكون هناك مقدمة بينت فيها مشكلة الدراسة وأهميتها والمنهج المتبع فيها، ومن ثمَّ الحديث مفهوم عن قصيدة الومضة ومبحثين على النحو التالي:

أولاً: التأصيل التاريخي لقصيدة الومضة.

ثانياً: قصيدة الومضة في الأدب الأردني (كمائن الغياب) للشاعر علاء الدين غرايبه.

المبحث الأول: التأصيل التاريخي لقصيدة الومضة.

الومضة لغةً من ومضَ البرقُ: لمع خفيفاً، وأومَضَتِ المرأةُ: سرقتِ النّظر، وأومضَ فلانٌ: أشار إشارة خفية [1]. وفي هذا المعنى شيءٌ مِن اللّمعان والبريق والإضاءة والتألُّق والإشراق.

أما في الاصطلاح فهي قصيدة الدفقة الشعورية الواحدة، أو حالة واحدة يقوم عليها النص، تعدُّ نمطاً جديداً من أنماط القصيدة العربية [2]، تُبنى في الغالب على عدد محدود جداً من الكلمات والسطور، بلغة بسيطة مختزلة ومختصرة، تعتمد بشكل كبير على التكثيف والاختزال والاقتصاد اللغوي.

وتعد قصيدة الومضة شكلاً شعرياً أو أسلوباً بنائياً أخذ حيزًا كبيراً من اهتمام النقاد والباحثين في عصرنا الحديث، ولا سيما بعد لجوء الشعراء إلى النظم في هذا النمط الشعري الجديد، الذي له من الخصائص والتقنيات الأسلوبية كالإدهاش والتكثيف والإيجاز، وقوة الإيحاء والنزوع نحو الختام السريع والمفاجئ وغيره ما يميزه عن القصيدة الطويلة.

وهذه الصورة التي تعتمد الوميض أو البرق السريع، صورة في منتهى الغرابة من حيث البناء الفني، "إنها لقطات سريعة مفاجئة يلتقطها الخيال ببراعة فائقة من مشاهدات الواقع، ويعقد بين أوامر وثيقة ومنطقية، تهز الخيال بغرابتها، وما فيها من عنصر المفاجئة والإمتاع وجمالية التلقي والألفة"[3].

لم يتفق الباحثون على مسمى واحد لها، فنجدها بتسميات مختلفة منها :النُثيرة، والتوقيعة، اللمحة، اللافتة، المنمنمة، التلكس الشعري، قصيدة المشهد، قصيدة الخاطرة وقصيدة الفكرة... وغير ذلك، ولكننا نحن في دراستنا هذه سنعتمد مصطلح قصيدة الومضة.

كما اختلفوا أيضاً في جذور وأصل هذه القصيدة، فقد ذهب بعض الباحثين إلى أن قصيدة الومضة تعود إلى التوقيعات، التي تعنى بـ:" الكتابة على الحواشي الرقاع والقصص بما يعتمده الكاتب من أمر الولايات والمكاتبات في الأمور المتعلقة بالمملكة والتحدث في المظالم، وهو أمر جليل ومنصب حفيل"[4]. ومثال ذلك ما جاء عن الخليفة أبي بكر في توقيعه على رسالة خالد بن الوليد الذي كتب يستشيره في أمر الحرب، فكان رد أبو بكر " **احرص على الموت توهب لك الحياة**"[5]. ولأهمية التوقيعات وخاصة في العصر العباسي فقد تنافس " البلغاء في تحصيلها، للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها"[6].

ومن أصحاب هذا الرأي عز الدين المناصرة، وذلك في إحدى حواراته الصحفية قائلاً: أما قصيدة التوقيعة فقد كتبتها منذ عام ١٩٦٤م، بتأثير فكرة **التوقيعات العباسية**، فولادتها عندي عربية المنشأ، ثم استفدتُ من فكرة قصيدة " **الهايكو** " [7] اليابانية بتأثير الترجمات، وبعض خصائص "السونيت "[8]، ثم يطلق عليها اسم قصيدة التوقيعة، ويقول:" هي قصيدة ومضة مكثَّفة قصيرة، ذات ختام حاسم ومفتوح، وتمتلك عادة

مفارقة شعرية، وهي تختلف عن القصيدة القصيرة، فكلّ توقيعة قصيدة قصيرة، ولكن ليست كل قصيدة قصيرة توقيعة"[9].

ولعل قصيدة الومضة والتوقيعة لهما أوجه تشابه كبيرة من حيث الإيجاز والتكثيف، وقوة المعنى وقصر الحجم، ومع ذلك تبقى قصيدة الومضة مستقلة عن التوقيعة ومختلفة عنها.

ونجد هناك رأي آخر يرى أن الومضة الشعرية هي نتاج ذلك التأثر بالآداب الغربية وهي " "الأبيجرما" التي تعتبر فنا قديم نشأ عند الإغريق، في صورة نقوش على الآنية أو الأداة، وعلى شواهد القبور، وهو أن يكتب أهل المتوفي بيتا أو بيتين من الشعر في إيجاز شديد يؤثران في النفس القارئة أو المتلقي باطنهما المفارقة، ولا يخلو هذا الشاعر من حكمة قوية "[10]

ولعل طه حسين أول مَنْ تحدّثَ بهذا في كتابه " جنة الشوك" فنجده يقول:" ويجب أن أعترف باني لا أعرف له اسماً لهذا الفن من الشعر في لغتنا العربية اسماً واضحاً متفقاً عليه، وإنما أعرف له اسما أوروبيا، فقد سماه الأوروبيون واللاتينيون "أبيجراما"؛ أي نقشاً، واشتقوا هذا الاسم اشتقاقاً يسيراً قريباً من أن هذا الفن قد نشأ منقوشاً على الأحجار"[11]. وترجع بدايات ظهور الفن " (الأبيجراما) إلى القرنين السادس والسابع قبل الميلاد، إذ كان هذا الفن يكتب منقوشا على الهدايا التي يهديها الناس للحكام تقربا إليهم... وقد نشأ هذا الفن في الآداب الأوربية منذ " بداية القرن الثامن عشر ثم ازدهر في القرن التاسع عشر ازدهارا كبيرا في كل من إنجلترا وفرنسا [12].

ومن أهم سمات هذا النوع من الكتابة الشعرية هي التكثيف والقصر، وهذا يميز الومضة حيث يقول عز الدين إسماعيل:" وحين تذكر (الأبيجراما) في النقد الأدبي يكون المقصود منها بصفة عامة القصيدة القصيرة التي تتميز على وجه الخصوص بتركيز العبارة والتكثيف "[13].

أما يوسف نوفل فيعرف(الأبيجراما) بأنها:" نص قصير مركز العبارة مكثف المعنى، يستعير من القصة القصيرة جدا: الومضة الخاطفة، واختصار لحظة التنوير، بالاعتماد غالبا على الرموز والمفارقة واختيار اللفظ الدال والعبارة الدقيقة التي تكون كالنص المرهف ،فـ (الأبيجراما) هي " شكل أدبي – شعر أو نثر – يتميز بالتركيز والتكثيف ووحدانية الفكرة التي تطرحها المقطوعة الواحدة منه، وقد يعتمد على لغة المفارقة وبنية التضاد، سواء على مستوى الألفاظ أم المعاني، وغالبا ما ينتهي بنوع من أنواع المفاجأة والإدهاش، وتتنوع موضوعات هذا الفن، ومن أبرزها النقد الاجتماعي والسياسي، وقد تأتي (الأبيجرامة) الواحدة في هيئة بنية مستقلة، أو داخل بنية أكبر منها تمثل هي إحدى مكوناتها"[14].

ويرى الشاعر الإنجليزي كلوريدج (coleridge) ، أنها " كيان مكتمل وصغير ،جسده الإيجاز وروحه المفارقة ، وهكذا تطورت (الأبيجراما) من مجرد أن تكون نقشا حتى صارت نوعاً أدبيا له خصوصية"[15].

وفي ضوء ما سلف يمكننا الجزم بأن الومضة وليدة تقارب (الأبيجراما) ترتكز أساسا على التكثيف والإيجاز فهما الركنان لهما، كما تعتمد أيضا على المفارقة في نهايتها، والتي بدورها تجعلها شبيهة بالبرق الذي يومض الفكرة في ذهن قارئها سريعا حين ينتهي من قراءته لها، كما أنها قد تتناول قضايا مجتمعه وسياسية بهدف عالجها مع وجود حكمة أو مثل عام مستخرج من ذلك، وقد تعرض حالة وجدانية خاصة بالشاعر في أسطر

محدودة مع ظهور مفارقة النهاية، كما أن الومضة تأتي مستقلة بذاتها أو قد تخضع تحت قصيدة طويلة مقسمة إلى ومضات قصيرة داخلها. ومثالها [16]:

بحثـت في أبيجرامـا السـؤال

بحثـت فـي كـل الجهـات

سـألت كـل مـن لقيـت

لـم أجـد جوابـا

وحينمـا يئسـت وانسـحبت

جـاء مـن يسـألني

مـا سـر الكآبـة؟

من الملاحظ في هذه (الأبيجراما) أن الشاعر طرح أسباب هذه الكآبة فسبب كآبتة هو عدم حصوله على جواب مقنع، ومن الألفاظ الدالة على ذلك الحزن، يئست الكآبة، ومن ناحية أخرى تختتم هذه (الأبيجراما) بسؤال ما سر هذه الكآبة؟ فالسؤال لا ينتهي وكأننا في حياة مليئة بالأسئلة اللانهائية وكآبة الشاعر ليس لها مبرر.

ويرى بعض الباحثين أن القصيدة الومضة متأثرة (بالهايكو)؛ وهو شعر ياباني عريق ضاربا بجذوره في عمق التاريخ الحضاري لليابان، يتألف اسم (الهايكو) من مقطعين ":الأول (هاي) " ومن معاينة الأولية التي وضعها لأجلها المتعة والإمتاع ، الضحك والإضحاك، أن تغير مظهرك الخارجي وتسلي الآخرين، التمثيل، الثاني (كو) ومعناه لفظ أو كلمة أو عبارة، و إذا ترجمنا حرفيا سنقول " عبارة أو كلمة ممتعة ، مسلية" ثم إذا أخذنا تطور دلالة اللفظ التاريخي ، وانحرافاتها هنا وهناك، والحالات التي سلكها سنصل إلى ما يمكن أن نسميه حسن الطرافة بشكل جدي، المزاجية الظريفة و العبثية المسلية"[17]. ومثاله [18]:

يقول مسيح طالبان

" خريف آخر...

مغطى بالأشنة

تاريخ وفاة الأمر

وقد بدأ الاهتمام بترجمة النصوص الهايكو في العالم العربي ، منذ نهاية السبعينات دراسة شاملة ، مترجمة للباحث (تشامبرلين) في عدد مجلة الفكر الكويتية الخاص بالشعر عام 1979م ، وفيها تحليل مقتضب لفن الهايكو، ومنذ التاريخ بدأت تظهر دراسات مترجمة وقصائد هايكو في الدوريات العربية الخاصة بالآداب الأجنبية، ولقد وجد الشعراء العرب في خصائص (الهايكو) الرؤيوية والتشكيلية و فرادة تجاهه في الكتابة المحتفية بالعيني واليومي، والملموس، واشتغاله المغاير على اللغة باستدعائه جانبها المدهش ، ما يلائم رغبتهم في تأسيس شكل جديد في الكتابة الشعرية موغل في الإيجاز معتمدا (الومضة الشعرية) "[19].

وهذا يعني أن قصيدة الومضة العربية تأثرت بمؤثرات أجنبية، والتي تسربت إليها عن طريق الترجمة، فأصبح الشعراء المعاصرين ينسجون على منوالها وما يجمع قصيدة (الهايكو) بقصيدة الومضة في عصرنا الحالي هو ذلك الاندهاش الذي تحدثه قصيدة الهايكو ففي " لحظة جمالية لا زمنية في قصيدة مصغرة موجزة ومكثفة تحفز المخيلة على البحث عن دلالتها، وتعبر عن المألوف عبر التقاط مشهد حسي طبيعي إنساني ينطلق عند حدس ورؤيا مفتوحة تتسع لمخاطبة الإنسان في كل مكان"[20].

وهنالك مَنْ يرى أن " قصيدة الومضة " وليدة العصر الحديث، وأنها إحدى ضربات الشعر الحر، أو قصيدة النثر كما يسميها أصحابها، وهي طراز كتابي شائع بين شعراء الموجة الجديدة، وينهض على الصورة الشعرية الخاطفة، وابتناء نص شديد التقشّف والاقتصاد اللغوي، والتواطؤ مع مخزون القارئ المعرفي وخبراته العاطفية، فهي قصيدة وثيقة الصلة بالتجريب، والبحث عن أشكال جديدة للشعرية المعاصرة"[21] .

ويذكر أصحاب هذا الرأي أسباباً عدة لنشأة هذا الفن في العصر الحديث، وهي :

أولاً: أننا نعيش في عصر السرعة، الذي يقصر فيه الوقت مهما يكن طويلاً عما نحتاج إليه لننهض بأعبائنا وهذا يحملنا على أن نؤثر الإيجاز على الإطناب، ونقصد إلى ما يلائم وقتنا القصير وعملنا الكثير، وهذه اللحظات التي يتاح لنا فيها شيء من الفراغ، نستمتع فيها بلذات الأدب الخالص والفن الرفيع"[22].

ثانياً: جاء ازدهار هذا الشكل الشعري " الومضة " سعياً لكسب معركة التلقّي في زمن عزف فيه الناس عن القراءة، وأصبحت اللغة الإسهابية القديمة غير متلائمة مع متطلبات العصرية الجديدة، حيث المؤثرات البصرية تلتهم وقت الإنسان، ولكي يستعيد النص قارئه، لابد من خطاب جديد على المستويين الشكلي البنيوي والموضوعي، حتى رسائلنا الطويلة التي كنّا نكتبها مستمتعين بطول أخبارنا، وعرضها عبر البريد الورقي، أصبحت اليوم رسائل قصيرة وومضة عبر البريد الرقمي"[23].

ثالثاً: التحول الفكري والحضاري للعالم المعاصر؛ إذ ساعدت الظروف السياسية التي تمر بها البلدان العربية؛ حيث الإرهاب الفكري وانعدام الحرية على اللجوء إلى الرمز، والومضات الناقدة السريعة الخاطفة"[24].

رابعاً: تحقق قصيدة الومضة الشعرية سلطانًا على المتلقي، وتدفعه دفعاً إلى قراءتها عن طريق زخمها وطرافتها وتشويقها وعبقرية استخدام اللغة، وتوظيفها تارة عن طريق المفارقة، وأخرى عن طريق السخرية، وثالثة عن طريق الرمز والخطفة والعجائبية ...

من منطلق ما تقدم من استعراض لأراء النقاد حول قصيدة الومضة، يتضح أنها ازدهرت في العصر الحديث واتخذت طابعاً خاصاً، وأصبحت فنًّا قائماً بذاته، له أصوله وسماته، ولا خلاف في ذلك بين النقاد، إنما الخلاف القائم بينهم حول جذور هذا الفن الشعري.

المبحث الثاني: قصيدة الومضة في الأدب الأردني المعاصر.

في ضوء استعراض آراء النقّاد والدارسين حول قصيدة الومضة نلحظ اتفاقهم على أنها قصيدة العصر الحديث، التي تجسد قضاياه في إطار فنّي يتناسب مع الإطار الذاتي والثقافي والاجتماعي والسياسي ...الذي يعيشه . وقد سُميت بالومضة الشعرية، لأنها تجسد الدلالة أو المعنى في لحظة وميض ما، ولا يمكن استحضار هذه الدلالة إلا بوجود متلقّ سريع البديهة، قادر على التقاط هذا الإشعاع القوي. وتتجلى وظيفة الومضة فيما يلي:

أولاً: التأثير في المتلقي، وتوليد المفاجأة والدهشة في فكرة ووجدانه، عن طريق الدلالات والإيحاءات التي تحمل بين طياتها بعداً فلسفياً خفياً، فتفتح وعيه للتأويل.

ثانياً: سرعة الانتقال، وسهولة الحفظ، لكي يكثر دورانها على ألسنه الناس، فتصبح يسيرة الاستجابة عند الاستدعاء"[25].

ولقد حاولت في هذه الدراسة معرفة اسهام الشعراء الأردنيين في (الومضة الشعرية) من خلال دراسة ديوان الشاعر علاء الدين غرايبة (كمائن الغياب)، الذي يمثل قصيدة الومضة، ففي صفحة الغلاف نجد عبارة (أَوْدعتُكَ ومضاتي وكُلّي أمل). وقد شجعني على دراسته عدم وجود دراسات نقدية تتحدث عن قصيدة الومضة عند هذا الشاعر.

ولعل أهم ما يميّز قصيدة الومضة في ديوان الشاعر هو تماسكها وانسجامها الواضح لدرجة أنه لا يمكن حذف كلمة من النص، مما يحقق تكثيفاً عالياً للمعنى يقول [26]:

" أنتِ والكتابة
حُضْني حين أخْتَنِقْ..."

إذ إن أهم ما يُميّز النص السابق هو التمركز حول كلمة (أختنقُ)، مما يُحيل إلى معنى مكثف في ذاتها، تتبلور من خلال رؤيا الشاعر المعبرة عن حيرة النفس وصدمتها من فعل الاختناق المستمر المتمثل في الفعل المضارع، فيلجأ للخلاص من هذا الاختناق باللجوء إلى المرأة التي عبر عنها من خلال الضمير (أنتِ)، وفعل الكتابة. وكما نعلم ما للكتابة من قيمة جمالية يستطيع من خلالها المرء من التعبير عن احاسيسه ومشاعره.

وقد ينبني النص على كلمة واحدة محورية تنبثق منها الأحداث، مما يمنحها دلالة مميّزة بوصفها بؤرة إشعاع للنص، تتحقق معها رؤيا الشاعر، يقول [27]:

"كُلَّما اسْتَعَرتُ مِنْها كِتاباً
شَمَمْتُ عِطْرَها
وَتَرَكْتُ فيهِ قُبْلَةً خَجْلى ، وَوَرْدة...."

ظهرت هذه من خلال الفعل (استعرت)، فالشاعر يريد نقل مقصدية تحوي أمرين، الأول: أنه من محبي الكتب، ويحرص على استعارتها دائماً، ظهر هذا المقصد من خلال ظرف الزمان (كلما) الذي يفيد التكرار، وأنه ممن يتقن فن استعارة الكتب والمحافظة عليها، وعند ردها يتقن الشكر وخاصة للمرأة المحبوبة، ظهر هذا من خلال الفعل ا (تركت)، فقد ترك في الكتاب (قبلة خجلى ووردة).

الثاني: توضيح القيم الجمالية المادية والمعنوية للمرأة المحبوبة التي استعار منها الكتاب، فهي ممن يستخدمن العطر، تبين هذا من خلال الفعل (شممت عطرها)، كما أنها لا تمنع إعارة الكتب لمن يطلبها.

كما نلاحظ أن الشعر في قصيدة الومضة أساسه التكثيف إذ هو يعبر عن موضوعاته فإنه " يُحمّلها من المعاني أكثر مما تحمل في أذهان الناس" [28].

ولعل هذا القصر الذي تتمتع به القصيدة أسهم في قيام علاقة متينة تربط الشاعر بالمتلقي:" فالكلام المجازي يسمح بالاتساع وهو الفضاء الذي يتحرك فيه التأويل "[29]، يقول [30]:

" مَوْجاتُ صَوتِكِ

تُعيدُ لي انتظامَ دقاتِ القلب ...."

يكشف الفعل عن مقصدية الشاعر في إظهار تأثير صوت المرأة المحبوبة، فهو يريد إيصال رسالة تحوي (عشقه)، ظهر هذا من خلال الفعل (تُعيدُ)، فالمحبوبة صوتها كالموسيقى يرسل موجات صوتية ذات تأثير عليه، ف (انتظام دقات القلب) كانت متزامنة مع إيقاع الصوت. وبالتالي فالشاعر هنا قادر على إظهار فن الحب برقَّة وجمال، فكان للغة الجسد تأثير هام في فهم التواصل بين المحبين.

وقد يبني الشاعر قصيدة الومضة على صيغة المفارقة، من خلال" "تكنيك فني يستخدمه الشاعر؛ لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض "[31]. فتتنوع الوسائل التي تتشكل منها صور المفارقة في النص الأدبي؛ بهدف التعبير عن الموقف أو الرأي، أو بث المشاعر والأحاسيس من جهة، واثارة انتباه المتلقي، يقول الشاعر [32]:

" عَبَثا أُحاوِلُ
تَرتيبَ المساءِ كَيْ لا تَعودي
فَبرَغْمِ كُلّ احتياطاتي
تَجْتاحينَ الحُلمَ
فَجودي..."

يطلب المتكلم من (طيف المحبوبة) أن يجود في اجتياحه الحلم، وهذا متعارف عليه في الشعر العربي، ولكن من غير المتعارف أن يخاطبه بصيغة المؤنث وكأنه محبوبة ماثلة أمامه، حيث تشكل هذه الصورة علاقة غير

متوقعة بين طرفيها، إذ نهضت على تناظر متضاد في البدء يقول بصيغة النهي (لا تعودي)، وعندما تجتاح الحلم يستخدم صيغة الأمر، ويقول لها (فجودي)، وهذا من شأنه اعلاء التواصل والود والمحبة بينهما.

وقد يستخدم أسلوب الشرط في القصيدة لتحقيق مقصده، فالمرأة المحبوبة تؤكد على المعاملة بالمثل [33] :

" كنْ لي ندىً

أكن لكَ أوراقَ وردٍ تحتَويك....

كن لي قمراً

أكن لكَ ظلَّك الذي يرْتويك.."

تمثل هذا من خلال تكرار الفعل الذي تناوب بين الفعل الطلبي (كن)، وفعل المضارع (أكن). هذه الأفعال صادرة عن المتكلم الذي يلزم نفسه والآخر، بمثل هذا الطلب. وهذا التكرار في صياغة الفعل بين الماضي والحاضر يكسب قصيدة الومضة تماسكاً، فالمرأة المحبوبة تعامل الطرف الآخر بالمثل، فعندما يكون لطيف، لين المعاملة وعبر عن ذلك من خلال كلمة (ندى) الدالة على ذلك ، تكون المحبوبة مثل أوراق الوردة لتحتويه وأمور أخرى تظهر من خلال تقنية الحذف الموجودة في قصيدة الومضة التي قد عبر عنها من خلال الثلاث نقاط ، وكأنها رسالة للمتلقي ليشاركه في تخيل آخر لعملية الاحتواء.

ثم ينتقل إلى معنى جمالي آخر تمثل في اللغة المكثفة التي هي من سمات قصيدة الومضة، من خلال فعل الأمر تحاوره، فتقول له كن لي قمراً، وكما نعلم ما لكلمة القمر من دلالات جمالية مختلفة، ولعل المبدع لا يقصد الدلالة المادية للقمر ، قد يقصد المعنى المعنوي المتمثل بالعطاء والاشعاع والنور، عندها ستكون المرأة المحبوبة كظله الذي لا يرافقه بل ستكون مصدر ارتواء له في مسيرة حياته.

هذا النبض الابداعي يتجسد في صورة حسية ملموسة عندما تقول المرأة المحبوبة له حين مغادرته المنزل بصيغة النهي: (لا تغلق البابَ) [34]:

" وأنتَ تحْلُ حقيبتَكَ لتُغادِرْ
لا تُغْلِق البابَ خلفَكَ
علَّ نَسيماً منْكَ يأتينا...."

أسلوب النهي هنا أوضح مقصدية المتكلم بأن المحبوب كهبوب النسيم الرقيق المحمل بالندى، يملأ المكان بالهواء الطلق النقي الزكي الرائحة لتبتهج بالحياة. لهذا نجده يتأثر فيقول لها، في قصيدة له [35]:

" تَماسَكي

كما حَبّةِ سُكّر
تماسَكي
كُلَّما ناديتُك ولهاناً
لفنجانِ قهوتي المُعَطَّر
فأنا يا سيدةَ الزّهرِ
شَوق
والشّوقُ يَنْدَى بالحلى أكثرْ...."

إذن المرأة المحبوبة تجيد فكرة السيطرة على مشاعر الرجل وأحاسيسه، حتى في عاداته اليومية، فعندما يحاول أن يشرب فنجان قهوته يتصورها قطعة سكر، لذا يطلب منها من خلال أسلوب التكرار بـ (تماسكي)، فقد تكرر هذا الفعل مرتين دون أن يؤثر على بنية النص وإنما زاده تماسكاً، ثم يخبر عن نفسه بأنه شوق، ويكرر هذا الاسم مرتين أيضاً ليزيد من جمال النص، ليصل إلى عنصر المفاجأة والبؤرة المحورية ويخبرنا أن الشوق يندى بالحلى أكثر ...

وفي بعض الأحيان القصيدة لا تتعدى السبع كلمات، ورغم ذلك يصل المعنى للمتلقي بصورة جمالية، يقول [36]:

" لِمَنْ أشْكوكِ
وأنتِ قَدَري الذي اخْتَرْتُهُ بَيَديْ"

فالفعل (أشكوك) المسبوق باسم الاستفهام (مَنْ) يعبر عن مقصدية المبدع، بأنه لا يستطيع أن يشكوا المرأة المحبوبة لأحد، لأنها قدره الذي يسّره الله سبحانه وتعالى له، وهيأ له أسبابه، فأختارها بيديه، ولم يكن مجبراً عليها.

ولعل المرأة المحبوبة في ديوان الشاعر (الزوجة)، يقول [37]:

"أخافُ
كُلَّما نَفَضَتْ بيَدَيْها وِسادَتي
أنْ تُسْقِطَ أنفاساً وآلافَ الكَلِماتِ...."

فالفعل (نفضت) الذي سبقة ظرف الزمان (كلما) الدال على التكرار، يؤكد أن هذه المرأة المحبوبة (زوجة)، فهي باستمرار تنفض وسادته بيديها، ولعل هذه الفعل أكثر ما تقوم به الزوجة.

كما تشكل نهاية الومضة في بعض الأحيان بؤرة انفجارية مدهشة تفارق نص الومضة الحافل بالإيحاء، وقد يلجأ في ذلك إلى أسلوب (الاثبات والنفي) لتحقيق مقصدتيه، يقول [38]:

" كَذَبتُ حين التقَيْتُكِ

وقلتُ: صُدْفة

الصُدْفةُ لا تأتي مع انتظار..."

وردت الأفعال بإيقاعات مختلفة ومؤثرة، تتكرس فنياً في صياغة المعنى، وكشف دلالاته للمستمع، فوردت مثبتة في قوله: (كَذَبتُ)، والاعتراف بالخطأ يدل على عدم مجاملته لذاته، وعلى صحة نفسه، ولكن خطأه كان في سوء التصرف عندما قال لها (صدفة)، ويثبت خطأه الذي اقترفه من خلال تكرار مفردة (صدفة)، فالتكرار وسيلة من وسائل التوكيد، وخاصة إن تبعها فعل منفي (لا تأتي) مع انتظار. فـ (الصُدْفةُ لا تأتي مع انتظار)، هي الخاتمة التي تهز المتلقي، وتثير اهتمامه، وتفارق أفق توقعه.

فقد انضوت الومضة على عمق فني، وشعرية عالية، فاعتمد الشاعر على طاقة المفردة في السياق، وتقوم الشعرية في هذه الومضة على الطاقة الإيحائية، والجمع بين الصور المتضادة، والخاتمة المدهشة.

وبذلك نجد أن ديوان كمائن الغياب للشاعر علاء الدين غرايبة يحمل بداخله ومضات تحمل رسائل جمالية للمتلقي، برع فيها من خلال ذائقته الأدبية.

الخاتمة:

حاولت هذه الدراسة العناية بمقاصد المتكلم (الشاعر)، واماطت اللثام عن الدلالة الضمنية المضمرة في ومضاته الشعرية، بواسطة الأفعال بين الأطراف المتخاطبة في ظل سياق النص. فتبين أن الشاعر لم يستعمل اللغة استعمالا قائماً على توليد جمل وتراكيب فقط بل كانت تحمل رسائل جمالية للمتلقي بلغة مكثفة تحمل عنصر المفاجأة مرة، والاخبار مرة أخرى عبر تكنيك معين لأساليب الخطاب، التي كشفت عن النزعة العذرية التي هيمنت على نصوصه . فنجده يربط عاطفة المحبة بالأخلاق، فالصدق والعفة والوفاء من سلوكه وسلوك المرأة المحبوبة . وبينت نزوعه في التقاط الجزيئات الصغيرة والتفاصيل الدقيقة في حياته، وقد لاحظنا ذلك في تصويره لعواطفه وعواطف المرأة المحبوبة.

المصادروالمراجع:

* إسماعيل، عز الدين. **دمعة للأسى.. دمعة للفرح**، دار اللوتوس، القاهرة، مصر، ط1، 2000م.
* التدمري، محمد غازي. **قصيدة الومضة وإشكالية الشكل**، مجلة المعرفة، ع354، 1993م.
* حسين، طه. **جنة الشوك**، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط2، 1986م.
* حسين، طه. **جنة الشوك**، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط2، 1986م.
* ابن خلدون، ابو زيد. **المقدمة**، تح علي عبد الله الواحد، دار النهضة، مصر، ط2، 1981م.
* الخال، يوسف. **الحداثة في الشعر**، ط1، دار الطليعة للنشر، بيروت، 1987م.

* خليفي، عيسى. **الكتابة الجديدة في الشعر الجزائري المعاصر**، مخطوط لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف د. عبد الله العشي، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، كلية اللغة الأدب العربي والفنون، قسم اللغة والأدب العربي، 2017/2016م.

* زايد، علي عشري: **بناء القصيدة العربية الحديثة**، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ط4، 2004م

* سوسي، صالح. **حوار مع عز الدين المناصرة**، موقع دروب، ٤ إبريل، ٢٠٠٧م.

* الصاري، توفيق. **مختارات من الهايكو الفارسي**، دلمون الجديدة، دمشق، سوريا، 2017م.

* ضرغام، عادل. **شعرية القصيدة القصيرة، نماذج من الشعر السعودي**، الآطام، العدد ٣٦، ٢٠١٠م.

* عبد القادر، مروان خورشيد. **كائنات الشعر الجديدة، الومضة قصيدة القرن الحادي والعشرين**، موقع مجلة أدب وفن الالكترونية: www.adabfan.com/old/dritidism/6753.html *عظيمة، محمد. **كتاب الهايكو الياباني**، دار التكوين، دمشق، سوريا، 2016م.

* غرايبة، علاء الدين. **كَمائِنُ الغيابِ**، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2015 م.

* الفاخوري، حنا. **الموجز في الأدب العربي وتاريخه**، دار الجيل، بيروت، مج 3، د.ت.

* القلقشندي، أبو العباس. **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، تح محمد حسين شمس الدين ويوسف على الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1978، ص110.

* كراد، موسى. **تجليات الواقع السياسي في ملصقات عز الدين مهيوبي**، مجلة الأثر، العدد 23، الجزائر، 2015م.

* كياني، حسين. **الومضة الشعرية**، موقع أكاديمية الفينق للأدب العربي، 2013م.

* المراغي، أحمد الصغير. **بناء قصيدة الأبيجراما في الشعر العربي الحديث**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2012م.

* المبارك، محمد. **استقبال النص عند العرب**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999م.

* ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 2010م.

---

(1)-ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 2010م، مادة ومض.

(2)- التدمري، محمد غازي. **قصيدة الومضة وإشكالية الشكل**، مجلة المعرفة، ، ع354، 1993م، ص142-143.

(3) - كراد، موسى. **تجليات الواقع السياسي في ملصقات عز الدين مهيوبي**، مجلة الأثر، العدد 23، الجزائر، 2015م، ص39.

(4)- القلقشندي، أبو العباس. **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، تح محمد حسين شمس الدين ويوسف على الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1978، ص110.

(5)- الفاخوري، حنا. **الموجز في الأدب العربي وتاريخه**، دار الجيل، بيروت، مج 3، د.ت، ص 397 -398.

(6)- ابن خلدون، ابو زيد. **المقدمة**، تح علي عبد الله الواحد، دار النهضة، مصر، ط2، 1981م، ص 681.

(7)- هي قصيدة يابانية تقليدية، مكونة من ثلاثة أسطر، وسبعة عشر مقطعاً مكتوبة بنظام ٥/٧/٥، وتمتاز بالإيجاز والحدة والشدّة. .

(8) - مأخوذة من الكلمة الإيطالية "سونيتو"، وتعني القصيدة القصيرة، وهي قصيدة تحتوي على أربعة عشر سطراً، مقسمة لمجموعات حسب القافية (مقاطع).

(9)- سوسي، صالح. **حوار مع عز الدين المناصرة**، موقع دروب، ٤ إبريل، ٢٠٠٧م.

(10) ـ المراغي، أحمد الصغير. **بناء قصيدة الأبيجراما في الشعر العربي الحديث**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2012م، ص21.

(11)- حسين، طه. **جنة الشوك**، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط2، 1986م، ص11.

(12)- المراغي، أحمد الصغير. **بناء قصيدة الأبيجراما في الشعر العربي الحديث**، ص17.

(13)ـ إسماعيل، عز الدين. **دمعة للأسى ...دمعة للفرح**، دار اللوتوس، القاهرة، مصر، ط1، 2000م، ص10.

(14)- نوفل، يوسف حسن. **النص الكلي**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر،2004م، ص31.

(15)- كلوريدج، صامويل. **النظرية الرومانتيكية في الشعر**، تر عبد الحكيم حسان، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1971م، ص125.

(16)- إسماعيل، عز الدين. **دمعة للأسى ...دمعة للفرح**، ص 77.

(17) ـ عظيمة، محمد. **كتاب الهايكو الياباني**، دار التكوين، دمشق، سوريا، 2016م، ص17.

(18) ـ الصاري، توفيق. **مختارات من الهايكو الفارسي**، دلمون الجديدة، دمشق، سوريا ،2017م، ص24.

(19)- خليفي، عيسى. **الكتابة الجديدة في الشعر الجزائري المعاصر**، مخطوط لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف د. عبد الله العشي، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، كلية اللغة الأدب العربي والفنون، قسم اللغة والأدب العربي، 2017/2016م، ص138.

(20)- البستاني، بشرى. **الهايكو العربي بين البنية والرؤى**، ص58.

(21)- ضرغام، عادل. **شعرية القصيدة القصيرة، نماذج من الشعر السعودي**، الآطام، العدد ٣٦ ،٢٠١٠م، ص١

(22)- حسين، طه. **جنة الشوك**، ص٧.

(23)- عبد القادر، مروان خورشيد. **كائنات الشعر الجديدة، الومضة قصيدة القرن الحادي والعشرين**، موقع مجلة أدب وفن الالكترونية: www.adabfan.com/old/dritidism/6753.html

(24)- كياني، حسين. الومضة الشعرية، موقع أكاديمية الفينق للأدب العربي، 2013م، ص 7.

(25)- حسين، طه. **جنة الشوك**، ص١٣.

(26) غرايبة، علاء الدين. **كَمائِنُ الغيابِ**، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2015 م، ص 102.

(27) ـ غرايبة، علاء الدين. **كَمائِنُ الغيابِ**، ص 16.

(28)- الخال، يوسف. **الحداثة في الشعر**، ط1، دار الطليعة للنشر، بيروت، 1987م، ص 94.

[29] المبارك، محمد. **استقبال النص عند العرب**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999م، ص 220.

[30] ـ غرايبة، علاء الدين. **كَمائِنُ الغيابِ**، ص 24.

[31] زايد، علي عشري: **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ط4، 2004م، ص 130.

[32] غرايبة، علاء الدين. **كَمائِنُ الغيابِ**، ص 36.

[33] غرايبة، علاء الدين. **كَمائِنُ الغيابِ**، ص 108

[34] ـغرايبة، علاء الدين. **كَمائِنُ الغيابِ**، ص 98

[35] المصدر نفسه، ص 89.

[36] ـ غرايبة، علاء الدين. **كَمائِنُ الغيابِ**، ص 97.

[37] ـ غرايبة، علاء الدين. **كَمائِنُ الغيابِ**، ، ص 31.

[38] ـ المصدر نفسه، ص 20.

مصطلح العدول بين التعددية والإشكالية في المنهج الأسلوبي

الدكتور : **إيمان محمد عبد المعطي أبو سمرة**
الجامعة الإسلامية / الجامعة الامريكية_ بمنيسوتا

الملخص:-

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعدُ:

فيندرج العدول في الدرس الأسلوبي ضمن قواعد فهم الأسلوب، وتحليله، إذ يتركز فعله الإبداعي على رصد كل تحوُّل أو عدول يستدعيه الكلام في نسق التعبير المألوف على ما يقْتضيه ظاهر الحال من المطابقة والوضوح دون تغير في جوهر المعنى أو البنية العميقة له؛ ليؤدي بذلك العدول وظيفية نوعية، إذ يُحمل على إحداث اللذة والاهتزاز النفسي، وتحقيق الإثارة لدى المتلقي، إضافة إلى الوصول إلى أغراض خاصة بالسياق للوصول إلى معنًى المعنى، ولا يدرك ذلك إلاَّ متلقٍّ حاذق؛ نتيجة الثنائية الناجمة عن التحول الناتج من العدول عن التعبير المألوف، حيث يكمن السّرُّ في العدول وإليه يكون المصير حين التفْكير فيه للوصول إلى مقاصده.

المقدمة:-

انعقدت لبيان ممهّدات الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، ثم بيان أقسام البحث ومباحثه. **أما التمهيد:** فقد جاء توطئة لموضوع البحث ولتوضيح مصطلحاته الأساس. **والمبحث الأول:** وجاء بعنوان **(مفهوم مصطلح العدول في التراث)**، وقد تناولت فيه المعنى اللغوي والاصطلاحي لمصطلح العدول إضافة إلى توضيح العدول في التراث عند أهل اللغة والنحو والتفسير والبلاغة. **والمبحث الثاني بعنوان:** (مفهوم مصطلح العدول عند المحدثين) وفيه عرض المسميات الأكثر انتشارا عند النقاد والأسلوبيين والوقوف على مفهومها من المنظور الخاص لكل منهم؛ لتجلي الإشكال الحاصل، أما **المبحث الثالث** بعنوان: (أسباب العدول ومقاصده) ويحاول هذا المبحث توضيح أسباب الأسلوب العدولي من خلال معرفة قيمته الفنية ووظيفته البلاغية. **والخاتمة:** وقد تضمنت ملخصًا لنتائج البحث، وذكر **التوصيات**. ثم بيان بأهم **المصادروالمراجع**. **وختامًا**: أرجو أنْ تكونَ هذه الدراسة قد أعطت الموضوع حقه، وأن يكون لبنةً في بناء معرفتنا الاصطلاحية لمصطلح قديم تم إحياؤه في الدرس الأسلوبي، وأن يفيد منه الباحثون مثلما أفاد البحث من غيره.

التمهيد:

ترى ما مفهوم العدول التراث البلاغي؟ وما علاقة العدول بغيره من المصطلحات في الدرس الأسلوبي الحديث؟ وما الأثر النقدي لهذه المصطلحات في تجديد البلاغة العربية في العصر الحديث؟ قبل البدء في الحديث عن هذه الأسئلة والحديث عن أقسام البحث حول (مصطلح العدول بين التعددية والإشكالية في المنهج الأسلوبي) علينا تحديد مصطلحات البحث الأساس: مصطلح العدول- التعددية- الإشكالية- المنهج الأسلوبي.

أولًا: مصطلح العدول:

لقد نتج عن تتبع المعنى اللغوي لمصطلح العدول في المعاجم من خلال المادة اللغوية للجذر (ع، د، ل) عدَل، عَدَلَ عنه يَعْدِلُ عَدْلًا وعُدُولًا معنى الميل والانحراف، أو التحوُّل والانصراف[1]، وقد عرف العدول عند النحاة أنَّه خُرُوج الاسم عن صيغته الأصليَّة إلى صيغة أخرى، وهذه المعاني شديدة الارتباط بالمعنى الاصطلاحي، ويفهم العدول في اللغة إجراء يلحق الصياغة لمقاصد فنية عامة لا ترتبط بداية بتحسس عناصر الجمال.

ثانيا: التعددية (التعدد الاصطلاحي):

يعد مفهوم العدول من المفاهيم الأسلوبية واللسانية التي مسَّها الغموض، و"غموضه ليس مبررًا لنا لأنْ نهمل الحديث عنه، ولا لأن نُضرب عن الخوض فيه: فإن بعض المفاهيم كلّما غمضت ازداد إيلاع الباحثين والمحلّلين بها، حتى تتبلور في أذهانهم، وتتضح معالمها في عقولهم، فتغتدي نظرية مؤسّسة"[2]، والعدول مفهوم ارتبطت بدائرته مصطلحات كثيرة فتعددت مسمياته وتباينت، وازداد بغموضه ولع الباحثين والدارسين وجدلهم، وجاء تعريفه حسب المنظور الخاص لكل منهم؛ فأثير حوله بعض الجدل انتشر صداه النقد العربي والغربي معا؛ مما صعب تحديده. لذا تهتم هذه الدراسة بجذور المصطلح في تراث النقد العربي، وتطوراته في حاضر النقد العربي والغربي؛ لتؤكده على الموافقة الحاصلة بين الزمنين محاولة استكشاف المفهوم عند العرب قديما وحديثا، لما أثير حوله من جدل ملأ صداه النقد العربي والغربي معا.

ثالثا: الإشكالية:

إنّ التعدد الاصطلاحي في الدرس الأسلوبي من أهم الإشكالات النقدية، ونخص بمعالجة الدراسة مصطلح (العدول) في التراث والحداثة الذي يقع بالدارس في حيرة جراء هذا الزخم للاصطلاح الترادفي، الذي يصعب تحديد المصطلح الأدق والأدلّ للعدول في البحث الأسلوبي، أو ضبط ماهيته، في ظل الدلالات المتآزرة للانزياح والتجوز والاتساع وغيرها من المصطلحات التي فتحت النص الإبداعي نحو آفاق واسعة من الإبداع ومنها مغادرة المباشرة و التقريرية في الكلام. وقد عرّفه الباحث التونسي عبد السلام المسدي بـ (الانزياح) ونعته بالطفرة الاصطلاحية[3]، وقد أكسب الأسلوبية ثراء في التحليل من خلال تكاثف السمات الأسلوبية، وقام بإحصاء عدد من المصطلحات، وحصرها في اثنى عشر مصطلحًا، متأثرًا ببعض النقاد الغربيين، ويقوم البحث بتوضيحه المصطلحات قديما وحديثا للوقوف على المصطلح الأقرب لدلالته بالتوافق بين القديم والحديث للحد من فضاء تحرره واتساعه.

رابعا: المنهج الأسلوبي:

إن إثارة المنهج الأسلوبي لماهية المعاني حول العدول عن الخط المألوف للتعبير عن الطاقات الإيحائية في الأسلوب، فالانحراف عن النسق الأصلي في البنية النصية يحدث مفاجأة واستثارة للمتلقي نتيجة التضادّ النَّاجم عن التغيير الحادث من اختراق غير متوقع للنظام، فضلا عن إضافة مزيَّة جراء هذا التحول والانحراف. وقد نتج عن ذلك تعدد المصطلحات، وهذه التعددية حظيت باهتمام الباحثين والدارسين، وما زالت. مما دعا الدرس الأسلوبي الحديث إلى إحياء هذا المصطلح المعروف قديما بالعدول.

المبحث الأول: العدول في التراث والحداثة.

أولا: مصطلح العدول في التراث:

جاءت ومضات (العدول) في كتب التراث العربي-اللغوي والنحوي والبلاغي والتفسيري- كابن جنّي وسيبويه والزمخشري وابن الأثير والعلوي وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم، وقد استعمل بأشكال متعددة بمسميات مختلفة الدال متفقة في الدلالة ومرادفة المعنى، ممَّا يدلّ على أصل الفكرة في سنن العرب فهو غير جديد في تحليل النص الأدبيّ، وجاء العدول في تراثنا النقدي بعدة مدلولات، منها؛ العدول عن طريقة السابقين- العدول عن الحقيقة إلى المجاز- العدول عن الصور القريبة إلى الصورة الغامضة- العدول عن الأبنية والصيغ. ويرجع هدفهم من العدول إلى أمور عدة منها؛ الحفاظ على دقة اللفظ وانسجام العبارة، والإيجاز والاختصار، والتوسع في المعنى، وتناسب المقاطع أو مشاكلتها وغير ذلك.

أ_ مصطلحات العدول عند اللغويين والنحاة:

-**الاتِّساع:** أو التوسع في المعنى، وقد استخدمه (سيبويه ت180هـ) بمعنى التوسُّع من خلال أربعة صيغ صرفية (الاتِّساع، والسَّعة، وأوسع، واتسع)[4]. والسعة عنده تعني (المجاز) - أو تشبيه أو استعارة أو إيجاز إلى غير ذلك- كونه لون من العدول من حيث هو خروج عن الأصل، وانحراف بالمعنى عن الحقيقة وذلك يكون لفائدة أو لنكتة بلاغية. وقد يكون الاتساع في الكلام للإيجاز والاختصار كما استخدمه[5].

وأقرّ **ابن جني** أنّ كثيرًا من باب (شجاعة العربية)[6] من أنواع المجاز والاتساع كتبادل الحروف بعضها مكان بعض، والمحذوف والزيادات والتقديم والتأخير وغيرها، مستدلاً على ذلك بأمثلة سيبويه، مدللاً على ما بها من مجاز واتساع وتشبيه وتوكيد، ووقوع المفرد موقع الجمع وعلة ذلك عنده هي الاختصار والتخفي، ووقوع الجمع

موقع المفرد[7]. ويقول أيضا: "وإنَّما يقع المجاز ويُعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة وهي: "الاتِّساع"، و "التوكيد"، و "التشبيه"، فإن عدِم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتَّة"[8]. فقام ابن جني بالربط بين غرض الكلام وصياغته في سياقه الوارد فيه وهو صلب الحقل الأسلوبي الحديث.

وسلك (ابن فارس ت 395هـ) طريق سابقيه الحديث عن سنن العرب، من الحذف والاختصار، وذكر الجمع والمراد الواحد، ومخاطبة الواحد بلفظ الجميع، وخطاب الواحد بلفظ الاثنين، والبسط والقبض، والتقديم والتأخير، والمحاذاة في الكلام، والاعتراض. إضافة إلى توضيح قيمة الاتِّساع، فيقول: "... لو أنه لم يعْلم توسُّع العرب في مخاطباتها لَعَيَّ بكثير من علم مُحْكَم الكتاب والسنَّة"[9]، وكأن معرفة الاتساع والإلمام بخباياه شيء ضروري لمن يرغب في فهم النص القرآني وتذوقه، بالمزج بين اللغة والبلاغة إلى غير ذلك.

–**المجاز والإيجاز والاختصار:** ويسميه بعض النّقاد القدماء بالمجاز لكونه تجوّز للحقيقة، -والذي يُعدُّ لونًا من ألوان العدول- واستخدمه (سيبويه) صريحا في كتابه في أكثر من موضع[10] من التراكيب التي خرجت عن نمطيَّتها، وعُدولها عن أصلها في الأداء اللغوي، ساريا على كلام العرب في سننهم. وقد تبيّن من خلال نصوصه أنه قام بالربط بين اللغة والنحو وما ينتج عن ذلك من تطلب سننها من وجوه بلاغية يتجلى منها تناوله السطحي تارة، وجودة تناوله تارة أخرى.

وتأثر كثير من العلماء باستخدام العدول بمعنى **المجاز**[11]، ومنهم (الفرَّاء ت207هـ) حيث استخدمه في العدول عن التثنية إلى الجمع؛ ففي قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾[12] لم يقُل النص القرآني (اختصما) بالمثنى، لأنَّهما جمعان ليْسا برجُلين[13]؛ فعدل بالمثنى إلى الجمع. ومن العدول بأن يجعلوا المفعول به فاعلاً إذا كان في مذهب نعت[14]. وثمة مواضع كثيرة يتخذها الفرَّاء وسيلة من سنن العرب وطرقهم في الكلام؛ لترجيح بعض القراءات القرآنيَّة، وطريقًا من طُرق العدول.

ويَعُدُّ (أبو عبيدة ت210هـ) كلَّ عدول أو انحِراف عن مقتضى الظَّاهر من المجاز كما جاء عند العرب، فأشار إلى ظاهرة المجاز بالاستشهاد لها بما ورد على نهجها من كلام العرب شعرًا ونثرًا. فيقول: "ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد الَّذي له جمع منه ووقع معنى هذا المفرد موقع الجمع؛ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾[15]، في موضع "أطفالاً"[16]، ومنه مجاز العدول عن الجمع إلى الإفراد بلفظ الواحد إلى غير ذلك. فتوسع معنى المجاز عند أبي عبيدة "ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني، ومن المحتمل من مجاز ما اختصر، ومجاز ما حُذف، ومجاز ما كف عن خبره، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين، ومجاز ما جاء لفظه خبر الجميع على لفظ خبر الواحد، ومجاز ما جاء الجميع في موضع الواحد إذا أُشرِك بينه وبين آخر مفرد... ومجاز ما جاءتْ مخاطبته مخاطبة الغائب ومعناه مخاطبة الشَّاهد، ومجاز ما جاءتْ مخاطبته مخاطبة الشَّاهد، ثم تُركت وحُوِّلت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب... ومجاز المجمل استغناءً عن كثرة التَّكرير، ومجاز المقدَّم والمؤخَّر... وكل هذا جائز قد تكلَّموا به"[17].

وقد سار (ابن قتيبة ت 276هـ) على نهج سابقيه في كتابيه (تأويل مشكل القرآن) و(تفسير غريب القرآن)، مؤكدا فكرته بأنّ القرآن جاء على سنن العرب؛ لما للغة العرب من الاتساع في المجاز ما يميزها عن سائر اللغات مبرهنا ذلك بشواهد شعرية ونثرية، لذا جعل بابا مستقلا بعنوان (مخالفة ظاهر اللفظ معناه)[18]. وله رؤية في

تقسيم الكلام فقال: "وللعرب المجازات في الكلام، ومعْناها: طرق القول ومآخذه، ففيها الاستعارة: والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين... وبكل هذه المذاهب نزل القرآن"[19]، ويتجلى من نص ابن قتيبة اتساع المجاز من خلال صعوبة التفريق بين الدال ومدلوله في الخطاب الأدبي من لغة العرب أو الخطاب القرآني.

_**الانحراف (الخروج عن الأصل):** وهو الانحراف عن قاعدة ما أو الخروج عن أنماط اللغة، وقد استعمل (ابن جني ت392هـ) العدول في حديثة عن الحركات الإعرابية للبسملة في أربعة أشكال، عن طريق الربط بين العدول والدلالة السياقية، فيقول: "... وكل ذلك على وجه المدح، وما أحسنه ههنا! وذلك أنَّ الله -تعالى- إذا وُصِف فليس الغرض في ذلك تعريفه بما يتبعه من صفته... وإذا كان ثناءً فالعدول عن إعراب الأول أولى به... فإذا عدل به عن إعرابه، عُلم أنه للمدح أو الذمّ في غير هذا... فلذلك قَوِيَ عندنا اختلاف الإعراب في "الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ" بتلك الأوجه التي ذكرناها، ولهذا في القرآن والشعر نظائر كثيرة"[20]. كما استعمل الخروج عن الأصل فقال: "من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن مُعتاد حاله، وذلك "فُعَال" في معنى "فَعيل"، نحو: "طُوَال"، فهو أبلغ معنًى من "طَويل"، و"سُرَاع" أبلغ من "سَريع"، ففُعَال -لعمري- وإن كانت أخت "فعيل" في باب الصفة، فإن فعيلاً أخصُّ بالباب من "فُعَال"، ألا تراه أشدَّ انقيادًا منه، تقول: "جَميل"، ولا تقول: "جُمَال"، و"بَطيء" ولا تقول: "بُطَاء"... فلمَّا كانت "فعيل" هي الباب المطرد وأُريدَت المبالغة، عُدِلَت إلى "فُعَال"، فضارعت "فُعَال" بذلك "فُعَّالاً"، والمعنى الجامع بينهما خروج كل واحد منهما على أصله، أما "فُعَّال" فبالزيادة، وأما "فُعَال" فبالانحراف به عن "فَعيل"[21].

ويقول في باب (استِعْمال الحروف بعضها مكان بعض): "ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا، لكنَّا نقول: إنَّه يكون لمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوِّغة له، فأمَّا في كل موضع وعلى كل حال فلا"[22]، ويتجلى من قول ابن جنّي أنَّ تناوب الحروف أمر يخضع للأحوال الداعية إليه والمسوِّغة له وليس للقياس، وهذا لون من العدول، وقد سار على نهجه ممن جاء بعده من أهل التفسير والنحو والبلاغة والنقد. والشاهد من الكلام أنّ ابن جني اهتم بالسياقَ وقرائنَ الأحوال اهتماما كبيرا في توجيه المعنى والوقوف على بلاغة استعمال الحرف. والحقيقة عبارة عن الأصل-تصور واقعي صريح ومثالي-، وأما المجاز هو عدول عن الأصل، ورأى من باب (شجاعة العربية) أنّ "العدول" في الشعر ليس من الاضطرار، وإنَّما الدافع إليه رغبة الشاعر في التعبير المبني على الانتقاء، فيقول: "... فمتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها وانخراق الأصول بها، فاعلم أنَّ ذلك على ما جَشِمَهُ منه وإن دل من وجه على جَوْرِه وتعسُّفه؛ فإنه من وجه آخر مؤذن بصياله وتخمُّطه وليس دليلًا على ضعف لغته، ولا قصورًا عن اختيار الوجه الناطق بفصاحته، بل مَثَلُهُ في ذلك عندي مَثَلُ مُجْرِي الجَمُوح بلا لجام، ووارد الحرب الضَّروس حاسرًا من غير احتشام، فهو وإن كان ملومًا في عنفه وتهالكه، فإنَّه مشهود له بشجاعته وفيض مِنَّتِه"[23]. فيعالج ابن جني ظاهرة الانحراف بالدلالة الحقيقيَّة إلى دلالات أخرى مجازيَّة، بمثابة لبنة خصبة للمجاز للدرس الأسلوبي، إضافة إلى ترسيخ العدول في النص القرآني والأدبي أيضا. وجاء على نفس النهج من العدول عن الأصل[24].

_**التحويل/ التحوُّل:** استخدم (ابن هشام ت761هـ) مصطلح العدول بمعنى التحويل، في أثناء حديثه عن أقسام التَّمييز المبيِّن لجهة النسبة وهي عنده أربعة: (أن يكون محولاً عن الفاعل، أو المفعول، أو محولا عن غيرهما، أو أن يكون غير محوّل[25]. وقد عرض الشواهد على كل نوع على حده.

ويستخلص مما سبق أن (العدول) - عند اللغويين والنحاة – عبارة عن التحوُّل الأسلوبي، أو الانحراف عن الأصل المثالي، الذي لا تتغيَّر به البنية العميقة له التي بها جوهر المعنى، وبمعنى آخر يمكن أن نقول أنه العدول من صيغة إلى صيغة أخرى من صيغ التوسع في المعنى، ومن المصطلحات التي جاءت مرادفة للعدول في تراثنا العربي (الاتساع والمجاز، والالتفات، والانحراف والتحول) وعدل بها في العلامة الإعرابية من حذف وزيادة وتقديم وتأخير وتناوب إلى غير ذلك، والضمائر بأنواعها، والعدد، والنوع (تذكير وتأنيث)، والتعيين (التعريف والتنكير).

ب_مصطلح العدول عند البلاغيين والمفسرين:

لقد اهتم البلاغيون بمصطلح العدول وجاءت الدلالة شديد الصلة بين اللغويين والبلاغيين، وتدور في مجملها حول معنى التحوُّل أو الميل والانحراف عن المألوف في اللغة الأصلية، أو الخروج عن القاعدة المطَّردة، والاتساع، والتوسع، الانصراف عن الشيء، والصرف، والتلوّن[26]. ومن المصطلحات الأكثر استعمالا، ما يأتي:

_**الالتفات:** وكان أول من استخدم مصطلح الالتفات بمعنى العدول (الأصمعي)، وعقبه في ذلك (ابن المعتز) حيث عدّه أول محاسن البديع وأهمها، وذلك في كتابه (البديع) ثم شاع استخدامه عند البلاغيين[27]. وقد استخدمه (الزمخشري ت538هـ) في (الكشَّاف)، وأشار إلى فائدة استخدامه في الكشف عن بلاغة النص القرآني، وجاء ذلك من خلال التوافق والتلاؤم بين تخيُّر اللفظ، وتخير الموقع، فتحقق له بمصطلح "العدول" تحقيق النظم، كما يتم العدول بالخطاب من زمن الماضي إلى المضارع فيجعل المتلقي مشاركا في الحدث وكأنه واقع مشاهد، ومنه العدول من المضارع إلى الماضي يجعل المتوقع من المتلقي في النسق الطبيعي المطرد للزمن في حُكم الواقع لدفْع المخاطب إلى التيقُّن منه[28]. فالزمخشري يتبع في منهجه التماس الأسباب والعِلل لتجاوز النسق القرآني للأسلوب الأصلي أو المألوف، ويوضِّح قيمةَ ذلك بلاغيًّا وجماليًّا؛ فيهتم بباب الترتيب في الكلام والأصل فيها، وقيمة تقديم ما حقُّه التأخير، ففيه تنبيه على مفهوم البلاغة من مطابقة الكلام لمقتضى الحال، حيث يجعل الكلام نقطة التقاء فاعلة بين طرفي عملية التواصل (المتكلم والمتلقي) وفيه تدور وتدرج إلى الأعلى؛ لتشويق المتلقي وإثارته وتطريّة لحاسة سمعه ومشاركته في استنطاق النصوص؛ لذا يبرهن الزمخشري على العدول من أسلوب إلى آخر أو بلاغة الالتفات فيه فائدة، أو نكتة بلاغية تُستنبط عند تأمُّل السياق واستنطاقه، إضافة إلى إيقاظ المتلقي والتطريّة له[29].

-**الخروج عن الأصل، أو الخروج على مقتضى الظاهر/ التحول:** واستخدمه الإمام (عبد القاهر الجرجاني ت 471هـ) كثيرا في كتابيه (دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة) بمعانٍ متعددة، حيث ربط مفهوم العدول بصيغة معنى المعنى ومنها من خلال استعماله الكناية، والاستعارة، والمجاز، إذ يقول: "اعلم أن الكلام الفصيح ينقسم قسمين: قسم تُعزى المزية والحسْنُ فيه إلى اللفظ وقسم يعزى ذلك فيه إلى النظم،... فالقسم الأول: "الكناية" و"الاستعارة" و"التمثيل" الكائن على حدّ الاستعارة وكل ما كان فيه على الجملة، مجازٌ واتساعٌ وعدولٌ باللفظ عن الظاهر"[30]، ويتجلى من النص أنه استخدم مرادفات اصطلاحية هي (الاتّساع أي: اتساع المعنى، والعدول أي: الخروج بمعنى اللفظ مخرج الإيحاء، وقد يتضح العدول باللفظ من حيث يستعصي فهم المعنى من اللفظ الأصلي، وقد وضح

ذلك بقول الشاعر: ولا أبتاع إلا قريبة الأجل[31]، لا يستطيع القارئ العادي في نظر الإمام عبد القاهر فهم المعنى، ما الذي يُشترى بدلالة اللفظ الظاهر أو ما يفهم من قرب أجل ما يشتريه الشاعر، فلا معنى للتمدّح إلا إذا "... طلبت له تأويلا ، فعلمت أنه أراد أنه يشتري ما يشتريه للأضياف ، فإذا اشترى شاةً أو بعيرًا، كان قد اشترى ما قد دَنا أجله لأنه يُذبحُ ويُنحر عن قريب"[32]، يدل هذا على غموض الشطر الشعري في ظاهرها إلا أنها مفعمة إبداعيا في جوهرها، فالشاعر قد عبّر بأسلوبه الخاص عن تمدحه وتفاخره دون أن يصرّح به، فاحتاج فهم المعنى إلى الإيحاء الذي استوجبته العبارة الشعرية، فقد وظف الشاعر معناه من خلال رسم صورة بلاغية فقد فيها لذة الجود والكرم في أسلوب يوحي بمعنى خفي مما يجعل القارئ يسعى سعيًا حثيثًا للكشف عن قناع المعنى الذي تلبسه اللغة المستعملة، وعُرف بالقارئ المثالي عند بعد البلاغيين والنقاد. وفي موضع آخر ربط عبد القاهر بين مصطلح (العدول) و(المجاز)، فقال: "وإذا عُدل باللفظ عمَّا يوجبه أصل اللغة، وُصف بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعَه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وُضع فيه أولًا"[33]. وفي باب (التقديم والتأخير) أشار في سياق العدول إلى التقديم وبلاغته[34]، وذلك لما في التقديم من فائدة ومزيّة لا تطلب التأخير، فتغيير الترتيب بالتقديم أو التأخير هو عدول عن الأصل، ولقد فرّق الإمام بين نمطين في التركيب أو الصيغة، أحدهما نمطي أو مثالي أو أصلي، والآخر عدولي أو فنّي أو انحراف عن الأصل، ومرجع المقارنة بين النوعين أنهما مترادفان في الدلالة على المعنى نفسه إلا أنّ العبارة التي يحدث فيها التقديم أو التأخير تنتج معنى لا تبرزه العبارة الأصلية، وهذا ما يتم إيثاره في النص القرآني، لما فيه من عدول للجمل المنتظمة على بنيته العميقة ومعناه الجوهري.

وجاء عند عبد القاهر بالتحول من دلالة اللفظ لمعناه إلى معنى المعنى، حين أشار إلى أنّ: "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده... وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلّك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانيةً تصل بها إلى الغرض... وإذ قد عرفت هذه الجملة فها هنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول: المعنى، ومعنى المعنى، تعني بـ"المعنى": المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة، وبـ"معنى المعنى": أن تَعْقِل من اللفظ معنًى، ثم يُفضِي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"[35]. ويتجلى من هذا النص الوصول بدلالة المعنى إلى معانٍ أخرى أو معنى المعنى يكون بالعدول عن أصل العبارة لمقاصد لا يبرزها اللفظ وحْدَه، وهذا يجعلنا نربط المسميات ببعضها.

ويعد (السكاكي ت626هـ) أكثر البلاغيين استخداما وإدراكا لهذا المصطلح المنحرف والمثالي، ويتجلى ذلك من خلال رؤيته للإيجاز والإطناب ووصفه لهما على أنهما أمران نسبيان، من كونهما ممثلين لعدول عن أصْل مفترض، هو "المساواة"، وهي متعارف أوساط الناس[36]. وهذا الوصف يبين مدى إدراكه أيضا للانحراف عن الأصل.

فظاهرُ الكلام قد يكون موجزا وهو مطنب بالقياس إلى غيره؛ ويرجع تحديد مواضع الإيجاز والإطناب إلى متعارف الأوساط؛ فكلما كان الكلام مختلفا عن الأصل والتقليد ازداد جمالا لذا ينفرد القرآن الكريم وارتبط العدول عند السكاكي أيضا بالتشبيه والاستعارة والمجاز، حيث يرى أن المجاز "هو الكلمة المستعملة في غير ما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة استعمالًا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة من إرادة ما تدل عليه بنفسها"[37]، وقد استدل بشواهد قرآنية كثيرة. إضافة إلى براعته توسيع نِطاق البنية الأصلية، التي يمثل الالتفات عدولا عنها، والتركيز على الانحراف بين الصيغة النحوية والأسلوب البليغ، لذا نقل الالتفات من (البديع) إلى

(المعاني)، وترجع فكرته إلى مراعاة مقتضى الحال، وتوسيع مفهوم العدول، ومفاجأة المتلقي (مستمع أو قارئ) بالانتقال المفاجئ المرتبط بالنص، فيدخله في تحليل وتوضيح دلالة بنية العدول لما في هذه البنية من مخالفة للأصل المألوف وما تنتجه من توليد معان متعددة، وإحياء النص بظهور جمالياته.

كما ركز السكاكي _متأثرا بالزمخشري- على قيمة العدول وارتباطها بالمتلقي المثالي الذي يحسن تلقي النص بتفاعله معه وتأمله ومن ثم استنطاقه لتجلي مقاصد هذا العدول، فيقول: "وهذا النَّوْع قد تختصُّ مواقعُه بلطائف معانٍ، قلَّما تتضحُ إلا لأفرادِ بلغائِهم، أو للحُذَّاق المَهَرَةِ في هذا الفن، والعلماءِ النحارير، ومتى اختصَّ موقعه بشيء من ذلك كساه فضلَ بهاء ورونق، وأوْرث السامعَ زيادةَ هِزَّةٍ ونشاط، ووجد عنده من القَبول أرفعَ منزلةٍ ومحلٍّ، إن كان ممن يسمع ويعقل، وقليلٌ ما هُم... ولأمرٍ ما وقع التباين الخارج عن الحدِّ بين مُفسِّرٍ لكلام ربِّ العِزَّة ومفسِّر، وبين غوَّاص في بحر فرائده وغوَّاص، وكل الْتفاتٍ واردٍ في القرآن متى صرتَ من سامعيه عرَّفك ما موقعه"[38].

وقد حظي العدول باهتمام (ابن الأثير ت 637هـ) في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) في الفصل الثالث: بعنوان (في الحكم على المعاني)، وترجع فائدة ذلك للإحاطة بأساليب المعاني على اختلافها وتباينها، وهو عنده ضرب من ضروب التأكيد والمبالغة، ويقول: "واعلم أن الأصل في المعنى أن يحمل على ظاهر لفظه، ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل، كقوله تعالى: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}[39] فالظاهر من لفظ "الثياب" هو ما يلبس، ومن تأوّل ذهب إلى أن المراد هو القلب، لا الملبوس، وهذا لا بُدَّ له من دليل، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ"[40]. أي المعنى اللفظ الظاهر واضح ولا خلف حوله، والمعنى المعدول عن ظاهر اللفظ الذي يتجلى من التأويل يقع فيه الخلاف للتفاوت في استنباطه بين العلماء لاختلافهم في التوضيح واستعمال العبارات والصيغ القوية.

وتناول أيضا (ابن الأثير)، العدول على أنه التفات، ويرى من باب شجاعة العربية العدول بالانتقال من صيغة إلى أخرى، أو خطاب إلى آخر، أو زمن إلى آخر، إلى غير ذلك[41]. ويتجلى من إشارات ابن الأثير تطويره لمصطلح العدول/ الالتفات عن سابقيه، فأحدث بذلك تآلفًا بين ثنائية التخير والتركيب، أو المستوى الأفقي والمستوى الرأسي، إضافة إلى توضيح علاقة العدول بالإيجاز لاستيفاء المعنى، وإشراك المتلقي.

وقال –ابن الأثير- في موضع آخر : "وأما المجاز فإنه يفهم بعد فهم الحقيقة، وإنما يفهم بالنظر والفكرة، ولهذا يحتاج إلى دليل؛ لأنه عدول عن ظاهر اللفظ فالحقيقة أظهر، والمجاز أخفى، وهو مستور بالحقيقة، ألا ترى إلى قوله تعالى: {أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ}[42] فإن الفهم يتسارع فيه إلى الحقيقة التي هي ملامسة الجسد الجسد، وأما المجاز الذي هو الجماع فإنه يفهم بالنظر والفكر، ويحتاج الذاهب إليه إلى دليل؛ لأنه عدول عن ظاهر اللفظ"[43].

ويقول: "أما الحصر الذي ذكرته في باب الاستعارة فهو ذاك، ولا زيادة عليه، وأما الكناية فهي جزء من الاستعارة، ولا تأتي إلا على حكم الاستعارة الخاصة؛ لأن الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المستعار له، وكذلك الكناية، فإنها لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المكنى عنه، ونسبتها إلى الاستعارة نسبة خاص إلى عام، فيقال: كل كناية استعارة، وليس كل استعارة كناية، ويفرق بينهما من وجه آخر، وهو أن الاستعارة لفظها صريح, والصريح هو: ما دل عليه ظاهر لفظه، والكناية: ضد الصريح؛ لأنها عدول عن ظاهر اللفظ، وهذه ثلاثة فروق: أحدها الخصوص والعموم، والآخر الصريح، والآخر الحمل على جانب الحقيقة والمجاز"[44].

ويوضح ابن الأثير هدف منشئ الخطاب من استخدام الأسلوب العدولي، فيقول: "اعلم أيُّها المتوشِّح لمعرفة علم البيان، أنَّ العدول من صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلاَّ لنوع خصوصية اقتضتْ ذلك، ولا يتوخَّاه في كلامه إلا العارفُ برموز الفصاحة والبلاغة... فإنَّه من أشكل ضروب عِلم البيان، وأدقها فهمًا، وأغمضها طريقًا"[45]. فإن كل حالة من حالات العدول تنطوي على معنًى بعينه، يقصد إليه منشئُ الخطاب.

ويقول في موضعٍ آخرَ مشيرا إلى تعدُّدَ الأغراض المقصودة من العدول بتعدُّد سياقه: "إنَّ الغرض الموجِب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يَجري على وتيرة واحدة؛ وإنما هو مقصورٌ على العناية بالمعنى المقصود، وذلك المعنى يتشعَّب شعبًا كثيرة لا تنحصر، وإنما يُؤْتى بها على حسب الموضع الذي تَرِد فيه"[46]؛ فقد تتعدد الأهداف الدلالية للعدول حيث تَرِد صيغةٌ ما مِن صِيَغ العدول في سياق بعينه؛ لتشيرَ إلى المعنى المقصود، ثم تَرِد هذه الصيغة نفسُها في سياق آخر؛ لتشيرَ إلى معنى آخرَ مقصود، هو نقيضٌ للمعنى الأول، رغم أنه مماثل للأوَّل في بِنْيته المخالفة لمقتضى الظاهر، ويَرجع ذلك إلى اختلاف السِّياق، وقرائن الأحوال. وهذا يعني خصوصية الدلالة في كلِّ حالة.

_**الاتساع/ التوسُّع:** إن نظرية عبد القاهر التي تعنى (معنى المعنى) [47] مرتبطة بمصطلح (التوسُّع)، ومصطلح (المجاز)، إذ يقول: "إنَّ صور المعاني لا تتغيَّر بنقلها من لفظ إلى لفظ، حتى يكون هناك اتساعٌ ومجاز، وحتى لا يُراد من الألفاظ ظواهر ما وُضِعتْ له في اللغة، ولكن يُشار بمعانيها إلى معانٍ أُخر"[48]. وهذا الاتساع يحدث من ترابط الجانب النحوي بالجانب البلاغي وتعالقهما، لاعتماد الاتِّساع على الدلالة والمعنى، ففكرة الاتساع عنده من المعاني الثواني مدارها على الكناية والاستعارة والتشبيه.

كما تناول الإمام عبد القاهر مفهوم الاتساع في موضع آخر في حديثه عن قضية الصِّدْق والكذب في الشِّعر، حيث قارن بين الاتساع والتخييل في المجاز وهو من سمات الإبداع وتشكيل الصور الفنية، فيجعل الشاعر يبدع في تراكيبه لتجسيد فكرته بقدرته على التوسع بخرق الأصل المألوف، فمعنى المعنى لا يكون في اللغة العادية إنما هي خروج عن الأصل وانتهاك المألوف والعادي. إضافة إلى قوله: "هذا الضرب من المجاز، على حدته كنز من كنوز البلاغة، ومادة الشاعر المفلق، والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان والاتساع في طرق البيان"[49]، فيتبين أنه يرى العدول هو جوهر الشعرية ومادتها.

وقد استخدم (القاضي الجرجاني ت366هـ) **التوسُّع** في المعنى من خلال تعلقه بالاستعارة، فيقول: "فأمَّا الاستعارة، فهي أحدُ أعمدة الكلام، وعليها المعول في التوسُّع والتصرف، وبها يُتوصَّل إلى تزيين اللفظ، وتحسين النظم والنثْر"[50]. فالاستعارة تعد أداة من أدوات التوسُّع في المعنى بخرق المبدع قواعد اللغة وتوظيفها في مجالات أوسع للتعبير معتمدا على خياله من إيحاءات سياق خاص إلى سياقات أوسع عما كانت عليه في تركيبها النمطي، وهذا هو الأسلوب العدولي.

ويستخلص مما سبق أن (العدول) - عند اللغويين والنحاة – عبارة عن التحوُّل الأسلوبي، أو الانحراف عن قاعدة ما أو الخروج عن أنماط اللغة أو عن الأصل المثالي، الذي لا يتغيَّر به البنية العميقة له التي بها جوهر المعنى، وفي قالب آخر يمكن أن نقول: إنَّه العدول من صيغة إلى صيغة آخر من صيغ التوسع في المعنى من منظور معنى المعنى كما أوغل فيه عبد القاهر، فمن شجاعة اللغة العربية العدول في تلك اللغة. ومن مرادفات العدول قديما

(الالتفات، الانحراف) وعدل بها في العلامة الإعرابية من حذف وزيادة وتقديم وتأخير وتناوب إلى غير ذلك، والضمائر بأنواعها، والعدد، والنوع (تذكير وتأنيث)، والتعيين (التعريف والتنكير).

المبحث الثاني: مفهوم مصطلح العدول عند المحدثين.

لقد امتد اهتمام النقاد القدامى بالعدول إلى النقد العربي الحديث، لما يثيره من مقاصد، ويؤكد د. محمد عبد المطلب: "أن البلاغيين القدماء تفطنوا إلى أن العدول يتم من خلال عوامل نفسية تكتنف عملية التخاطب: كتشويق السامع، أو التفاؤل، أو التلذذ"[51]. وفي هذا إشارة إلى أنه على الرغم من اختلاف مسميات مصطلح العدول إلا أنها تقترب غالبا في فضاء هذه الظاهرة حيث يملأ صداها فضاء متعدد، ويدور في جوهرها خرق المألوف، وانتهاك أعراف اللغة وسننها، إضافة إلى فكرهم النيّر والمبكر في معالجة هذا الإشكال بوعي ودقة عن طرق استنطاق إمكانات اللّغة، وطاقاتها الكامنة وأسرارها الدفينة؛ مما جعل إشاراتهم وملاحظاتهم بذورًا صالحة للتوسع والتطوير. ومن المباحث التي عدّها القدماء عدولاً؛ الإيجاز والإطناب، والفصل والوصل، والذكر والحذف، والمشاكلة، وغير ذلك. ومن **مصطلحات العدول الأكثر استعمالا عند المحدثين**[52]:

_**الانزياح:** وهو المصطلح الذي تصدر المصطلحات التي تليه في المنهج الأسلوبي الحديث، وعرف الانزياح أنّه "اختراق مثالية اللغة والتجرؤ عليها في الأداء الإبداعي، بحيث يفضي إلى انتهاك الصياغة التي عليها النسق المألوف أو المثالي، وإلى العدول في مستويي اللغة الصوتي والدلالي عما عليه هذا النسق"[53].

ويرى الدكتور عبد السلام المسدي أنّ الانزياح مصطلح عسير الترجمة "لأنه غير مستقر في متصوّره؛ لذلك لم يرض به كثير من رواد اللسانيات والأسلوبية فوضعوا مصطلحات بديلة عنه، وعبارة الانزياح ترجمة حرفية للفظة- (Ecart) -، على أن المفهوم ذاته قد يمكن أن نصطلح عليه بعبارة التجاوز، أو أن نحيي له لفظة عربية استعملها البلاغيون في سياق محدّد وهي عبارة (العدول)، وعن طريقة التوليد المعنوي قد نصطلح بها على مفهوم العبارة الأجنبية"[54]. يتجلى من نص المسدي أنه يرى أنّ العدول أقرب ترجمة له من المصطلح الفرنسي (Ecart) ويعني في أصل لغته (البعد)، والعدول بلاغي الأصل، وقد جعله مرادفا دلاليا لمصطلح (الانزياح)، كما استأثر مصطلح التجاوز كمصطلح مرادف للانزياح. فكان المسدي أول من دعا إلى إحياء مصطلح عربي قديم عرف بالعدول وكان عرضه لمصطلح الانزياح في بداية الترجمة من باب توضيح جدة المفهوم من حيث هو شكل إجرائي طارئ على اللغة العربية، ثم جاء مصطلح العدول إحياء لمصطلح بلاغي تراثي لم يعد يجر محاذير الالتباس[55]. حيث يرى أن الانزياح "هو في ذاته متصور نسبي تذبذب الفكر اللساني في تحديده وبلورة مصطلحه فكلٌ يسميه من ركن منظورٍ خاصٍ"[56]. فقد زاد المسدي من قيمة الانزياح الأسلوبية، إذ أخرجه من زواياه الخفية في البلاغة العربية، ودلالاته في التراث البلاغي. ويرجع ذلك إلى البحث عن خصائصَ مميزة للغة الأدبية بشكل عام، والشعرية بشكل خاص. وقد تبنَّى هذا المفهومَ عددٌ مِن الباحثين والنقاد الغربيين أيضا، ورغم هذا الانتشار إلا أن المفهوم تمّ نقده، نظرا لما اعترضته مشوشات نظرية وتطبيقية، من قبيل صعوبة بناء المعيار، وكيفية تقليص الانزياح وتأويله، إضافة إلى وجود معضلة التوفيق بين وظيفته والوظيفة التواصلية[57].

ومن تتبع آراء النقاد المحدثين توقفنا على كم من المصطلحات –في منظورهم- يرادف العدول وينافسه كما تعددت في سنن العرب، وقد حصرها المسدي مرادفة للانزياح الذي استأثره كثيرا إضافة إلى وضع المقابل الذي

يوافقه في الاستعمال الغربي، مثل: مصطلح، (الانزياح l écart)، (التجاوز لدى valéry :l abus)، (الانحراف لدى leo :la deviation spitzer)، (الاختلال لدى wellek et warren :la distorsion)، (الإطاحة لدى peytard : lasubversion)، (المخالفة لدى thiry : l infraction)، (الشناعة لدى barthes : le scandale)، (الانتهاك لدى cohen : le viol)، (حرق السنن لدى تودوروف)، (اللحن لدى Todorov : l incorrection)، (العصيان لدى aragon : la transgression)، (التحريف لدى l alteration: le groupe mu)[58]. إلا أن هناك مسميات كثيرة جاءت في مبعثرة في دراسات الباحثين المعاصرين تخططت هذه المصطلحات الأربعين مصطلحا[59]، كما تختلف في الدلالة على المفهوم. ويرى المسدي أيضا **أنّ المصطلح يشكّل واقعة لغوية مكرّسة** وطارئة، يقابله مصطلح الاستواء أو التسييق وقد نعته بالواقعة اللغوية النفعية، أما الانحراف فتقابله الاستقامة، والاختلال يقابله التوازن، والإطاحة يقابله الاستقرار، المخالفة تقابله الموافقة، الشناعة تقابله الظرافة، والانتهاك تقابله المحافظة، اللّحن يقابله الصواب، العصيان تقابله الطاعة، التحريف يقابله الصدق[60]. وقد استخدم دارسو الأسلوبية مصطلح الانزياح كبديل للشذوذ الأسلوبي من باب خرق معيار اللغة الطبيعي والمتآلف إلى لغة فنية شاذة عن المألوفة[61]، وهذا ما لا يتحقق في العدول الذي لا يعني أكثر من العدول عن شكل انتقل إلى آخر لا يقل عنه استقرارا، وهنا يتجلى الفرق بين مصطلح العدول ومصطلح الانزياح وغيره.

_ **الانحراف والخرق:** وهذا أكثر المصطلحات انتشارا في النقد والأسلوبية، إلا أنه لم يخل من اضطراب –مثل باقي المصطلحات- في بعض الأحيان، وفي مقدمة هؤلاء النقاد صلاح فضل، الذي استخدمه كثيرا في غالب تأليفه بمعنى **الانحراف**، وقد أشار إلى وجود من بحث في المصطلح في مفهومه البلاغي القديم (العدول)، كما أشار إلى أنّ ثمة بعض الباحثين فضل (الانزياح) لما فيه من إيحاء مكاني تفاديا للإيحاء الأخلاقي في كلمة (انحراف)، وذكر بعض المصطلحات التي تؤدي معنى هذا المفهوم عند بعض النقاد الغربيين بذكر كل ناقد والمصطلح المستعمل لديهم، ومن المصطلحات؛ التجاوز، والانحراف، والخطأ، والانتهاك، وغير ذلك[62]. والتوسع والاتساع مترادفان وفيهما معنى الانحراف كما عند النقاد القدامى والمحدثين[63].

قد حصر المسدي المصطلحات المرادفة للانزياح الذي استأثره كثيرًا إضافة إلى وضع المقابل الذي يوافقه في الاستعمال الغربي، مثل: مصطلح، (الانزياح، التجاوز-الانحراف- الاختلال- الإطاحة- المخالفة- الشناعة- الانتهاك- خرق السنن – اللحن- العصيان- التحريف)، إلا أن هناك مسميات كثيرة جاءت في دراسات الباحثين المعاصرين تخطت الأربعين مصطلحًا، من بينها –إضافة إلى ما سبق- الكسر والشذوذ والغرابة والتّجانف عن المألوف والخلق إلى غير ذلك، كما تختلف في الدلالة على المفهوم، ويشوب هذه المسميات بعض الاضطراب في كتابات كثير من الباحثين، وهذا إجحاف لجعل المصطلح قرين مصطلحات أخرى.

_**الالتفات:** وقد روّج مصطلح العدول عند المحدثين[64] -أيضا- بمعنى الالتفات، فقد أصّل د.حسن طبل لظاهرة الالتفات في التُّراث البلاغي، وربط بين الظَّاهرة ومعطيات علم الأسلوب، واستدل ببعض الشواهد القرآنيَّة التي تضمنت الالتفات مع تحليلها لغة وبلاغة معتمدا على كتب التفاسير. وقد اعتبر بعض البلاغيين في سننهم (الالتفات) وهو أحد أنواع (العدول) أنّه الوجه البلاغي لشجاعة منشئ الخطاب ومدى إبداعه في التعبير بصيغ

عدولية متنوعة الأسلوب؛ لإثارة المتلقي ومفاجأته بالعدول من طريقة لأخرى، أو من معنى إلى آخرَ، وهذا التغيير يعد أساسا من تداولية العدول في النصوص الإبداعية التي تتكيف فيها أفعال الكلام بحسب ظروف المتلقي ومقام واقعه.

المبحث الثالث: أسباب العدول ومقاصده.

لقد اتَّجه بعضُ البلاغيّين في رصدهم للقيمة الجمالية للعدول، إلى النظر إلى الصيغة وما تحويه من إمكانات لُغوية مجاوزة تخرق أصل الاستعمال حيث تُكسب النص قيمةً جمالية، وينبه إلى أسرار بلاغية كثيرة يتعمدها المبدِع، أو منشئ الخطاب. وتكلم الزمخشريَّ عن وظيفة العدول البلاغية على أنها تتجلى في فائدتين: إحداهما إمتاع المتلقِّي، وجذْب انتباهه بالتناوب وبتلك النتوءات، أو التحولات التي لا يتوقَّعها في نسق التعبير وهذه صورة عامة، والأخرى خاصَّة تتمثَّل فيما تشعه كل صورة من تلك الصور -حسب السياق الواردة فيه- من إيحاءات ودلالات خاصة، إذ يقول: "إنَّ الكلام إذا نُقِل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسنَ تطريةً لنشاط السامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختصُّ مواقعه بفوائد"[65]. ويتجلى من نص الزمخشري جماليات العدول بتعدُّد مواقعه، فقد جعل لكلِّ موضع من مواضع العدول فائدةً تستنبط من خلال السياق الوارد فيه، من خلال التأثير الناجم من التجديد والتحديث والتطوير في أسلوب الخطاب ويرجع ذلك كما أشرت من قبل إلى شجاعةَ منشئ الخطاب، ومدى قدرته على الإبداع في التعبير بما يُحدِثه فيه من تشكيلات عدولية أسلوبية مفاجئة للمتلقي بهدف بقصد الإقناع وتوصيل الفكرة.

فالعدول لا يتم إلا لأداء معنى جديد، وهذا ما عرف عن عبد القاهر الجرجاني بمعنى المعنى، وهذا يدل على تطوّر الوعي الجمالي في الفكر البلاغي، ومقياسا لمقدار العدول وتأثيره في المتلقي.

وقد أشار السكاكي إلى قيمة العدول من خلال ربطها بالمتلقي المثالي الذي يتفاعل مع النص ويدرك أنماط العدول وأهدافه، فقال: "وهذا النَّوْع قد تختصُّ مواقعُه بلطائف معانٍ، قلَّما تتضحُ إلا لأفرادٍ بلغائهم، أو للحُذَّاق المَهَرَةِ في هذا الفن، والعلماءِ النحارير، ومتى اختصَّ موقعه بشيء من ذلك كساه فضلَ بهاء ورونق، وأوْرث السامعَ زيادةَ هِزَّةٍ ونشاط، ووجد عنده من القَبول أرفعَ منزلةٍ ومحلٍّ، إن كان ممن يسمع ويعقل، وقليلٌ ما هُم... ولأمرٍ ما وقع التباين الخارج عن الحدِّ بين مُفسِّرٍ لكلام ربِّ العِزَّة ومفسِّر، وبين غوَّاص في بحر فرائده وغوَّاص، وكل الْتفاتٍ واردٍ في القرآن متى صرتَ من سامعيه عرَّفك ما موقعه"[66].

فغرض الأسلوب العدولي ليس جذب اهتمام المتلقي وتشويقه فحسبُ، وإنَّما يكمن في بيان أغراض اقتضت ذلك في النص للوصول إلى معنًى المعنى، ولا يدركه إلاَّ متلقٍّ حاذقٌ ملم برموز الفصاحة والبلاغة متمكن من أساليب اللغة، الذي اطلع على أسرارها، لديه القدرة على قراءة الشكل الغائب للنصِّ من خلال شكله الحاضر، وهذا من أشكال ضروب عِلم البيان، وأدقها فهمًا، وأغمضها سبيلا. وتعدُّد الأغراض المقصودة من العدول تكون بتعدُّد مواقعه أي بالمعنى المقصود لكل سياق. لذلك قد تتعدَّد الأهداف الدلالية للعدول، وقد تتغير الدلالة في أسلوب إلى أسلوب آخرَ حسب اختلاف السِّياق، وقرائن الأحوال. وينهج ابن الأثير نهج سابقيه في الإشارة إلى خبرة منشئ العدول والمتلقي المثالي صاحب الخبرة إضافة إلى أنّ قيمة العدول متغيرة ومتعددة حسب السياقات ويتجلى ذلك من تحليل ابن الأثير لسورة" الفاتحة" أنَّ العدول في أولها بالانتقال من الغَيْبة إلى الخطاب، وفي آخرِها كان العدول

من الخطاب إلى الغَيْبة وفي الحالتين لتعظيم شأن المخاطب_سبحانه وتعالى-، فقد اقتضى الخطاب بالتنوع في المنحنى العدولي رغم توحد الهدف المعنوي الذي يدل على عدم ارتباطه بقيمة ثابتة.

إذًا فتتجلى وظيفة العدول من خلال الانحرافات بالنسق عن مقتضى ظاهره، أو التحوُّلات الأسلوبية في الخطاب؛ للكشف عن قيمتها التأثيرية أو الدلالية.

الخاتمة: يمكن في حَوْصَلة الدراسة الاستقرار على عدة نتائج هي:

-أنّ العدولَ مصطلحٌ أسلوبي استخدمه البلاغيون ليمكنهم الربط بين الأسلوبية والبلاغة، وهو لا يرادف الانحراف أو التحول أو الانتهاك أو الخرق أو الانزياح، فكل هذه المصطلحات أساس مفهومها انتهاك القاعدة الأصلية -معيار اللغة الطبيعي-، وهو ما لا يتحقق في العدول الذي لا يعني أكثر من العدول عن وجه قارّ إلى آخر لا يقل عنه استقرارا، ولعل لهذا السبب فضله البلاغيون على غيره من المصطلحات. فثمة خلاف بين العدول وغيره من المسميات، وقد آثرت مصطلح (العدول) لهذا البحث دون المسميات الأخرى؛ لتوضيح سَعة دلالته عن غيره من المصطلحات الأخرى.

-أنّ من شجاعة العربية أنّ الخطابَ لم يعدل عن مقتضى الظاهِر في التركيب اللغوي مراعاة للغة أو لسيكولوجية المتلقي دون المعنى، فالمعنى هو الذي يفرض هذا العدول عن المقتضى للأشكال المعيارية، بجانب التناسب والبلاغة، حيث يتيح الفرصة لمنشئ هذا الخطاب التصرف بإبداع في أساليبها وتعدد أنماطها بشتى الصور الفنية بدافع معنوي يتعلق بغرض الخطاب للوصول إلى تعدد المعاني والامتاع والاقناع.

_يعدّ الأسلوب العدولي للخطاب الأدبي عامة والخطاب القرآني خاصة من الأساليب التي تتَّسع فيها الاحتمالات الدلالية، وتتنوَّع الأنماط، والاتِّساعُ والتنوُّع يرجعان إلى طبيعة التفكير والتأمُّل، وما يصحب ذلك من تنوُّع زوايا النظر؛ لذا يختلف المعنى الذي يتم استنتاجه من متلقٍ إلى آخر ومن متأمل إلى آخر حسب ما يفتح الله له عن كشف أسرار كلِّ نمط منها، وربما يختلف المعنى ويتعدد بتأمل المتلقي نفسه في كل مرة من قراءته للوصول إلى معنى المعنى. فالنصوص الأدبية تُعوِّل كثيرًا في الإفضاء بالمعنى في الأسلوب العدولي.

_العدولُ من الأساليب التي تهتم بالسياق والمبدع والمتلقي، حيث ترتبط بالمبدِع، وتأكيد دَوْره وحضوره فيها، بوصفه القاصد إلى تشكيل صور العدول المختلفة، كما تتطلب من متأمل العدول في قراءته وتأويله أن يكون متلق حاذق لديه بصيرة نافذة، وحسا مرهفا، وتفكرا دون الاعتماد على نظامها اللغوي فحسب، وقدرة على قراءة الوجه المخفي وراء النص؛ لفهمه واستنطاق معانيه.

التوصيات:

_أدعو الباحثين للتفكر والتأمل لإحياء المصطلحات العربية القديمة بشكل من الدراسة الجادة تنظيرا وتطبيقا والبعد عن النمطية في الدراسات.

المراجع والمصادر:

1-ابن الأثير (ت 637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة-القاهرة، 1939م.

2- الأزهري، محمد أبو منصور (ت 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 2001م.

3- الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط1، 1991م.

4- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط3، (1413هـ - 1992م).

5- الجرجاني، القاضي (المتوفى: 392هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1900م.

6-ابن جني، الخصائص، تحقيق، محمد عي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة لعلمية، 1955م.

7-د. الددة، عباس رشيد، الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- العراق، ط1، 2009م.

8-الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 3، 1407 هـ.

9-السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط2، (1407هـ- 1987م).

10-سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 3، (1408هـ- 1988م).

11-ابن سيدة (ت 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، (1421 هـ - 2000م).

12-صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992م.

13-د. عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون- الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، 1994م.

14-أبو عبيدة، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى، القاهرة، 1381 هـ.

15- ابن فارس، أحمد (ت395هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (1418هـ-1997م).

16-الفراء، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، (1408هـ- 1988م).

17-ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2007م.

18- القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 3 ، 1986م.

19- مرتاض، عبدالملك، نظرية البلاغة، دار القدس العري للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.

20- د. المسدّي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط:5، 2006م.

21- د.المسدي، عبد السلام، المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال (البيان والتبيين) للجاحظ، حوليات الجامعة التونسية، تونس، ع:13، يناير 1976م.

22-ابن منظور(ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ط3، 1414 هـ.

23-ابن هشام، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع- سوريا، 1994م.

البحوث:

24-د. بوحلاسة، نوار، الانزياح بين أحادية المفهوم وتعدد المصطلح، مجلة مقاليد، ع: 2، ديسمبر، 2012م.

25-د. صولة، عبد الله، فكرة العدول في البحوث الأسلوبية المعاصرة، مقال، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، ع: 1، 1987م.

26-د. ويس، أحمد محمد، الانزياح وتعدد المصطلح، مجلة عالم الفكر، مج:25، ع: 3، الكويت، يناير/ مارس 1997م.

المقالات على الشبكة العنكبوتية:

27-شكري، إسماعيل، مقال: نقد مفهوم الانزياح، مقال مجلة فكر ونقد، العدد 23، نوفمبر 1999.
https://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n23_14chukri.htm

28-د. ابن قرماز، طاطة، مقال: الانزياح بين التعددية والإشكالية في الحقل الأسلوبي، مارس، 2020م.
https://www.nizwa.com/%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%84%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%B2%D9%8A%D8%A7%D8%AD-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D8%AF%D9%91%D8%AF%D9%8A%D8%A9-%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B4%D9%83%D8%A7/

الهوامش:

(1) ينظر: الأزهري، أبو منصور (ت 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 2001م، 125/2. ينظر ابن سيدة (ت 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، (1421 هـ- 2000م)، 2/ 12. ينظر: ابن منظور(ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ط3، 1414 هـ، "عدل"، 430/11.

(2) مرتاض، عبد الملك، نظرية البلاغة، دار القدس العري للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، 147، 148.

(3) ينظر: المسدّي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط:5، 2006م، 101.

(4) ينظر: سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 3، (1408هـ- 1988م)، 1 /211، 212، 214، 235.

(5) ينظر: السابق، 176/1، 211 وما بعدها.

(6) ينظر: ابن جني، الخصائص، تحقيق، محمد عي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، 1955م، 2/ 360- 441.

(7) ينظر: السابق، 2 /442-444.

(8) السابق،2 /442، وما بعدها.

(9) ابن فارس، أحمد (ت395هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (1418هـ-1997م)، 1/ 12.

(10) ينظر: سيبويه، الكتاب، (باب ما يحتمل الشعر) 26/1 وما بعدها. و(باب ما يجوز في الشعر ولا يجوز في الكلام)، 2 /124، 125. و (باب ما رخَّمت الشعراء في غير النداء اضطرارًا)، 2 /269، وما بعدها. و(باب وجوه القوافي في الإنشاد)، 4 /204، وما بعدها، وباب (الاستقامة من الكلام والإحالة) 25/1، 26.

(11) منهم؛ الفراء، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والسيوطي، وغيرهم.

(12) سورة الحج: الآية رقم (19).

(13) الفراء، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، (1408هـ- 1988م)، 3/ 419.

(14) السابق، 2 /255.

(15) سورة غافر: الآية رقم (67).

(16) أبو عبيدة، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى، القاهرة، 1381 هـ، 9/1. 131/1، 2 /44. الفراء، معاني القرآن وإعرابه، 412.

(17) أبو عبيدة، مجاز القرآن، 18/1، 19.

(18) ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2007م،170/1. 275 - 298.

(19)السابق، 1/ 22.

(20) ابن جني، الخصائص، 1 /398، 399.

(21) السابق، 3 /267، 268.

(22) السابق، 2 /306 - 308.

(23) السابق، 2 /392.

(24) واستعمل (الثعالبي ت429هـ) هذا المعنى على نهْج سابقيه في (فقه اللغة).

(25) ابن هشام، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع- سوريا، 1994م، 1/ 333-335.

(26) كما جاء عند الفيروزآبادي، في بصائر ذوي التمييز، الذي سماه في أثناء حديثه عن أصناف الخطابات والجوابات في القرآن، وجعل منه ثلاثة وجوه.

(27) ومنهم؛ الزمخشري، والرازي، وابن الأثير، والعلوي، والسكاكي، والقزويني، والتفتازاني، وغيرهم.

(28) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 3، 1407 هـ، 1/ 13، 3/ 218.

(29) ينظر: السابق، 1/ 13. ويتجلى ذلك في منهج الزمخشري عامة.

(30) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة- دار المدني بجدة، ط3، (1413هـ - 1992م)، 429، 430.

(31) ينظر: السابق، 431.

(32) نفسه.

(33) الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط1، 1991م، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، 395.

(34) ينظر: السابق، 286، 287.

(35) السابق، 262.

(36) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط2، (1407 هـ - 1987 م)، 276.

(37) السابق، 359.

(38) السابق، 202.

(39) سورة المدثر: الآية رقم (4).

(40) ابن الأثير (ت 637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة. القاهرة، 62/1.

(41) ينظر: السابق، 2/ 64، 145، 317.

(42) سورة النساء: الآية رقم (43).

(43) ابن الأثير، المثل السائر، 3/ 54.

(44) السابق، 3/ 55.

(45) السابق، 2/ 12، 2/ 145.

(46) السابق، 2/ 137.

(47) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، 263. وعند القرطاجني تعرف بالمعاني الثواني، ينظر: القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 3، 1986م، 23، 24.

(48) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، 265.

(49) السابق، 295.

(50) الجرجاني، القاضي علي بن محمد (ت 392هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1900م، 428.

(51) د. عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون- الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، 1994م، 272.

(52) جاء بمعنى الانزياح عند المحدثين، وتعددت معانيه كالانحراف والعدول والانتهاك على أساس جعل الانزياح المصطلح العام. ينظر: د. الددة، عباس رشيد، الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- العراق، ط1، 2009م، 34.

(53) السابق، 15.

(54) المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، 162، 163.

(55) ينظر: د. ويس، أحمد محمد، الانزياح وتعدد المصطلح، 63.

(56) المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، 68.

(57) ينظر: شكري، إسماعيل، نقد مفهوم الانزياح، مجلة فكر ونقد، العدد 23، نوفمبر 1999.
https://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n23_14chukri.htm

(58) ينظر: السابق، 79، 100. وينظر: د. ويس، أحمد محمد، الانزياح وتعدد المصطلح، 57، 58.

(59) ينظر: د. ويس، أحمد محمد، الانزياح وتعدد المصطلح، 59.

(60) ينظر: المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب ، 101.

(61) ينظر: د. ويس، أحمد محمد، الانزياح وتعدد المصطلح، 63.

(62) ينظر: فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992م، 63.

(63) من هؤلاء النقاد د. فضل، صلاح، ود.شكري عياد، و د. عبدالمطلب، محمد، ود. ربابعة، موسى، ود. السيد، شفيع، وغيرهم.

(64) ومنهم: د. طبل، حسن، في كتابه: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، وحمادي، صمود، حمادي، وصولة، عبد الله، في مقاله: فكرة العدول في البحوث الأسلوبية المعاصرة، فتناول العدول من خلال عرض آراء النقاد الأسلوبيين، ينظر المقال في مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، ع: 1، 1987م. و د. السعدني، مصطفى، في دراسة العدول في الشعر، والأزهر الزناد، وغيرهم.

(65) ينظر: الزمخشري، الكشاف، 1/ 13. ويتجلى ذلك في منهج الزمخشري عامة، و ينظر كتب التراث مثل: مفتاح العلوم، والإيضاح، والطراز، والبرهان في علوم القرآن، وغير ذلك.

(66) السكاكي، مفتاح العلوم، 1/ 201.

اللسانيات الاجتماعية ومقارباتها التداولية

الأستاذ الدكتور : أزهار علي ياسين
الأستاذ المساعد الدكتور : كفاية مذكور شلش
جامعة البصرة/ كلية الآداب

الملخص:-

لقد رافقت اللغةُ الإنسانَ منذ بداية خلقه، حتى كانت صنواً له بها يُعرف ويتعرف، وأول كلام صدر عن أبينا آدم وأُمِّنا حواء(عليهما السلام)جاء في قوله تعالى:{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[1]، فاللغة جزء من الإنسان يحتاجُها في التعبير عمّا بداخله لغرض التفاهم والتواصل مع الآخرين، فاللغة هي الإنسان، والإنسان في مجتمعه ولاوجود له بدون اللغة، ولاوجود لهذه اللغة بدون مجتمع إنساني، فهي تُميّز المجتمع الذي يتواصل بها، وعلى الرغم من هذه العلاقة الوثيقة، فإنَّ ملاحظتها في مجال تطور العلوم والعنايّة بها جاء متأخراً، إلّا أنّها كانت مجال عنايّة علماء العربيّة القدماء وتجلى ذلك في مؤلفاتهم.

المقدمة:-

اتخذت اللغة في بنائها وتكويناتها مسارات تواكب متطلبات المجتمع التواصلية، فبرزت بذلك قوة العلاقة بين النظام اللغوي والنظام الاجتماعي، والدور الجوهري لكل منهما في عمليات الاتصال والتواصل.

هذا البحث فسحة علمية مبتغاها تسليط الضوء على منطقة ارتباط اللغة– بوصفها نشاطاً اجتماعياً– بقوة استعمالها استجابةً لحاجات اجتماعية لبيان مدى تفاعل السلوكين اللغوي والاجتماعي في السياق التداولي.

انبنى هذا البحث على :.

- تمهيد: وهو بعنوان: اللغويات الاجتماعية من الإشكالية والتداخل الى العزلة الى الارتقاء.
- المبحث الأول: التداولية واللغويات الاجتماعية. البناء والتفاعل.
-المبحث الثاني: المعنى التواصلي والقدرة الخطابية– الاجتماعية وإجراءات السياق التداولي.

التمهيد: اللغويات الاجتماعية من الإشكالية والتداخل الى العزلة والارتقاء.

تنبّه علماء العربيّة القدماء إلى علاقة اللغة بالمجتمع، ومنهم ابن جنّي (ت392هـ) في حدّه للغة بأنّها((أصواتٌ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم))[1] ، وهذا الحدّ عرض فيه إلى:-

أولاً: مادة اللغة الأولية وخامتها الأصلية وهي الأصوات.

ثانياً: الغرض من هذه الأصوات القدرة على التعبير بواسطتها.

ثالثا: مجال التعبير الجماعة الإنسانيّة أو القوم كما عبرَّ عنه القدماء.

رابعا: الاغراض، وهذه الأغراض راجعة لهذه الجماعة، وهنا تكمن وظيفة اللغة وتتجلى بتنوع هذه الأغراض التي تستدعيها حاجات الإنسان في مجتمعه.

لقد حدّد ابن جنّي في هذا التعريف((اتجاها علميّا أقرب إلى الواقع اللغوي... فإنّ أي متوسّم بالاهتمام بالدرس اللغوي يقف على أهميّة مقولة(ابن جنّي) في هذا المقام؛ لأنّها تدلّ على أنَّ علماء العربيّة قد لحظوا ملحظا ضروريا، وفهموا قانونا أساسيّا من قوانين حياة اللغة، ونعني به أنَّ اللغة في جوهرها شكل من أشكال السلوك الاجتماعي ذلك أنَّها لا تكون إلّا حيث يكون المجتمع، ومن ثم يمكن فهمها بوصفها ظاهرة اجتماعيّة مع ما يمكن أن يترتب على ذلك من منهج))[2] ،كاشفاً((بكلمتين اثنتين القناع عن الوجه الاجتماعي للغة، فالقوم المجتمع ،والأغراض أفكار المجتمع ومشاعره، وفحوى كلامه أنَّ اللغة ظاهرة اجتماعيّة لا ظاهرة فرديّة؛ لأنَّ الإنسان لا يستخدمها ليترجم أفكاره ومشاعره لنفسه، بل لمن حوله من بني جنسه، أي للمجتمع))[3]

كذلك أكّد ابن سيدة (ت: 458هـ)العلاقة بين اللغة والمجتمع في مقدّمة كتابه (المخصص)عندما قال:((فَإِنَّ الله عز وَجل لما كرم هَذَا النَّوْع الموسوم بالإنسان وشرفه بِمَا آتَاهُ من فَضِيلَة النُّطْق على سَائِر أَصْنَاف الْحَيَوَان وَجعل لَهُ رسماً يميزه وفضلاً يُبينهُ على جَمِيع الْأَنْوَاع فيحوزه، أحوجه إِلَى الْكَشْف عَمَّا يتَصَوَّر فِي النُّفُوس من الْمَعَانِي الْقَائِمَة فِيهِ المدركة بالفكرة ففتق الْأَلْسِنَة بضروب من اللَّفْظ المحسوس ليَكُون رسماً لما تصور وهجس من ذَلِك فِي النُّفُوس فَعلمنَا بذلك أَنَّ اللُّغَة اضطرارية وَإِن كَانَت مَوْضُوعَات ألفاظها اختياريةً))[4]،وهذا ما يؤكّد ارتباط

اللغة بالمجتمع والحاجة إليها عبر التواصل اللغوي، فاللغة اضطراريّة، والإنسان يصنع الفاظه باختياره[5]، فهو بحكم اجتماعيته ينتقي مع أبناء جنسه الألفاظ التي تستدعيها الحياة الاجتماعيّة في مجتمعه مما يبرهن أنَّ اللغة حاجة اجتماعيّة ،بل من المتطلبات الضروريّة للحياة الإنسانيّة.

ولعلماء العربيّة إشارات جمة إلى الطبيعة الاجتماعية لهذه اللغة، فالطريقة التي تنتقي فيها الجماعة الإنسانيّة ألفاظها، هو ما أُصطلحوا عليه بـ(الوضع)[6]ويقابل الوضع((الاستعمال أو الاصطلاح والتواطؤ...أمّا استعمال الوضع أو كيفيّة أدائه في الخطاب فهذا راجع إلى الفرد، بمعنى أنَّ اللغة ليست كالكلام...إنَّها مادة مشتركة لا يمكن نسبتها إلى شخص بعينه، ولا يمكن أن تتفاوت من جراء ذلك مكوناتها قيمة وحسناً ،في حين أنَّ الكلام منسوب دائماً إلى متكلم فرد وصادر عن قائل، وطريقة إفادته ليست نتيجة الاصطلاح، وإنّما هي رهينة المتكلم، ومتماشية مع مقاصده، وبلاغته ليست ناجمة عن أوضاع اللغة))[7]، وتنبّه العالم ابن خلدون(ت808) إلى أهم قضيّة في اكتساب اللغة، وقد سبقَ في ذلك المدارس اللغويّة المعاصرة، إذ لاحظَ أنَّ اكتساب اللغة يحصل إمّا عبر ترعرع الإنسان في بيئته وسماع لغتهم، أو بواسطة الحفظ والمران[8]،وهو بهذا((أخضع اكتساب اللغة وحصول الملكة اللغويّة وبقائها في المجتمع الناطق بها جيلا بعد جيل، وجودتها أو فسادها إلى جملة من المؤثرات))[9] بقوله:((اعلم أنَّ اللّغات كلّها ملكات شبيهة بالصّناعة إذ هي ملكات في اللّسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنّظر إلى المفردات وإنّما هو بالنّظر إلى التّراكيب، فإذا حصلت الملكة التّامّة في تركيب الألفاظ المفردة للتّعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التّأليف الّذي يطبّق الكلام على مقتضى الحال بلغة المتكلّم...والملكات لا تحصل إلّا بتكرار الأفعال؛ لأنَّ الفعل يقع أوّلا وتعود منه للذّات صفة ثمّ تتكرّر فتكون حالا، ومعنى الحال أنّها صفة غير راسخة ثمّ يزيد التّكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة، فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته اللّغة العربيّة موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفيّة تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصّبيّ استعمال المفردات في معانيها فيلقّنها أوّلا ثمّ يسمع التّراكيب بعدها فيلقّنها كذلك، ثمّ لا يزال سماعهم لذلك يتجدّد في كلّ لحظة ومن كلّ متكلّم واستعماله يتكرّر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم، هكذا تصيّرت الألسن واللّغات من جيل إلى جيل وتعلّمها العجم والأطفال، وهذا هو معنى ما تقوله العامّة من أنَّ اللّغة للعرب بالطّبع أي بالملكة الأولى الّتي أخذت عنهم ولم يأخذوها عن غيرهم، ثمّ أنّه لما فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم وسبب فسادها أنَّ النّاشئ من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيّات أخرى غير الكيفيّات الّتي كانت للعرب فيعبّر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم ويسمع كيفيّات العرب أيضا فاختلط عليه الأمر وأخذ من هذه وهذه فاستحدث ملكة وكانت ناقصة عن الأولى))[10]، وقد حدّد د. هادي نهر أبعاد الصلة الجدليّة بين المجتمع واللغة التي استخلصها ابن خلدون في نظرته إلى اللغة، بستة أبعاد، هي:[11]

أ- اللغة ملكة صناعية، ومعنى ذلك أنَّ اللغة صفة راسخة تكتسب بها النفس البشرية العادات والتقاليد والصناعات وكل مظاهر الاجتماع الانساني التي تحيط بها.

ب-اللغة تعتمد على المسموع، أثبت ابن خلدون أن الملكة اللغوية إنما تعيّن وتُكتسب بمفاعيل المعاشرة والمخالطة والممارسة فالإنسان يتكلم لغته الأصيلة بسماع الآخرين.

ج- اللغة فعل تكراري، بمعنى أنَّ هذه الملكة إنما تستقر وتثبت بالعادة وتكرار الفعل.

د- إعادة الأفعال تمنح خصائص جديدة، وكذلك فإنّ تنوع روافد الاختلاط والمعاشرة قد يفسد الملكة، ويوجهها توجيها جديدا ناقصا عن الملكة الأولى .

هـ-أنّ الملكة التامّة لا تحصل بالنظر إلى المفردات بل الى التراكيب، بمعنى أنَّ معرفة النظام اللغوي المعين هي التي تحدد إمكانية معرفة الإنسان لتلك اللغة وتمكنه منها، ومن الواضح أنَّ أهم خاصيّة من خصائص اللغة هو نظامها؛ لأنّه يحكم سلوك الأفراد الذين يستخدمون اللغة، فاللغة تقوم على أساس نوع من العقد القائم بين أبناء الجماعة، والفرد في حاجة إلى تعلمها وتوظيفها في نشاطه الاجتماعي، ولا يمكن للإنسان أن يتعلم اللغة بتعلّم مفرداتها فقط، من دون تعلم ما يمثلها تمثيلا صحيحا أي تعلم النظام، سواء كان نظاما لأصواتها أم لصرفها أم لنحوها.

و- اكتساب اللغة يبدأ بالمفردات، فالطفل يكتسب اللغة بالتدريج مبتدأً من المفردات ودلالاتها، فالتراكيب وأحكامها.

وهكذا أثبت أبن خلدون أسس ومعايير اللغة المكتسبة في المجتمع بغايّة الدقة والملاحظة وأشار لما يفسدها بسبب اختلاطها.

اتخذت دراسة علم اللغة في عصر الإنجازات وتطور العلوم جانباً وصفياً يقترب من الواقعية الاستعمالية، وصار يُدرَس على وفق متطلبات المنهج العلمي اللغوي الاجتماعي، فكان علم اللغة الاجتماعي أو اللسانيّات الاجتماعية أحد فروع علم اللغة، وسبق أن لُقيَّ علم اللغة وعلم الاجتماع حظهما من النمو والتطور في بداية القرن العشرين، ولكنهما سارا في عزلة متفرقين من جانب البحث والدراسة، وبقيت المنطقة المشتركة بينهما- قوة العلاقة بين اللغة والمجتمع- في حيّز الإهمال والتجاهل من جانبين:[12]((أحدهما: جانب علماء الاجتماع، ويتمثل في التقدير المبكر جدّا لدور اللغة الجوهريّ في المجتمع، فقد نظر علماء الاجتماع إلى اللغة بوصفها شرطاً جوهريّا لقيام أيّ جماعة إنسانيّة، ولكنهم اعتقدوا أنَّها لم تكن ناتجة عن اختلاف في السلوك الاجتماعي، أو بعبارة أخرى لم يهتموا بالعلاقة بين التنوع الاجتماعيّ والتنوع اللغويّ، ومن ثم أهملوا دراستها. والآخر: من جانب علماء اللغة، ويتمثل بثنائية دي سوسير اللغة والكلام؛ ولأنَّ اللغة قد عُرفت بحسب– دي سوسير- بأنّها نظام قواعد كامنة في عقل كلّ شخص؛ فقد توجهت الدراسة إليها، واصبح الكلام الفردي في المواقف الاجتماعيّة التفاعلية لا يحظى بالدراسة))[13]وإن كان الغربيون أنفسهم((لم يبرعوا في هذه الدراسات إلّا من أمدٍ قريب، فإنَّ علماء العرب تركوا لنا في هذا المضمار تراثاً قيّما يدلّ على سبقهم من ناحية، وعلى سعة أفقهم في الدراسات اللغويّة من ناحية أخرى))[14].غير أنَّ هذه العزلة أخذت تنحسر في فترة متأخرة[15]عندما وعى علماء الاجتماع من الغربيين أنَّ((اللغة نشاط اجتماعي، من حيث أنَّها استجابة ضروريّة لحاجة الاتصال بين الناس جميعا؛ ولهذا السبب يتصل علم اللغة اتصالاً شديدا بالعلوم الاجتماعيّة، وأصبحت بعض بحوثه تُدرس في علم الاجتماع، فنشأ لذلك فرع منه يسمى (علم الاجتماع اللغوي) يحاول الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعيّة وبين أثر تلك الحياة الاجتماعيّة في الظواهر اللغويّة المختلفة))[16].ومثلّت هذه المرحلة مرحلة ارتقاء علم اللغة الاجتماعي، وقد تنبّه علماء اللغة إلى بحوث علم الاجتماع اللغوي والدراسات التي تقوم بها المدرسة الاجتماعيّة الفرنسيّة التي أنشأها

دور كايم في أوائل القرن العشرين،[17]، واتجهت الرؤى والانظار بعد ذلك إلى التفاعل بين السلوك اللغوي والسلوك الاجتماعي، مما قاد ذلك إلى ظهور مجال آخر يشتغل بمنطقة ارتباط اللغة ورصدِها في سياقها الاجتماعي تمثّل هذا المجال باللسانيات الاجتماعية[18]، وذكر هدسون أنَّ الاهتمام الأول بهذا العلم في الولايات المتحدة جاء من أناس مثل–رجال التعليم- فطُبق بصورة عمليّة عن طريق دراسة أساليب كلام الجماعات السكانيّة الدُنيا[19]، وظهر نتاج هذا العلم عند قيام المؤتمر الأول لعلم اللغة الاجتماعي في جامعة كاليفورنيا عندما قدم لابوف تجربته في المجال العملي حول الاستعمال اللغوي للطبقات في مدينة نيويورك، فظهر علم اللغة الاجتماعي بهذه التسمية رغم وجود منطلقات واهتمامات علميّة شديدة التباين.[20]

المبحث الأول: التداولية واللغويات الاجتماعية / البناء والتفاعل.

لاحظ المؤرخون على الصعيد العالمي أنَّ اللغة حاملة لاتجاه تواصلي– براجماتي لذا وجهوا اهتماماتهم الى اللغة بوصفها نظاما تواصليا، مما يعني أنَّهم تجاوزوا الاهتمام بالخاصية (التركيبية الدلالية) التي مثلت النظام الداخلي للغة إلى وظيفة اللغة في بنية التواصل[21]، ونتيجة لهذا التطور والانتقال لعلم اللغة إلى مجال تواصلي أكثر تعقيدا نشأ فرع هذا العلم الذي يُعرف بعلم اللغة الاجتماعي[22]، وصار مجال علم اللغة أكثر سعة ،فإنّ بروز اللسانيّات الاجتماعيّة((جاء حركة متممة ومصححة للسانيات البنيوية والتوليدية إذ سعت إلى تجاوز تقييدها لمجال علم اللغة في النظام اللغويّ عبر مفهوم أوسع لعلم اللغة، فوجهت النظر إلى المحددات الاجتماعية للغة ،وإلى الأسس الاجتماعية للغة وتأثيرها في المجتمع، وفي النهاية إلى العلاقة بين اللغة والمجتمع))[23]، ونتيجة لهذه الانتقالة لعلم اللغة بظهور اللسانيات الاجتماعية أصبحت اللغة مهتمة بالسياقات الاجتماعية التي تُكتسب بها اللغة ومن ثم تُستخدم لأغراض التواصل،((إنّ مهمة علم اللغة العام حسب هذا الرأي الشائع، هي اكتشاف وتحديد قواعد أية لغة حتى يستطيع علماء علم اللغة الاجتماعي بعد ذلك أن يدرسوا نقاط هذه القواعد بالمجتمع كما يحدث عندما يكون هناك عدد من بدائل التعبير اللغوي التي تستخدمها المجموعات الاجتماعية المختلفة للتعبير عن شيء واحد))[24].

ووفقاً لرؤيّة دقيقة نادى بها(جون فيرث) مؤسس مدرسة لندن وأتباعه السياقية في ضوء علاقة اللغة بسياقها الاجتماعي[25] يتضح بأنَّ((للكلام وظيفة اجتماعيّة باعتباره وسيلة للاتصال وطريقة لتمييز المجموعات الاجتماعية المختلفة، كما أنَّ دراسة الكلام دون الرجوع إلى المجتمع الذي يتحدث به هو استبعاد لاحتمالات وجود تفسيرات اجتماعية للأبنية والصيغ المستخدمة في الكلام))[26]، يُفهم من ذلك أنَّ مهمّة علم اللغة الاجتماعي تنحصر بدراسة نتاجات علم اللغة العام في المجتمع ؛لأنَّ اللغة مُكتسبة من المجتمع، ولا جدوى من تفسير أبنيتها وتراكيبها بعيدا عن مجال تطبيقها ووظائفها إلّا بوجودها في عينة مجتمعية، من هذا المنطلق رأى هدسون:((أنَّ تجاهل علم اللغة للمجتمع يعد شيئا خطيرا بالنسبة لعلم اللغة في حدِّ ذاته...))[27]، مع تأكيده أهمية إدراك السياق الاجتماعي في دراسة الموضوع اللغوي[28].

وهذه الرؤية التي تبناها هدسون جاءت من ملاحظته للعلاقة القديمة والمتأصلة بين اللغة والمجتمع، لكن لا يمكن اعتبار علم اللغة الاجتماعي بديلاً لعلم اللغة؛ باعتبار الأسبقيّة لعلم اللغة في مجال الدراسة والبحث المُعاصِرَين ، ومن ناحيّة علمائه فلا يمكن إغفال ما قدموه من جهود نيرة في مجال علم اللغة[29].

المبحث الثاني: المعنى التواصلي والقدرة الخطابية– الاجتماعية وإجراءات السياق التداولي.

ثمة مقاربات وتداخلات بين التداولية واللسانيات الاجتماعية، فاذا كانت اللسانيات الاجتماعية حسب تعريف هدسون لها. تعني:((دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع))[30]، اي دراسة اللغة من جهة تأثير المجتمع وسلوكياته على اللغة، فاللغة لا تكتمل ولا تستقيم فهماً وتواصلاً خارج دائرة المجتمع الذي تنبت فيه [31]، لذا تهتم بدراسة الازدواجية اللغوية والتعدد اللغوي ومنظومة اللهجات والتخطيط والتنمية اللغوية ودراسة طرائق الكلام وأساليبه عند مستعملي اللغة [32] ، فإنّ التداولية مفهوما تُعنى بـ((دراسة اللغة في الاستعمال))[33] لذا تهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالسياق المرجعي لعملية التخاطب فضلا عن اهتمامها بالأفراد الداخلين في عملية التواصل، واذا كانت((الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي ظاهرة خطابية بامتياز من حيث أنَّه يعسر تأويل قصد المتكلم دون تحديد السياق العام الذي ورد فيه، وهو ما يؤلف مع الجزء الظاهر من الخطاب(الجملة مثلا) نصا متكاملا))[34] ، فإنَّ فكرة المقام أو السياق تعتبر المركز الذي تدور حوله التداولية وتنبني عليه اللسانيات الاجتماعية[35] ، حيث ترتكز القاعدة التواصلية على السياق التواصلي في كل منهما[36].

وفي ضوء عملية التواصل نجد الدرس اللغوي التداولي يدرس المنجز اللغوي في ما ((يصطلح عليه بالتفاهم اللغوي- فبواسطتها يؤولون وضعية ما ويتفاوضون عليها بهدف الوصول من خلال استثمار المعتقدات المشتركة إلى توافق يفضي إلى تنسيق المصالح المشتركة والانخراط في مشروعات جماعية تعود بالنفع العام على الجميع))[37] ، وهذا واقع حال في اللسانيات الاجتماعية إذ إنَّ الكلام يُنجز في سياقات اجتماعية تواصلية وليس بمعزل عنها، مما يعني كل هذا أنَّ السياق في عملية تحليل الخطاب التداولي والاجتماعي هو ((الشيء الخارج عن المتحاورين والثابت في الطبيعة، مؤطراً النشاط التواصلي، فهو يشكل المكان والزمان الذي يحدث فيه ذلك النشاط)) [38]،وهذا السياق المشترك يحدد سيرورة العمل التخاطبي، ويرتكز على عدة عناصر، حيث ((يعد العنصر الشخصي من أهم عناصر السياق ويمثله طرفا الخطاب: المتكلم والمخاطب، وما بينهما من علاقة، بالإضافة إلى مكان التلفظ وزمانه، وما فيه من شخوص وأشياء وما يحيط بهما من عوامل حياتية: اجتماعية أو سياسية أو ثقافية، وأثر التبادل الخطابي في أطراف الخطاب الأخرى)) [40]

ومن سمات الاتجاه التواصلي ((رصد خصائص بنية اللغة الطبيعية وربطها بوظيفتها في التواصل ، والتوصل إلى أن قدرة طرفي الخطاب التواصلية تكمن في معرفة القواعد العامة التي تمكنها من تحقيق أهداف التواصل وتأويل الخطاب ، ومنها القواعد اللغوية في مستوياتها التركيبية والدلالية والصوتية . وتتميز الدراسات اللغوية التي تتخذ التواصل إطارا عامّا لها بأنها دراسات لسانية مرنة ، فهي تصف وتفسر استعمالات المرسل المتنوعة ،بل وعدوله عن بعض المعايير الثابتة في مستويات اللغة ليجعل خطابه مناسبا للسياق الذي يتلفظ فيه))[39].

إنَّ من المشتركات بين التداولية واللسانيات الاجتماعية أنَّ كل منهما يجعل النص منفتحا غير منغلق أو منحسر في بنية شكلية معزولة عن سياقها، فضلا عن ذلك الاشتراك في تقنيات التواصل الأخرى التي تتكور خارج المعطيات اللغوية مثل الإيماء والاشارة وملابسات لغة الجسد [40]

وتشارك التداولية اللسانيات الاجتماعية في ابراز أكبر للعلاقات الاجتماعية بين المشاركين في موضوع الكلام ؛لما في ذلك من تأثير في انتاج العبارات اللغوية من جهة وتأويلها من جهة أخرى ([41]).

لقد انبنت كل من التداولية واللسانيات الاجتماعية رؤيتهما على قضية الانتاج اللغوي التي تتمنهج على وفق نظرية معرفية قوامها: أنَّ كل أداء لغوي يتمركز حول فعل كلامي حامل لمقاصد تتوجه حسب مراد المتكلم وقصديته وظروف الكلام وطبقاته المقامية [(42)].

كما تتداخل التداولية مع اللغويات الاجتماعية في بيان أثر العلاقات الاجتماعية في عملية انتاج الكلام للمشاركين في مجموعة كلامية متقاربة أو متشابهة، خاصة فيما يخص مؤثرات السياق الاجتماعي . الثقافي في ذلك، حيث يركز كل منهما على اجابة التساؤل الآتي : لماذا نتكلم بشكل مختلف عندما تختلف السياقات الاجتماعية؟ ليكون تركيز الانتباه على سياقات استعمال اللغة وعلى مستعملي هذه اللغة بدلا من التركيز على قواعد اللغة المقننة والتنظير النحوي فيها [(43)]

وهكذا تلتقي التداولية وتتداخل منطقة اشتغالها مع اللسانيات الاجتماعية، فكل منهما ((لا يتم حصول عملية الإفهام والفهم في السياق إلا بالاتكاء على معرفة السياق وفقا لهذا المنهج الذي يتيح للمرسل التلفظ بخطابه بتوظيف كل هذه المستويات))[(44)]

ونجد أنّ علاقة معرفة السياق أو المقام بحصول عملية الفهم لها استعمالاتها في تراث النحو العربي ، فقد ورد في كتاب سيبويه(ت180هـ) في تفسيره للمحذوف من الكلام في قوله:((وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبد الله وربي، كأنك قلت: ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله، أو سمعت صوتا فعرفت صاحب الصوت فصار آية لك على معرفته فقلت: زيد وربي، أو مسستَ جسدا أو شممتَ ريحا فقلت: زيد والمسك...)) [(45)] وورد كذلك عند المبرّد(ت286هـ) في قوله:((فمن ذلك أن ترى جماعة يتوقعون الهلال، فقال قائل منهم : الهلال والله، أي هذا الهلال)) [(46)]، فالملفوظات الواردة في النصين تحتمل أكثر من تأويل والمقام أو السياق الثقافي . الاجتماعي وحده قادر على طرد تلك الاحتمالات وإثبات مقصدية المتكلم، وهذا ما تعول عليه اللسانيات التداولية وكذلك اللسانيات الاجتماعية في علاقتهما بالسياق التواصلي المرجعي في عملية التخاطب عند الأفراد الذين يتواصلون خارج العلاقات المنطقية النحوية في كلامهم، صفوة القول: أنَّ كل منهما يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه وكيفية استعمال العلاقات اللغوية المنفتحة في السياقات والمقامات المختلفة التي تهمين على تشكل مسارات التخاطب، ولأنَّ اللغة ذات مسار ابلاغي وطابع تواصلي فالنظام اللغوي في أي مجتمع محكوم بطريقة التخاطب القائمة على المحاكاة والاكتساب.

وهكذا تكون العلاقة بين اللسانيات التداولية واللسانيات الاجتماعية علاقة قائمة على الجذب والتجاذب، مع ابقاء مسافة معينة بينهما، فالتداولية تنتمي الى اللسانيات الاجتماعية انتماء الجزء الى الكل أو الفرع الى الأصل.

الخاتمة

تمخضت عن هذا البحث بعض الملاحظات والنتائج التي هي بمثابة ثمرة هذا الجهد العلمي، وهي:-

- أنّ دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع ليست جديدة العهد وإنّما لها جذور عميقة في تراثنا العربي، ووضع أسس هذه الدراسة العالم ابن خلدون مع ملاحظات من سبقه من العلماء.
- أنّ اللسانيات الاجتماعية بهذه التسميّة والاصطلاح جديدة العهد، وظهرت نتيجة تطور الدراسات في البحث اللسانيّ المعاصر، وإدراكاً من الدارسين لضرورة ربط اللغة بالمجتمع ، فهو علم له استقلاليته، وعدّه الدارسون فرعاً من فروع علم اللغة العام أو اللسانيات اللغوية.
- المساحة الفاصلة بين التداولية واللسانيات الاجتماعية تكاد تتلاشى بين العلمين ، فالأول يدرس اللغة عبر استعمالاتها الاجتماعية، والثاني يدرس اللغة في المجتمع ، مستفيداً من قدرة اللغة في فهم المجتمع .
- تبيّن أنَّ للمجتمع تأثيراً في اللغة، وتغير استعمالاتها انما يكون تبعاً للجماعات اللغويّة المُستعملة فيها اللغة فضلاً عن العادات الكلامية التي تمارسها هذه الجماعة، وهذا مما يكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية وأثر تلك الحياة الاجتماعيّة في الظواهر اللغويّة المختلفة، ومثلّت هذه المرحلة مرحلة ارتقاء علم اللسانيات الاجتماعية.
- ثمة مقاربات وتداخلات بين التداولية واللسانيات الاجتماعية، فاذا كانت اللسانيات الاجتماعية تُعنى بدراسة اللغة من جهة تأثير المجتمع وسلوكياته على اللغة، فاللغة لا تكتمل ولا تستقيم فهماً وتواصلاً خارج دائرة المجتمع الذي تنبت فيه، فإنّ التداولية مفهوما تُعنى بدراسة اللغة في استعمالاتها، لذا تهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالسياق المرجعي لعملية التخاطب فضلا عن اهتمامها بالأفراد الداخلين في عملية التواصل.
- إنَّ فكرة المقام أو السياق تعدّ المركز الذي تدور حوله التداولية وتنبني عليه اللسانيات الاجتماعية، حيث ترتكز القاعدة التواصلية على السياق التواصلي في كل منهما، مما يعني كل هذا أنَّ السياق في عملية تحليل الخطاب التداولي والاجتماعي هو الذي يؤطر النشاط التواصلي في كل منهما ،وهذا السياق المشترك يحدد سيرورة العمل التخاطبي فيهما.
- الاشتراك في تقنيات التواصل الأخرى التي تتكور خارج المعطيات اللغوية مثل الإيماء والاشارة وملابسات لغة الجسد.
- وتشارك التداولية اللسانيات الاجتماعية في ابراز أكبر للعلاقات الاجتماعية بين المشاركين في موضوع الكلام ؛لما في ذلك من تأثير في انتاج العبارات اللغوية من جهة وتأويلها من جهة أخرى.
- لقد انبنت كل من التداولية واللسانيات الاجتماعية رؤيتهما على قضية الانتاج اللغوي التي تتمنهج على وفق نظرية معرفية قوامها: أنَّ كل أداء لغوي يتمركز حول فعل كلامي حامل لمقاصد تتوجه حسب مراد المتكلم وقصديته وظروف الكلام وطبقاته المقامية

- كما تتداخل التداولية مع اللغويات الاجتماعية في بيان أثر العلاقات الاجتماعية في عملية انتاج الكلام للمشاركين في مجموعة كلامية متقاربة أو متشابهة، خاصة فيما يخص مؤثرات السياق الاجتماعي . الثقافي في ذلك، حيث يركز كل منهما على اجابة التساؤل الآتي : لماذا نتكلم بشكل مختلف عندما تختلف السياقات الاجتماعية؟ ليكون تركيز الانتباه على سياقات استعمال اللغة وعلى مستعملي هذه اللغة بدلا من التركيز على قواعد اللغة المقننة والتنظير النحوي فيها
- وتلتقي التداولية وتتداخل في منطقة اشتغالها مع اللسانيات الاجتماعية، فكل منهما لا تتم عملية الإفهام والفهم في السياق إلا بالاتكاء على معرفة السياق التواصلي.
- وهكذا تكون العلاقة بين اللسانيات التداولية واللسانيات الاجتماعية علاقة قائمة على الجذب والتجاذب، مع ابقاء مسافة معينة بينهما، فالتداولية تنتمي الى اللسانيات الاجتماعية انتماء الجزء الى الكل أو الفرع للأصل

---

[1] ـ الخصائص ، ابن جني : 1/ 33

[2] ـ اللسانيات الاجتماعية عند العرب ، الدكتور هادي نهر لعيبي : 48

[3] ـ في علم اللغة ، الدكتور غازي مختار طليمات : 22

ـ المخصص،ابن سيده :33/1[4]

[5] ـ ينظر: اللسانيات الاجتماعية عند العرب: 53

ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي : 1/ 37[6]

[7] ـ اللسانيات الاجتماعية عند العرب : 55 ـ 56

[8] ـ ينظر: الاكتساب اللغوي عند ابن خلدون،(بحث) طارق ثابت، جامعة الشهيد محمد العربي بن مهيري- ام البواقي، الجزائر، اكتوبر تشرين الاول 2012: 5

[9] ـ اللسانيات الاجتماعية عند العرب : 57

ـ تاريخ ابن خلدون : 764، 765.[10]

ـ اللسانيات الاجتماعية عند العرب:58، 59 * وأشار د. هادي نهر إلى أن ابن خلدون يسمي اللغة الفصحى باسم (لسان [11] العرب)، أو(لغة مضر)، وأمّا العامية فيعبر عنها بـ(لغة الامصار) أو (لغة الجيل).ينظر: المصدر نفسه

[12] ـ ينظر : اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة ،التلقي والتمثلات :الدكتور حسن كزار : 28

[13] ـ المصدر نفسه

[14] ـ المصدر نفسه : 22

[15] ـ ينظر: المصدر نفسه: 29

[16]- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، الدكتور رمضان عبد التواب : 125

[17]- ينظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: 126

[18]- ينظر : اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة: 29

[19] - ينظر: علم اللغة الاجتماعي، هدسون ، ترجمة محمود عياد: 14 .

[20]- ينظر : تطور علم اللغة منذ 1970م ، جوهارد هلبش : 356.

[21]- ينظر: تطور علم اللغة : 25

[22]- ينظر: المصدر نفسه: 26

[23]- اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة : 30-31 .

[24]- علم اللغة الاجتماعي : 12

[25]- ينظر : اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة: 33

[26]- علم اللغة الاجتماعي : 15-16.

[27]- المصدر نفسه : 16

[28]- ينظر: نفسه: 17

[29]- المصدر نفسه : 16 .

[30]- المصدر نفسه :17.

[31] - ينظر : المصدر نفسه : 17

[32]- ينظر: من النظرية اللسانية الى تنظير الواقع، ليلى المسعودي: 6 ومابعدها

[33] -مبادئ في اللسانيات خولة طالب الابراهيمي: 185

[34]- الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي ، يوسف تغزاوي: 182

[35]- ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : 337،و التداولية في الدراسات النحوية :268

[36]- ينظر : التداوليات علم استعمال اللغة ، تنظيم حافظ اسماعيلي : 469

[37]- التداوليات علم استعمال اللغة : 425

[38]- تحليل الخطاب (مجلة فصول)العدد :97 خريف 2016 :صفحة231

[39]- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري : 10-11

- ينظر: دليل النقد الأدبي، ميجان الزويلي وسعد البازي:169، واللسانيات الاجتماعية : 16[40]

[41] ينظر: من النظرية اللسانية الى تنظير الواقع، ليلى المسعودي: 5-6 ،وقضايا اللغة العربية في اللسانيات ـ الوظيفية، د. أحمد المتوكل: 26- 27

[42] -ينظر: اللسانيات الاجتماعية اليوم : قضايا ومناهج، هشام يسك(بحث)، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية ، س 26، ع 97 : 72

[43] -ينظر: البحث نفسه

[44] -استراتيجيات الخطاب :23

[45] -الكتاب ،سيبويه 2/ 130

[46] -المقتضب ، المبرّد : 4/ 129

المصادر

1- القران الكريم
2- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط1، 2004م .
3- الاكتساب اللغوي عند ابن خلدون،(بحث) طارق ثابت، جامعة الشهيد محمد العربي بن مهيري- ام البواقي، الجزائر، اكتوبر تشرين الاول 2012.
4- تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)،ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ، ط2 ، 1408 هـ - 1988 م .
5- تطور علم اللغة منذ 1970م ، جوهارد هلبش ، ترجمة سعيد حسن بحيري ، مكتبة زهرة الشرق
6- التداوليات علم استعمال اللغة ، تنظيم حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث / الاردن ، ط1، 2011م .
7- التداولية في الدراسات النحوية ، عبد الله جاد الكريم ، مكتبة الاداب / القاهرة ، ط1، 2014م .
8- تحليل الخطاب (مجلة فصول)العدد :97 خريف 2016 .
9- الخصائص ، ابن جني ، عالم الكتب _ بيروت ، تحقيق : محمد علي
10- دليل النقد الأدبي، ميجان الزويلي وسعد البازي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء /المغرب : ط3 2000م .
11- علم اللغة الاجتماعي، هدسون ، ترجمة محمود عياد ، عالم الكتب /القاهرة ، ط2، 1990م.
12- في علم اللغة ، الدكتورغازي مختار طليمات ، دار طلاس /دمشق ، ط2، 2000م.
13- كتاب سيبويه ، تحقيق :عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي/ القاهرة ، ط4، 2004م .
14- اللسانيات الاجتماعية اليوم : قضايا ومناهج، هشام يسك(بحث)، المحلة التونسية للعلوم الاجتماعية ، س 26، ع 97
15- اللسانيات الاجتماعية عند العرب ، د. هادي نهر لعيبي، عالم الكتاب الحديث ،ط1.

16- اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة ،التلقي والتمثلات ، الدكتور حسن كزار ،بيروت / لبنان ،ط1، 2018.
17- اللغة العربية معناها ومبناها ، الدكتور تمام حسان ، دار الثقافة ، 2001م .
18- المخصص، ابن سيده ، تحقيق: خليل إبراهم جفال: دار إحياء التراث العربي– بيروت ط1، 1417هـ 1996م.
19- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1998 .
20- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي /القاهرة، ط2 1985.
21- من النظرية اللسانية الى تنظير الواقع، ليلى المسعودي ، من بحوث الملتقي الدولي للسانيات ، تونس ،د.ط.ت.
22- مبادئ في اللسانيات خولة طالب الابراهيمي ، دار القصبة للنشر/ الجزائر ، ط2 2006م .
23- المقتضب ، أبو العباس المبرّد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، لجنة إحياء التراث الاسلامي / القاهرة ، 1494م.
24- الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي ، يوسف تغزاوي: عالم الكتب الحديث /الاردن، ط1، 2014.
25- الوظيفة في كتاب سيبويه ، رجاء عجيل الحسناوي ، مكتبة العلامة ابن فهد الحلي /كربلاء، ط1، 2015م .

النص الموازي في ديوان قالت الوردة لـ عثمان لوصيف

الأستاذ الدكتور: رضا عامر

المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف / ميلة (الجزائر)

الملخص:-

تعدّ "**سيميائية العتبات**"النصية من القضايا النقدية المهمّة التي خاض فيها النقاد المحدثون ومما لاشك فيه أن عتبة العنوان،الغلاف،الألوان، المقدمة،الإهداء...إلخ، تؤدي دورًا أسياسيا في فهم المعاني العميقة للعمل الأدبي خاصة- المقدّم للمتلقي- ومن هنا كان الاهتمام بها أمرًا حتميا لأنّها أوّل عتبات النص التي يمكن من خلالهما الولوج إلى معالم النص واكتشاف كنهه،ومن ثم تقديم رؤية حداثية نقدية مؤسسة على منهج ،ومنطلقات نظرية تسهم في كشف معالم النص الخفية وتقديمه للمتلقي على شكل قراءة نقدية لهذا العمل الأدبي.

المقدمة:-

لقد أصبح النص الموازي في الشّعر العربي« من أهمّ العتبات النصية التي تستشرف حقول الدلالات،وتطلّ على ظلال المعاني وتألق العبارات »(درمش،2007،ص39)، فتتخطى بذلك أبعاد الزمن،من خلال كسر أفق توقع المتلقي من خلال النهوض بعبء التواصل الشّعري الذي ينتج عدادًا لا حصر له من العلامات اللّغوية للتعبير عن المطلق والممنوع في الأدب النسوي،فكان هذا الإبداع يُلزم المتلقي بتأويله دون الخروج عن طبيعة الإبداع المتعارف عليه،وهذا ما جعل« العنوان عتبة مهمة لسبر أغوار النص»(المنادي،2007،ص149)، بعيداً عن جميع أشكال التعسف الذهني الذي حجب دور الشعرية العربية في الإبداع تاريخيا.

في الحقيقة ظهرت العديد من التجارب الرائدة التي أضافت للحداثة الشعرية أسماء،وقامات شعرية تركت بصمتها على ساحة الأدب العربي كالشاعر: "بدر شاكر السياب ونازك الملائكة من العراق، ومحمود درويش وسميح القاسم من فلسطين، وفاروق شوشه، وأمل دنقل من مصر.،وغيرهم من الشعراء العرب عبر تجاربهم الشّعرية المثيرة للجدل,والتي حققت خرقًا شعريًا لم يكن معروفًا من قبل على مستوى أطروحات الكتابة الشعرية المرتبطة بماهية الشّعر العربي المعاصر ،وصورة المرأة في التجريب الشّعري.

1- التجربة النقدية في الشّعر العربي:

لقد بدأت عملية التجريب،ونقد الشّعر العربي منذ العصر الجاهلي خاصة بعدما خاض العديد من الشعراء تجربة الكتابة الشّعرية بتحدي صارخ ضدّ كل أشكال التهميش، والكراهية التي فرضها الواقع الاجتماعي والسياسي في فترة من الزمن،وبذلك كانت صوت المرأة حاضرة في كامل النماذج الشعرية العربية المعاصرة كمحفز أساس للشعرية العربية وللفروسية التي أرتبط بها الشاعر العربي في كل أزمنته التاريخية.

لقد بات حضور العنوان في الشّعر العربي المعاصر يعدّ عاملاً فاعلاً في تشكيل صورة مغايرة عن هوية المجتمع الذي ينبثق منه تدريجيًا« فهو النواة التي يمكن أن يتولد منها الخطاب »(المنادي،2007،ص153)،إذ تتحدد صوره في فهم التحولات،ومختلف المرجعيات التي بات يحملها هذا الشقّ من الأدب،ومدى قدرة التجربة العربية على تأصيله في حقل الشعرية،فالإنتاج الشعري الإنساني ليس وليد الصدفة،وإنّما هو عصارة تجربة رائدة في مجابهة الحياة بالدرجة الأولى،وهذا ماجسدته محاولات المبدع العربي دومًا للنهوض بغد أفضل حسب ما يتفق مع رؤاهم ومصالحهم،ولكن منذ أن بدأ الشاعر العربي بنشر قصائده في مختلف المجلاّت والدواوين الشعرية زاد عليه الحصار السياسي، والاجتماعي بشتى ممارساته،وأشكاله من أجل قهره ،وعدوله عن تخطي عتبة الإبداع الشعري.

1-1. قراءة العنوان في الشّعر العربي:

والمتتبع لجميع التطبيقات النقدية للعنوان في الشّعر العربي يجد أنّ« مسألةّ تطبيق المستويات الإجرائية لسانيا على عناوين النصوص الشعرية تبقى عملية معرفية معقّدة تختلف في تقنياتها من باحث لآخر، ومن المعلوم أنّ النصوص الأدبية كلها تقبل عملية التحليل اللّساني الذي يصبّ في دائرة النقد النصّاني »

(عامر،2011،ص43)،وعليه فقد بقي جلّ النقاد « يخوضون في مسألة أدوات الممارسة النقدية لأنّها لم تتأسس عند البعض منهم لاختلاف الرؤى والمشارب المعرفية عند كلّ ناقد ومن هنا كانت رؤيتنا لهذه الآليات النقدية تتمثل في الجمع بين ما هو لساني، وما هو فنّي جمالي» (عامر،2011،ص43)، وهذا لقراءة أوسع.

إنّ بين النص الشّعري وعنوانه « علاقة تكاملية،فالنص الشّعري يتكون من نصين يشيران إلى دلالة واحدة في تماثلهما مختلفة في قراءاتهما هما:(**النص وعنوانه**)،أحدهما مقيد موجز مكثف،والآخر طويل،ولعلّ صفحة كلّ غلاف تعطينا انطباعا يجعل من أغوار أيّ عمل إبداعي يعدّ نظامًا سيميائيًا له أبعاد دلالية،وأخرى رمزية» (المرسي،2000،ص24) تدفع بالباحث بتتبع سياقاته، ومحاولة فك جميع دلالاته التأويلية، لهذا يرى النقد المعاصر أنّ« العنوان والنص والإخراج الطباعي والإشارات والصور» (عامر،2011،ص43)، كلّها أجزاء أساسية في فهم الخطاب الأدبي وقراءته بالشكل الصحيح والمناسب،لهذا نجد أنّ كل من "**الطباعة واللّون والغلاف والعنوان عتبات**" أساسية« في تشكيل المادة الدالة للعنوان،والتي يمكن أن تكون منتسبة إلى اللّغة الطبيعية أو الاصطناعية أو الأيقونية » (المنادي،2007،ص153)،وتبقى عتبة العنوان النصي أهمّ منافذ النص المدروس .

طبعًا أصبح العنوان في الوقت الراهن عتبة هامة من عتبات النص« ستقود المتلقي/ القارئ إلى مركز الانفعالات وحركية الحياة في مسالك النص» (درمش،2007،ص40)، ونافذة يُولج منها الكاتب إلى عالمه الداخلي بكل دلالاته، وأبعاده ومستوياته، فحياة النص الشعري خاصة في بنيته الداخلية وعلائقه تماما كرسالة "**Message**" مشفرة بنظام حدد مفاتيحه المرسل "**l'émetteur**" إلى المتلقي"**le recpteur**" الذي أصبح يحاول« تأويل الخصائص الملازمة و العلائقية لنص ما،من خلال دمج مجموعة من الأفكار والمعاني في عبارة أو إشارة أو صورة منثوية تعبر عن نمط معين من الممارسات التي تجتاح النص وتكمن في مفاصله» (درمش،2007،ص41)، وهذا لا يتأتى إلاّ من خلال تحليل البنى التركيبية، والغوص في دلالاتها.

وبما أنّ النص الشّعري المعاصر هو نص له بنيته **الصورية/اللّغوية**،فهو ناقل لجميع تلك الصور الرمزية،والآهات الأنثوية التي تنبعث من عناوين نصوصه الشعرية الموزعة على مساحة المدونة،وذلك بإبراز أهمّ المنافذ الفكرية،والمعاني النقدية التي تنطلق منها الذات النّسوية،وهذا مايجعل العناوين الشّعرية النسوية تتفاوت« في معانيها وقدراتها التوصيلية،كما تتفاوت في قدراتها الدلالية وارتباطاتها بالمضمونات » (درمش،2007،ص42)، التي لم تنلها إلاّ بعد جهد كبير مكنها من الانطلاق نحو هذه التجربة المشوبة بالصعوبات.

وعليه إنّ العنوان في الشّعر العربي المعاصر يعدّ نافذة هامّة لقراءة النص الأدبي بكلّ دلالاته وأبعاده ومستوياته المختلفة،فقد بات« العتبة الأولى للنص، فهو العلو الفوقي له،إنّه البوابة الأولى التي يلج من خلالها المتلقي إلى عالم النص» (محمود،202،ص196)، وهو بذلك يمثل« واجهة علاماتية تأخذ شكل(الجملة المفتاح) تمارس على القارئ سلطة أبوية وفكرية،(..) يعمل القارئ على افتكاك بنيتها اللّغوية والدلالية باعتبارها الجملة المفتاح للنص» (صدوق،1994،ص36)، وهذا لا يتأتى إلاّ من خلال تحليل البنى:"**اللسانية والجمالية**" للعنوان الأدبي من خلال الدراسة النقدية التي يقدمها الناقد لمختلف مفاتيح العنوان وتجلياته الشّعرية،وهذا بعد الوقوف على مستويات العنوان العربي المعاصر عبر مختلف بنياته اللّغوية والجمالية والفلسفية.

طبعًا يؤدّي النص الموازي دورًا هامًا في عملية عرض المنتج الأدبي الذي يجد فيها عتبة حقيقية للوصول إلى العمق الدلالي للإبداع،ولعلّ هذه البنية الخارجية تمثل نقطة مركزية للمتلقي الذي يلتقط هذا العمل بروح التفاعل،والبحث عن كلّ ما يفكك شفراته ويبوح بدلالاته،وتراكيبه الخفية حتى يقدم له القراءة المناسبة, كما تُعدّ الأيقونة بمثابة النص الموازي (**الغلاف**) بكل ما يحمله من عنونة للمنتج وصورة الغلاف ولونه،ودلالة التركيب التي يقدمها للمتلقي،وهذا كلّه يكون بمثابة معادل لغوي للمنتج/النص الداخلي للعمل الإبداعي، أمّا مصطلح البنية الأيقونية فنجده قد انحدر في أصله التاريخي من اللّغة الإغريقية " **Eicon , eikona**"،ثم استعمل في اللّغة الروسية تحت لفظ "**IKONA**"،ثم استعمل في اللغة الإنجليزية عام1833م تحت لفظ "**ICONC**"،ثم استعمل أخيرا في اللغة الفرنسية عام1838م تحت لفظ"**ICONE**"،كما نجده يشير إلى الصور المقدسة للديانة المسيحية والتي قد طليت بها جدران الكنائس والكاتدرائيات،والأديرة،ومختلف دور العبادة للإشارة إلى أهمية الصورة في ثقافة الديانة المسيحية،خاصة صورة النبي عيسى عليه السلام،ومريم العذراء(مرتاض،2001،ص32) كنماذج أيقونية مقدّسة،وغيرها من الصور الموحية للتأمل الداخلي والخارجي وعليه،« إنّ التوزيع البصري للنص لم يعد اعتباطيا بوصفه بنية ذات قصد نصي ولم يعد عابرا بوصفه بنية دالة » (شيغدل،202،ص51) ، بل أصبح محركًا تأويليًا للنصوص .

2-1.أقسام النص الموازي:

لقد أصبح من الضروري الاهتمام بعتبات النص الشعري المعاصر، فهي أساسية لولوج عالم النص الأدبي وفتح مغاليقه، ومن هنا نجد أنّ النص الموازي « بأنماطه المتعددة ووظائفه المختلفة هو كل نصية شعرية أو نثرية تكون فيها العلاقة، مهما كانت خفية أو ظاهرة، بعيدة أو قريبة بين نص أصلي هو المتن, ونص آخر يقدم له أو يتخلله مثل العنوان المزيف والعنوان والمقدمة، والإهداء والتنبيهات والفاتحة، والملاحق والذيول والخلاصة، والهوامش، والصور، والنقوش (...)،والمتممات له مما ألحقه المؤلف أو الناشر أو الطابع داخل الكتاب أو خارجه مثل الشهادات والمحاورات والإعلانات وغيرها، سواء لبيان بواعث إبداعه وغاياته أو لإرشاد القارئ وتوجيهه حتى يضمن له القراءة المنتجة» (المطوي،1997،ص195)،وإذا تتبعنا النص الموازي نجده عبارة عن نصوص مجاورة ترافق النص في شكل عتبات، وملحقات قد تكون داخلية أو،خارجية لها عدة وظائف دلالية، وجمالية، وتداولية متنوعة ويعرفه" **سعيد يقطين**" بأنّه عبارة عن تلك « البنية النصية التي تشترك وبنية نصية أصلية في مقام وسياق معينين، وتجاورها محافظة على بنيتها كاملة ومستقلة، وهذه البنية النصية قد تكون شعرا أو نثرا، وقد تنتمي إلى خطابات عديدة، كما أنها قد تأتي هامشا أو تعليقا على مقطع سردي أو حوار» (يقطين،1989،ص99) ، أو ما شابه ذلك.

وينبغي الإشارة إلى أنّ النص الموازي بنية نصية جزئية يتم توظيفها داخل النص بغضِّ النظر عن سياقاتها الأصلية، ويشمل هذا النص عتبات، وملحقات تساعد على فهم خصوصية النص الأدبي وتحديد مقاصده الدلالية والتداولية ودراسة العلاقة الموجودة بينها وبين العمل، وهي محفل نصي قادر على إنتاج المعنى وتشكيل الدلالة من خلال عملية التفاعل النصي، لذا فللعتبات الدور التواصلي الهام الذي تلعبه في توجيه القراءة،

ورسم خطوطها الكبرى،حينها« يشكل العنوان فكرة مختزلة، تسمح بخلق تصور عام عن أفكار وممارسات منسجمة ومنظمة ضمن إطار شامل من الرؤية المعرفية والجمالية،ومن هذا المنطلق فإنّ العنوان يعدّ نصا منجزاً بذاته أولاً ،ويفضي إلى غيره ثانياً » (درمش،2007،ص43)، وبما أنّ العنوان أهمّ العتبات التي لابدّ من وجودها لكي نُطلّ من خلالها على فضاء النص، فلم يعدّ العنوان مرتبطًا بصورة« اختزال النص بل يمكن أن تكون العلاقة بين العنوان ونصه تقابلية أو انزياحية »(فريرة،2000،ص20) أو نجدها تكاملية في دلالاتها.

كما أنّ للنص الموازي(**العنوان**) وظيفتان؛ وظيفة جمالية تتمثل في تزيين الكتاب وتنميقه ووظيفة تداولية تكمن في استقطاب القارئ وإغوائه, بل إنّ المظهر الوظيفي لهذا النص المجاور يتلخص كما أشار"**جيرار جنيت**" في كونه « خطابا أساسيا،ومساعدا مسخرا لخدمة شيء آخر يثبت وجوده الحقيقي، وهو النص» (genette,1972,p16)،وهذا كله يكسبه قوة فعلية حقيقية « إنجازية وإخبارية باعتباره إرسالية موجهة إلى القراء أو الجمهور»(genette,1972,p15) ،إذن فللعتبات أهمية كبرى في فهم النص، وتأويله، ويمكن تقسيم النص الموازي إلى قسمين:

أ-النص الموازي الداخلي "Péritexte" :

وهو عبارة عن ملحقات نصية، وعتبات تتصل بالنص مباشرة، ويشمل كل ما ورد محيطا بالكتاب من الغلاف، والمؤلف، والعنوان، والإهداء، والمقتبسات، المقدمات، والهوامش،وغير ذلك مما حلله جنيت في الأحد عشر فصلا الأولى من كتابه «عتبات»(genette,1972,p10,11).

ب-النص الموازي الخارجي "Epitexte":

ونعني به « كلّ نص من غير النوع الأول مما يكون بينه وبين الكتاب بعدٌ فضائي, وفي أحيان كثيرة زماني أيضا،و يحمل صبغة إعلامية مثل الاستجوابات والمذكرات والشهادات والإعلانات،ويشمل الفصلين الأخيرين من كتاب جنيت» (المطوي،1997،ص196)، الذي سبق ذكره.

إنّ العلاقة بين العنوانين- **الرئيس/ الفرعي**- علاقة جدلية قائمة على التحاور من أجل إضاءة معالم النص الداخلي قصد استيعابه، وتأويله والإحاطة به من جميع الجوانب،« لذلك فإنّ العنوان هو منجز لغوي،له مفرداته وتراكيبه التي تصاغ في عبارة وشكل خاص تعطي صورة لغوية ملائمة له » (درمش،2007،ص43)، ولقد أهمل النقد الغربي،والعربي النص الموازي مدة طويلة،واكتفى الباحثون والدّارسون بالانكباب على النص الإبداعي الداخلي وأهملوا ما يحيط بهذا النص من هوامش، وفهارس وعناوين وإهداءات وصور أيقونية وما إلى ذلك،« فالكاتب ينطلق من رؤية معينة في صياغة عنوانه ورسم ملامحه التي تضفي عليه صفة من التوافق مع النص المومئ إليه »(درمش،2007،ص43)، فأهمية النص الموازي تتمثل في تحليل ما يحمله العنوان الإبداعي من دلالات تحيل إلى معنى النص.

وتبدو العتبات النصية « موضوعا جديرا بالاحتفال ومادة خصبة للنقد عموما والنقد الإيديولوجي بكيفية حصر،وذلك لسببين:أولهما يرتبط بأهميتها المحددة بمواقعها الإستراتيجية وبوظائفها وأدوارها،وثانيهما يعود إلى علاقتها النوعية بالعالم وبالنص الذي تنكتب على مشارفه وتشكل تخومه» (الأردي،1996،ص37)،وما يزال موضوع العتبات في الثقافة العربية القديمة في حاجة ماسة إلى من يسبر أغواره، ويعيد إليه النظر دراسة وتطبيقا، وحين متابعة الثقافة الأجنبية الغربية في تطورها،يلاحظ أنّ ما خصت به موضوع العتبات يمثل كمًّا علميًا معتبرًا خصوصًا وأنه بدأ يتضح بشكل نظري أكثر مع "**جيرار جنيت**" في كتابه "**عتبات Seuils**" حيث« قاربه نظريا وتطبيقيا»(الأردي،1996،ص37).

وبما أنّ النص الشّعري وسيلة استراتيجية لقراءة العنوان، وفهمه بالشكل الصحيح فلا بدّ أن تربطهما علاقة تكاملية،فهو« بمثابة الدال الإشاري للنص فهو كالاسم للشيء، به يعرف وبفضله يتداول،ويشار به ويدلّ عليه » (28)،فالنص الشعري يتكون من نصين يشيران إلى دلالة واحدة في تماثلهما مختلفة في قراءاتهما،أولهما:(**العنوان**) نجده مرمّز/ قصير وثانيهما:(**العنوان**) مركب/طويل،يحتاج للتأويل بشكل سليم،.

والباحث في مجال الشّعر العربي المعاصر يجد تبلور العنونة فيه لأكثر من رؤية إبداعية؛ لعلّ أهمها هي اعتزاز الذات الشعرية العربية بكينونتها المتمردة« فيستقل النص بمظهره الإستلابي ضمن حدود التعامل الغريزي،أي أنّه يمثل وحدة ثقافية بمختلف مرجعياتها داخل الأمشاج الإيديولوجية التي أرست دعائمها عادات المجتمع وتقاليده » (درمش،2007،ص61)،،من خلال صوته المتمرد الذي لا يكترث بوجود المعارض له,ما يوقِع التصادم بين الشاعر والمتلقي خاصة إذا كان عنوان الخطاب الشعري لافتًا للانتباه مما يدفع بالمتلقى للولوج إلى عوالمه الخفية،فالعنوان إذن فاتحة الخطاب،وعتبته الأولى النصية،كما نجده« أوّل مفتاح إجرائي تفتتح به مغاليق النص كونه علامة سيميوطيقية تضمن لنا تفكيك النص وضبط انسجامه فهو المحور الذي يتوالد ويتنامى» (مفتاح،1987،ص72)، ويتطور بشكل تدريجي ليعيد إنتاج نفسه.

2- عتبات النص الموازي في ديوان قالت الوردة

يرى السّيميولوجيون أنّ عتبة « العنوان والنص والإخراج الطباعي والإشارات والصور» (المرسي،2000،ص33) ،أجزاء لا تتجزأ من الخطاب الأدبي، وهذه الرموز اللّغوية المميزة لكل عمل إبداعي،لها سطوة الحضور المميز لشكل الديوان الشّعري،وهذا ما يزيد من صفة الإغراء والتحفيز للمتلقي قصد اقتنائه أولا ثم قراءته ونقده ثانيا ,لما للنقد من أهمية أساسية في الولوج إلى جسد هذا الإنتاج"**Production**"، وذلك من خلال تقديم قراءة تأويلية أولى له تعكس انطباع المتلقي للمنتوج، وتقديم مفاتيح آنية تعكس التطلعات والأهداف من خلال دراسة ديوان الشاعر "**عثمان لوصيف**" الموسوم بـ – **قالت الوردة**- ،والتي يقف البحث عندها من خلال تقديم قراءة للنصوص الموازية التي تتدرج في مدونتها الشعرية من خلال استنطاق بنية (**النصوص الموازية الخارجية والداخلية**).

2-1,العتبات الخارجية (الصورة الهندسية للغلاف):

إنّ العتبات النصية التي تتموضع في مدونة الشاعر – **عثمان لوصيف**- من خلال صورة ثابتة تمتد من« صفحة الغلاف الأولى "Premiére page couverture" ويمكن أن نسميها كذلك:صفحة العنوان " page de titre" حيث يتموقع العنوان على رأس الصفحة "Tête depage" أو وجه الغلاف» (أشهبون،2009،ص45، 46)، وهذه العتبات تشكل بعدًا جماليًا في مدونه الشاعر (**عثمان لوصيف**) بداية بإهداء النسخة،إذ يعدّ« من بين العتبات النصية التي لم يعرها الخطاب النقدي العربي بالاً عبر الزمان والمكان، فالإهداء ممارسة اجتماعية داخل الحياة الأدبية » (أشهبون،2009،ص199)، ،ويتنوع الإهداء عبر مراحله المتنوعة من مبدع لآخر،فهو« قد يرد على شاكلة اعتراف وامتنان،شكر وتقدير،رجاء والتماس...إلى غير ذلك من الصيغ الإهدائية التي يؤدي فيها البعد الوجداني، الحماسي والحميم الدور المميز» (أشهبون،2009،ص199)، أمّا صورة المقدمة فهي ذلك المنعطف الأخير الذي يصل منه المتلقي إلى فهم معاني الإبداع ، فتكون « المقدمة بمثابة بوصلة موجهة، يهتدي بواسطتها القارئ إلى القراءة الجيدة التي تجنبه كلّ شطط التأويل والتقدير،لأنها عادة ما توجه القراءة، رغم أنها قد تكون مساعدة على تفكيك وتركيب المتن المقروء » (أشهبون،2009،ص74)، وعليه تبقى هذه العتبات النصية منطلقات أساسية في عملية صناعة الإبداع الأدبي.

تتكون مدونة "**قالت الوردة**" من غلاف أملس السطح على الواجهتين الفوقية والسفلية حيث كان طول الغلاف إلى (**17.50 سم**)، أمّا عرضه فوصل إلى (**11.50 سم**)،والسمك وصل إلى (**0,5 سم**)،لقد كتب على واجهته الأولى (**الفوقية**) اسم الشاعر (**عثمان لوصيف**) بلون أسود داكن من جهة اليسار ،ثم أسفله مباشرة يأتي عنوان المدونة بلون بني ممزوج بالأسود غليظ ،لتأتي بعدها في أعلى الغلاف صور لكواكب المجموعة الشمسية تسبح وسطهم وردة حمراء لتعبر عن إشراقة المنظر ، ثم من جهة الوسط في أسفل واجهة الغلاف نجد كلمة شعر وسط إطار باللّون الأبيض لتدل على نوع الجنس الإبداعي بلون أسود بالخط العثماني .

أمّا عن الواجهة الخلفية فنجد في أعلاها من جهة اليسار صورة فوتوغرافية للراحل الشعر (**عثمان لوصيف**) رحمه الله ينظر إلى الأفق البعيد محملاً بالأمل وسط واحة من نخيل مدينة بسكرة ، أمّا في نصف الغلاف المتبقى من جهة اليسار، فنجد أنّ اسم الشاعر قد كُتِبَ باللّون الأسود، وفي أسفله عبارة (**صدر للشاعر**) وهي الدواوين الشعرية التي صدرت للشاعر من سنة **1982م** إلى غاية سنة**2000**م وهي حوالي (**17**) ديوانًا شعريًا أسطر شعرية بدايته كانت بديوان (**الكتابة بالنار**)سنة**1982**م ونهايتها بديوان (**قالت الوردة**) سنة**2000**م

وإذا ما أخذنا ذاك التضايف الزمكاني بين نوعية كتابة عنوان الديوان وشكل الرسم المجسد في لوحة الغلاف فلابدّ من تعديل ما سيطرأ على قراءتنا للنصوص،وعناوينها الفرعية داخل المدونة نتيجة تلك الكينونة المزدوجة،وهذا ما يفسر ظهور الكتابة المحاكية للصور قديمًا قبل الكتابة التي تعتمد الرموز الصورية،فالصورة/اللوحة المصاحبة للغلاف نجدها عادة ما تكون أكثر التصاقًا بالواقع،وأكثر قدرةً على التعبير عنه لأنّها تتميز بجانب مادي ملموس على خلاف العلامة اللّغوية،لهذا كانت الجدلية المتحققة جرّاء تقديم لوحة الغلاف للمنتوج الإبداعي تحقق انتماءها للجنس الأدبي المعروض أمام المتلقي،وخاصة إن كان الإبداع شعرًا .

-جدول توضحي لصورة غلاف مدونة(غيوم الشوق لم تمطر) الشكل رقم 01-

عنوان المدونة	اسم الشاعر	دار النشر- البلد	سنة النشر	صورة لغلاف المدونة
قالت الوردة	عثمان لوصيف	منشورات دار هومه- الجزائر	سنة ٢٠٠٠م	

أ- العنوان الرئيس للمدونة:

لقد كُتب العنوان الرئيس للمدونة باللّون الأحمر بخط غليظ من الحجم الكبير بسمك يقدر بـ (**0,5** سم) وسط غلاف المدونة الشّعرية،وهو مقسم إلى جزئين في نفس السطر ،وهذا مقطع تمثيلي يصور هذا العنوان:

-مقطع توضحي لعنوان المدونة- الشكل رقم 02-

وأثناء دراستنا لغلاف ديوان "**قالت الوردة**" نشير إلى أنّ المبدع – **عثمان لوصيف**– شاعر جزائري صاحب تجربة شعرية مكنته من سرد كلّ معانات المبدع- النفسية من قهر وآلام- داخل المنظومة الإجتماعية،حيث نجده قسم مدونته إلى مقاطع ثلاثة ،هي: مقطع لـ (**اسم الشّاعر**) الذي كان بلون أسود داكن (**عثمان لوصيف**) يدّل على صورة لألم الذي أصبح يعيشه الشّاعر،،ثم يليه مقطع لـ (**عنوان المدونة**) في وسط الغلاف، وقد كان بلون بني بخط غليظ يبدأ المقطع الأوّل منه بلفظتين (**قالت**) التي تحمل في طياتها شحنات عاطفية كبيرة تبحث عن بصيص أمل في الحياة، وعين حيرة وفضول كبير حول ماذا (**قالت؟**)،أمّا في المقطع الثاني من العنوان تلحق به لفظة (**الوردة**) وهي جملة تدل على الجواب الذي طرح في الشق الأول من العنوان ضمنيًا،وهذا دليل على التطلع إلى المشاعر الصادقة وسط هذا القحط، والجفاف ،وخيبة الأمل التي أصابت وجدانه.

وأخيرًا يأتي مقطع (**البورتريه**)،إذ تتوحد لغة العنوان بلغة الصورة الموجودة في وسط الغلاف من خلال صورة فوتوغرافية لـ (**المجموعة الشمسية**) تتوسطها صورة(**وردة جمراء**) جميلة ، تسبح وسط المجموعة الشمسية متجهة تبحث عن الاهتمام ، وكأنه يريد من المتلقي أن يفهم علاقة انكسار المشاعر ووجدان هذه

الأشواق التي تلاشت وضاعت بين الشوق لهذا الحبيبة، ونظرة تلك المرأة المجروحة في مشاعرها نحوه، فهي تريد البوح له بكلّ تلك المشاعر،والآهات الدفينة في صورة الوردة الحمراء، فتتوحد مع لغة الحروف لتشكل في النهائية نغمة حزينة مملوءة بالحسرة والأسى على ضياع وفقدان هذا الأمل, لينتشر ألمها على كامل عناوين قصائدها الشّعرية، ثم يأتي الشق الثاني من(**البورتريه خلف الغلاف**) من خلال (**صورة الشاعر**) بيضاء جامحة تعدو وسط هذا العنفوان كله بحثًا عن أمل، ولعل كلتا الصورتين تعكسان الحالة النفسية لحالة الشوق والشجن للنفس البشرية عمومًا بين الأمل، واليأس،،فالوردة هي معادل موضوعي لامرأة مجروحة تنتظر قدوم حبيبها،وفي الوقت نفسه نجدها مترددة من فقدان هذا الأمل للأبد،لقد كان عنوان الشاعر (**عثمان لوصيف**) بمثابة صرخة أنثوية لواقع المرأة المرير الذي بات مهدّدا بالضياع، والاندثار النفسي فالحبيب الذي بات **غائبًا/مغيّبًا** في الواقع أصبح وجوده حقيقة في ذات الشاعر ،وفي صفحات مدونته الشّعرية التي تحكي عن الحضور الفعلي/اللّغوي لهذا الحبيب الذي يمثل طيف لهذا النموذج،والذي لايمكن للمرأة إلاّ أن تكتمل به **ذاتيًا/ لغويًا/ فكريًا**.

كما إنّ الصورة الفوتوغرافية الموظفة على وجه غلاف المدونة الخلفية تمثل بورتريه لـ (**لصورة الشاعر**) حزينة وشاحبة تنتظر الرجاء في الحياة،وبما أنّ هذا البورتريه « يتمم رسالة الصورة- والتي تكمن في تخليد اللّحظة» (أومون،2013،ص298)، الحالمة لتحقيق التكامل الفكري والشعوري مع الذات الشاعرة، فصورة البورتريه هنا حققت نوعا من التوازن الفنّي بين لغة الصورة ولغة الأحرف التي قد تشاكلت في آهات الشاعر- **عثمان لوصيف**- معلنًا عن ميلاد لحظة التأسيس لكيانه الإبداعي؛كشاعر لها منطلقاته الفنية نحو عالم النظم الشعري،ليعطيها في النهاية هويته المشروعة في اكتمال صورته التي لم تكتمل في واجهة الغلاف،وفي مخيلة المتلقي،ذلك أنّ« موضوع الذات المنقسمة والمنشقة،و التوق إلى الاكتمال هو ينبوع مهم للإبداع الأنثوي الذي يسيطر على روح الشاعر الحديثة» (خميس،1997،ص18)،وبما أنّ– عثمان لوصيف- أراد أن تنقل تلك التمزقات في جسد الإبداع من خلال المزج بين لغة الذات،ولغة الصوت،ولغة الصورة،فقد توصل إلى رسمها في مخيال المتلقي من خلال الصورة (**الرومانسية**) للذات الحالمة في ديون (**فالت الوردة**) فهذا التدرج لم يكن إلاّ تجربة شعورية أراد الشاعر تبليغها للمتلقي الأنثى،بأنّ تجربته الشّعرية قد نضجت كما اكتمل وجدانه،ولا داعي لوصايته عليها،فهي امرأة قادرة على تخطي جميع العقبات .

ب-الصورة المصاحبة للغلاف: هي صور جرا فكية صممتها دار هومة للنشر والتوزيع مقسمة إلى صورتين متقابلتين على صفحة الغلاف كما هو موضحٌ في الشكل الآتي :

-(صورة غرافكية للصورة المصاحبة للغلاف)-الشكل رقم 02

صورة وجه الشاعر	صورة وردة حمـــراء

وهذه الصور/اللّوحة الطباعية المصاحبة لواجهة كلّ ديوان شعري نسوي« تتجلى في بديهيتها وكثافتها وحضورها الكاسح» (البستاني،2002،ص42)،حيث نجدها قد جسّدت فعلاً دور الصورة في نقل البعض من لغة الإبداع للمتلقي الذي يبحث عن تفسيرات لكلّ شيء في لغة المبدِع وبما أنّ المرأة قد تخطت كلّ تلك المثبطات التي كانت تحاصر تجربتها الفتية في عالم الشعر، فقد زادها هذا جرأة وتصميما على تخطي كلّ تلك المعضلات التي كانت تحاول قهر ولوجها إلى عالم الإبداع،وما لغة الصور التي كانت تصاحب كلّ ديوان شعري نسوي إلاّ صرخة نسوية عن كلّ مابات يهدد لغة إبداعها الشّعري،ويريد النيل من كيانها.

وعليه كانت الصورة المصاحبة في واجهة كلّ مدونة شعرية تمثل استفزازًا صريحًا للمتلقي لكونها أصبحت موجودةً كلغة،وصورة ،وفكر،ويجب الاعتراف بها دون خجل أو وجل ، فهي كيان له صورته ووجوده الجسدي، والفكري فرضه الواقع الأدبي الذي أُقصيَ منه « بسبب الحصار الثقافي والاجتماعي وتقسيم الأدوار التي منحت الرجل الزمن وحرية التجريب لكي يكون مبدعًا كبيرًا» (البستاني،2002،ص20)،ولم يسمح له بالخروج إلى العلن، إلاّ مع بعض النماذج الشّعرية العليا التي سمح لها المجتمع بالبروز استجابة لرغبة تتحقق من ورائها ذات المجتمع على حساب نظرة الإبداع الشعري الذي تبقى تجربته في تباين حبيسة أنفاس المجتمع،ورغباته.

2-2. عتبة العناوين الداخلية:

إنّ عتبة العناوين الداخلية في المدونات الأدبية نجدها عادة تمثل مفاتيح ثانية لقراءة المدونة بشكل مباشر،وغير مباشر لكونها باتت تمثل الصورة الخفية لما تحمله من غموض، وتصور يحتاج إلى قراءة واعية تمكن القارئ من التغلغل التدريجي وسط بنية النص بجرأة من أجل الوصول إلى التأويل السليم للنص دون مغالاة، وعليه تشتمل العتبات الداخلية للمدونة غالبًا على معلومات أساسية تتموضع بين الصفحات التي تقع بين الغلاف بواجهتيه الخارجية والداخلية،و متون القصائد،و هي موضحة في الديوان كالآتي:

***- أولاً- العنوان المزيف:**

هو عنوان بذات صيغة العنوان الرئيسي، ويكون بعده مباشرة وهو« اختصار وترديد له ,ووظيفته تأكيد وتعزيز العنوان الحقيقي» (المطوي،1999،ص475) ، أمّا موقعه من الكتاب عادة فبعد واجهة الغلاف في أول صفحة ،ويقوم بمهمة تعويض العنوان الرئيسي في حال ضياع الغلاف والملاحظ في ديوان **(قالت الوردة)** تخصيص الصفحة الأولى كاملة للعنوان المزيف،وقد كتب طوليًا من اليمين إلى اليسار وسط صفحة الغلاف،كدعوة لقراءة ثانية مغايرة لدلالات العنوان لتكون كلمة"**قالت**" أول العلامات اللّغوية تمركزًا على المستوى الأعلى من الفضاء الطباعي، وهو أمر طبيعي للسؤال الذي يجب أن تستقطبه المساحات العلوية البارزة، والذي يبحث عن إجابة واضحة ،لترد بعده مباشرة كلمة **"الوردة"** وهي كلمة مفتاحية توحي فعلا بالتيه و التأرجح الدلالي،و هذا ما يتكشف من خلال قراءة المتون الشّعرية في الديوان،والشكل الآتي يشير إلى ذلك:

- صورة توضحية لمكونة الغلاف المزيف- الشكل رقم 03 -

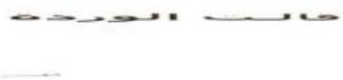

***- ثانيًا- الإهداء:**

يرفق كثير من الأدباء نصوصهم الإبداعية بذكر الإهداء باعتباره نصًا موازيًا للعمل الأدبي فيقدم النص ويعليه، ويؤطّر المعنى ويوجهه سلفًا، لأنّ« عتبة الإهداء تقوم بتحديد خصوصية ونوعية المرسل إليه متجاوزة الوظيفة التجميلية والاقتصادية إلى الالتحام برؤية الشّاعر»(الصفراني،2008،ص52) كما يعتقد بعض النقاد والمبدعين أن الإهداء علامة لغوية لا قيمة لها غير أنّ الشّعرية النقدية الحديثة أعادت الاعتبار لكل النصوص المصاحبة، والعتبات المحيطة بالإبداع أو ما يسمى "**بالنص الموازي**"،وبات من الضروري الوقوف عنده.

هذا و إنّ ظاهرة الإهداء حسبما صرح به النقاد والفلاسفة « تعود على الأقل إلى الإمبراطورية الرومانية فقد عثر الباحثون على نصوص وأعمال شعرية مقترنة بإهداءات »(حمداوي،/pulpit.alwatanvoice.com/articles/2006) ، ومع مرور الزمن أصبح الإهداء تقليدًا أدبيًا، ومنهجيًا وحتى خلقيًا في النصوص الإبداعية الشّعرية أو النثرية منها، إذ عرفه الشّعر العربي القديم، فكان الشّعراء يهدون قصائدهم إلى الأمراء والملوك والخلفاء طلبًا للتكسب، أو مدحًا خالصًا، أمّا في شعرنا الحديث، والمعاصر فأصبح يحمل دلالات مغايرة تمامًا إذْ يُقدم لرموزٍ سياسية أو اجتماعية، أو لأشخاص عاديين أو مجهولين، وبذلك« بات يدل على عقد ضمني بين مضمون الخطاب الشعري »(حمداوي،/pulpit.alwatanvoice.com/articles/2006) ،ويعدّ الإهداء بمثابة كتابة رقيقة قد تكون نثرية، أو شعرية تقريرية،أو إيحائية إلى المُهدَى إليه الذي قد يكون فردًا معروفًا أو مجهولاً، وقد توصلت الدّراسة إلى تقسيمٍ لأنواع الإهداء بحسب العلاقة بين الكاتب، والمتلقي كما يلي:

أ-الإهداء الذاتي: يقوم الأديب بتوجيهه إلى نفسه,أو إلى أحد المقربين إليه.

ب-الإهداء الشخصي: يوجهه الأديب عادة إلى شخص معروف كثيرا أو قليلا.

ج-إهداء العمل: يُوجه بشكل عام بطابع رمزي.

د- إهداء النسخة: عندما يحمل توقيع المؤلف المباشر سواء اقترن بالكتاب أم بالمخطوط،وهذا فعل حميمي، وتواصلي خاص يحمل دلالة من نوع خاص.وغالبًا ما يكون الإهداء في بداية العمل الأدبي مقترنًا بصفة التقديم أو محاذيًا للعنوان الخارجي للديوان أو حاشية فرعية لعنوان النص الداخلي أو يكون نفسه عنوانًا ،ويرد الإهداء في شكل جملة أو نص أدبي قصير يتضمن عناصر التواصل الأساسية "**من مرسل، مرسل إليه، رسالة، مرجع، قناة، ولغة التشفير**"، وقد يكون نصًا قصيرًا، أو نصًا طويلاً ،والإهداء في عمومه لا يخرج عن عناصر هي:**1-المُهدِي.2-المُهدَى إليه.3-أسباب الإهداء.4- صيغة الإهداء.5- توقيع المهدي6- زمان الإهداء ومكانه.**

إنّ علاقة الإهداء بالمدونة أو عناوينها الداخلية تكون إمّا علاقة مباشرة، أو غير مباشرة عبر مجموعة من العلاقات الدلالية كالإحالة، أو الإيحاء أو الترميز، وهذا ما يعطي للإهداء وظائف نصيّة وتداولية، كالوظيفة الاجتماعية (التواصل بين الأصدقاء أو أفراد العائلة)، أو وظيفة اقتصادية (رعاية العمل الأدبي وتمويله ماديا) أو وظيفة سياقية تساعد الناقد والقارئ على تذوق النص، وعندما ننتقل إلى مدونة الشّاعر "**عثمان لوصيف**" – **قالت الوردة**- فإنّنا نجد الإهداء عندها يتشكل كالآتي:

أ. **الإهداء الذاتي "auto dédicace":وهو إهداء يأتي بعد المقدمة مباشرة، وهو غير متوفر في المدونة للشاعر الجزائري عثمان لوصيف.**

ب.**الإهداء الشخصي "dédicace personnalisée"**:يوجه« إلى شخصيات ذات علاقة حميمية بالمؤلف من مثل الأب، الأم، الزوج، الحبيب، الأصدقاء» (درمش،2007،ص76، 77) وقد وجهت الشاعرة مجموعة من الإهداءات إلى أشخاص تكن لهم كلّ التقدير والاحترام لما قدموه لها من خدمات جليلة،وهي شخصية (**مارغريت أوبنك**)، كاتبة بريطانية، وهذا ما يظهر في الجدول الآتي:

-جدول توضيحي لصيغة الإهداء الشخصي – الشكل رقم 04-

صيغة الإهداء	المُهدَى إليه	نوع الإهداء	طبيعة الإهداء	بنية الإهداء	الصفحة
الإهداء : إلى مارغريت أوبنك شعاعا روحانيا و جسرا خيريا للتواصل الخلاق و الحضاري بين الشرق و الغرب و الجنوب و الشمال من أجل الإنسانية و مستقبل الإنسانية. عثمان لوصيف	إلى الكاتبة مارغريت أوبنك	إهداء شخصي	ذاتي	جملة	٠٣

جـ **إهداء النسخة"la dédicace d'exempaire"**: وهذا ما نجده في بداية الصفحة الأولى من كلّ غلاف، حيث حمل فيه المبدع عبارة جمعية تواصلية من المُهدِي – **الشّاعر عثمان لوصيف**-إلى المُهدَى إليه – (إلى الطالبة المحترمة: **نسيمة كريبع** -مع توقيعه على المدونة بتاريخ 08-05-2005، وقد جاءت العبارة كالآتي:

-جدول توضيحي لصيغة إهداء النسخة- الشكل رقم 05-

المُهدِي	المُهدَى إليه	صيغة الإهـــداء
الشّاعر عثمان لوصيف	الطالبة نسيمة كريبع	

وعليه فالإهداء عتبة ضرورية لفهم النص وإعادة تركيبه،« عتبة نصية لا تنفصل دلالتها عن دلالة العنوان،أو اسم المؤلف،أو غيرها من عتبات النص،فهي عبارة عن إشارات دلالية ذات خاصية موازية لخاصية العنوان،أو النص،أو المؤَلف» (درمش،2007،ص77) لأنّه في سياق المدونة ونصوصها الشّعرية يبرز دلالتها الإيحائية والمرجعية، كما أنّه مدخل أساسي لاستيعاب مضامين القول الشّعري، وتحديد دواعيه وبواعثه، والإهداء ليس عتبةً شكليةً مجانيةً، بل لها أبعاد دلالية، وتداولية توجهنا في مقاربة النص الشّعري المعاصر وتأويله،إنّه« عتبة نصية لاتخلو من قصدية في اختيار المهدي إليه/إليهم وكذلك عتبات الإهداء » (genette,1972,p64)،وقد حصر البحث عناوين المدونة في ثلاثة إهداءات اشتغلت عليها الشّاعرة وهي:(**الإهداء الذاتي،إهداء النسخة،الإهداء الشخصي**).

***- ثالثًا- جهة النشر:**

-صورة توضيحية حول دار النشر – الشكل رقم 06 -

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

طبع بمطبعة دار هومه

الجزائر 2000

رقم الإيداع القانوني

2000/503

هذا وقد تضمّنت الصفحة الأولى للجهة الخلفية للعنوان المزيف للمدونة تفاصيل النشر؛حيث كانت البداية مع كتابة غليظة تحمل عبارة (**جميع الحقوق محفوظة**) في أعلى الصفحة ثم تأتي بيانات المدونة الشّعرية:

- ✓ - **عنوان الكتاب: قالت الوردة.**
- ✓ - **المؤلّف: عثمان لوصيف.**
- ✓ - **الناشر: دارهومه للنشروالتوزيع -الجزائر.**
- ✓ - **رقم الإيداع: 503 /2000.**

حيث من الممكن أن تفيد هذه المعلومات مسألة الحضور الثقافي المميز للشاعر(عثمان لوصيف)، وحقوقه كمؤلف صاحب هذا العمل على مستوى الإنتاج الأدبي من جهة ،و من جهة أخرى قضية توفر الديوان في عدد من المكتبات الحكومية، والدولية بمعنى سهولة تسويقه،ما يسمح بإخضاعه للدّراسات النقدية المتعددة نظرًا لتميزه اللّغوي والشكلي و الدلالي.

***- النتائج :**

لقد عدد ت الدراسة بعض من النتائج التي يمكن للباحث في مجال دراسة النصوص الموازية من التركيز عليها أثناء التحليل النقدي نذكر منها الآتي:

1- إنّ النصوص الموازية تحمل في طياتها العديد من العتبات النقدية،وعلى الباحث أن يكون دقيقًا في تصنيفها ،وتحليلها.

2- كل النصوص الموازية تتكون من عتبات متعددة منها: عتبة الغلاف- عتبة العنوان- عتبة الإهداء- عتبة المقدمة – عتبة الفهرس – عتبة العناوين المصاحبة للعنوان الرئيس كما عبر عنها جيرار جينيت في كتابه (**عتبات Seuil**).

3- جميع النصوص الموازية بحاجة ماسة لدراسة جادة،ومنهج نصاني لكي تكون المقاربة واضحة وجليّة.

في الختام نجد أنّ الشاعر الجزائري (**عثمان لوصيف**) قد شكل نقطة تحول كبير في الشّعرية العربية بعدما قدم صورة عن معاناة المبدع العربي(الجزائر)، وما كابده من مشاعر الشّوق ولهيب الآه ولغة العشق التي لم تطأ أرضه رغم صرخات الوصل، والحنين التي كان يبثها في شعره تدريجيًا نحو الأنثى (**الوردة**) الحاضرة/الغائبة في لغته، وشعره يبحث عن كينونته من خلالها،وتبقى هذه التجربة الشّعرية للمبدع بمثابة انطلاقة أخرى في عوالم النظم بكل تشكالاته، وصوره الموشّحة، وصوره الموشّحة بطعم الإغراء تارةً ، والآه تارة آخرة.

فهرس المراجع:

1)الأزدي،عبد الجليل،**عتبات الموت (قراءة في هوامش وليمة لأعشاب البحر)**،مجلة فضاءات،ع 32،المغرب،1996 .

2) أومون، جاك،**الصورة**،ترجمة الخوري ريتا،ط1،لبنان، منشورات المنظمة العربية للترجمة،2013 .

3) أشهبون،عبد المالك،**عتبات الكتابة الروائية**،ط1، سوريا،دار الحوار للنشر والتوزيع،2009 .

4) بازي،محمد،**العنوان في الثقافة العربية(التشكيل والتأويل)**،ط1،الجزائر،منشورات الاختلاف،2012 .

5)البستاني، بشرى،**قراءات في النص الشعري الحديث**،ط1،لبنان،دار الكتاب العربي،2002 .

6) درمش،باسمة،**عتبات النص**، مجلة علامات في النقد ،ج61،مج16، ط1، السعودية،النادي الأدبي الثقافي،.2007

7) حمداوي،جميل، **مقاربة الإهداء في شعرعبد الرحمان بوعلي**،

http://www.al-watan voice.com/arabic/phlipt.php ?go=show &id=64118

9) يقطين،سعيد، **انفتاح النص الروائي**،ط1، المغرب، المركز الثقافي العربي للنشر،1989 .

10) لخذاري،مونية،**غيوم الشوق لم تمطر**،ط1،الجزائر،دار الشيماء للنشر والتوزيع،2016.

11)محمود، إبراهيم، **جماليات الصمت في أصل المحكي والمكبوت**،ط1، سوريا،مركز الإنماء العربي،2002 .

12)المطوي،محمد الهادي، **في التعالق النصي والمتعاليات النصية**،المجلة العربية للثقافة ،ع32 ،تونس،منشورات المجلة العربية،1997 .

13)المطوي،محمد الهادي، **شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق**، مجلة عالم الفكر،مج28،ع01،الكويت،منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1999.

14) المنادي،أحمد، **النص الموازي(آفاق المعنى خارج النص)**، مجلة علامات في النقد ،ج61،مج16، السعودية،النادي الأدبي الثقافي،2007 .

15)المرسي،خليل، **قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر**،ط1، سوريا، منشورات إتحاد الكتاب العرب،2000.

16) مرتاض،عبد المالك، التحليل السيميائي للخطاب الشعري(تحليل مستوياتي لقصيدة شناشيل ابنه الجلبي)،ط1، الجزائر،دار الكتاب العربي، 2001 .

17) مفتاح،محمد،**دينامية النص**،ط1،المغرب،المركز الثقافي العربي،1987.

18) عامر، رضا،**آلية قراءة النص الشعري التراثي في ضوء المنهج النقدي السيميائي**، مجلة الواحات،ع13، الجزائر، منشورات جامعة غرداية، 2011 .

19)فريرة،توفيق، **كيف أشرح النص الأدبي**،ط1، تونس، دار قرطاج، 2000 .

20) صدوق، نور الدين، **البداية في النص الروائي**،ط1، سوريا،دار الحوار،1994 .

21)الصقراني،محمد،**التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث (1950-2004)**،ط1،لبنان،المركز الثقافي العربي،2008 .

22) شولز، روبرت،**سيمياء النص الشعري(اللغة والخطاب الأدبي)**،ترجمة الغذامي سعيد،ط1،المغرب، المركز الثقافي العربي،1993 .

23) شيغدل، كريم،الشعر والفنون (دراسة في أنماط التداخل)،ط1،ليبيا،دار سموع للطباعة والنشر ،2002 .

24) خميس،ظبية، **الذات الأنثوية من خلال شاعرات حدثيات في الخليج العربي**،ط1،لبنان،دار الهدى للثقافة والنشر،1997.

25) Gérard Genette, Figures III, Paris, edition Seuil, 1972 .

شط العرب في العصور القديمة (النشأة والتاريخ)

الأستاذ الدكتور : عادل هاشم علي
جامعة البصرة/ كلية الاداب

الملخص:-

يرتبط الحديث عن تاريخ تكوين شط العرب بمجموعة من الأنهار التاريخية التي تنحدر في جنوب بلاد الرافدين من أقدم العصور فضلاً عن مسميات جغرافية وتاريخية أخرى أرتبط وجودها على المجرى المائي لتجمعات أنهار وبحيرات وأهوار شمال البصرة والتي شكلت تدريجياً قناة شط العرب المتصلة بمياه الخليج العربي. لذا فأن من الضرورة التطرق الى عرض تاريخي موجز عن الممرات المائية التي تشكل فيها شط العرب تدريجياً ، والجدير بالذكر أن شط العرب لم يكن موجود حتى القرن الرابع قبل الميلاد بالشكل الذي هو عليه الآن ، وهذا ما سيتم عرضهُ تباعاً .

المقدمة:-

تاريخياً كانت مناطق شمال البصرة مناطق مستنقعات و مسطحات مائية ترتبط بمياه الخليج, ورجوعاً الى الألف الرابع قبل الميلاد كانت مدينة أور التاريخية تسمى ميناء بلاد سومر[1] حيث كانت تنطلق منها السفن نحو دلمون (البحرين) ومگان (عمان)، وبهذا التاريخ (3500 ق.م) لم يكن شط العرب قد وجد فعلاً لعدم وجود الممر المائي المناسب له ؛ أضف الى ذلك أن الدراسات الملاحية والتاريخية الحديثة أشارت الى معدل تقدم الغرين المحمول من دجلة والفرات كان حوالي 16 كم كل 70 عام [2] أي أن دلتا أو رأس الخليج العربي أخذ يتراجع تدريجاً حتى ظهرت الممرات والأنهار في مناطق شمال البصرة والتي بدورها تظافرت وعملت على تكوين شط العرب .

أرتبط ظهور شط العرب بنهر دجلة والفرات بمختلف المجاري التي أتخذها من جنوب القرنة حالياً حيث كان يسير الى جانب الكارون (يولايوس= الكرخة) وارتبطا معاً عن طريق الممر المائي المعروف تاريخياً بقناة الحفار[3] .

أول المصادر التي أمدتنا بمعلومات وافية عن الممرات المائية في أقصى جنوب بلاد الرافدين (شمال البصرة حالياً) هي المصادر الكلاسيكية الإغريقية ، حيث يذكر المؤرخ اليوناني أريان في أنباسة الإسكندر(القرن الثاني الميلادي) أن القائد البحري (نيارخوس) عندما عاد من الهند عن طريق البحر والخليج العربي وصل الى جنوب العراق حيث مصب الفرات في فم الخليج بالقرب من مدينة تريدون(البابلية) [4] ثم توجه بأسطوله يريد الوصول الى مدينة الشوش في بلاد فارس عن طريق تحويله من مصب الفرات الى البحيرات الكلدانية التي يصب فيها دجلة ومنها الى نهر الكارون وصولاً الى الشوش [5]، هذه الأنهار في اعلاه لم تكن تمثل المجاري المائية الحالية بسبب تبدلات مجاري تلك الأنهار ومسمياتها فضلاً عن انحسار جزء كبير من ساحل الخليج العربي ، لذا فأن تغير مجاري تلك الأنهار قديماً تظهر لنا تصوراً واضحاً عن طبيعة ظهور شط العرب من المجرى الأعلى له قرب القرنة .

كان مسار نهر دجلة عند وصوله الى مناطق شمال البصرة (القرنة حالياً) مرافقاً لنهر الكارون _ بمجراه القديم (باستيكيريس ، يولايوس ، الكرخه) وكانا يسيران بقناتين منفصلتين عن بعضهما كما ذكر ذلك القائد البحري نيارخوس ، على الرغم من أن سترابو ذكر أن نهر دجلة عند مصبه كان يسمى (باستيكيريس)[6]، على أن هذا الأخير كان يصب في البحيرات الموجودة عند فم الخليج العربي وأن هذا النهر كان من أكثر الطرق المائية استقامة للقادمين من شوشة الى الخليج العربي أو الى مصب نهر دجلة [7].

وبمرور الوقت أخذ نهر يولايوس(الكرخه، الكارون) ينحرف عن مصبه الأول من البحيرات الكلدانية متجهاً جنوباً نحو قرية جفير الحالية محدثاً قناةً جديدة عبر التواءات نحو الجنوب وصولاً الى مدينة خراكس _ ميشان (إسكندرية دجلة) ،(جبل خيابر حالياً)[8]، ثم بانحناءة كبيرة جنوب هذه المدينة منتهياً بالاتصال مع نهر دجلة ، وهذا هو التكوين الأول لشط العرب ، رغم قصر المسافة المتكونة من أتصال دجلة مع نهر الكرخه(الكارون القديم). ويمكن ملاحظة هذا المسار المائي ونقطة الالتقاء في الخارطة رقم (1) والذي يعود الى فترة حكم السلوقيين في العراق وتحديداً حكم هسباوسينس في مملكة ميشان (خراكس) في القرن الثاني ق.م [9].

من المعروف تاريخياً أن شط العرب يتكون من أتصال نهري دجلة والفرات وهذا الأمر تم فعلاً منذ الأزمنة القديمة (القرن الرابع ق.م) ولكن بمجارٍ مختلفة لنهري دجلة والفرات وبمسميات متغيرة بحسب الفترات التي دونت بها تواريخ هذه الأنهار ، ولنبدأ بنهر دجلة وصوله منطقة القرنة الحالية كان يسري بقناة قديمة تبدأ من قرية

(دوه Dwa) الحالية حتى يرتبط مع الفرات (بمجراه القديم) بالقرب من (مهيريج) الحالية ، وهذا المسار القديم لنهر دجلة كان يمثل الذراع الاقدم لشط العرب والذي عرف بدجلة العوراء.

والسبب بتسميته أن نهر دجلة عند (مساره القديم) قد غير مجراه الى المجرى الحالي وبقيت هذه القناة (دجلة القديمة)تمتلأ بالمياه مع ارتفاع المد من الخليج ويصل هذا الماء الى منطقة المذار(جنوب العمارة حاليا)[10] وهو اعلى نقطة ممكن أن تصل اليه المياه ، اما مع وجود حالة الجزر ، فأن هذه القناة (دجلة القديمة) تبقى بدون مياه ودائماً ما تروى فقط من أهوار الحويزة [11] ويقال في اللغة (عار عين الماء) اي نضب ماؤها ومن هنا جاءت تسمية (دجلة العوراء)[12].

إن قناة دجلة القديمة (العوراء) كانت تسير الى القرب من بداية مجرى شط العرب الحالي بمسافة تبعد عنه ما بين (0,8-2,8 كم) من الجهة الشرقية لشط العرب الحالي ويمكن ملاحظة المجرى القديم من خلال الصور الجوية لا سيما النقطة الأخيرة التي يتصل بها مع الفرات عند منطقة مهيريج الحالية بالقرب من النشوة [13].

أما نهر الفرات وهو الذراع الثاني المكون لشط العرب فقد مر هو الآخر بتغييرات في مجره مياهه وكذلك أطلق على أجزاء منه مسميات مختلفة ومع ذلك فأن نهر الفرات كان يدخل الى البصرة الحالية بأكثر من مجرى منها ما يصب في مناطق الأهوار الأخرى القريبة من هور الحمار ويخرج منها بقناة تصب في الخليج العربي مباشرة وهذا ما ذكره القائد البحري نيارخوس الذي وصف مدينة طريدون (تريدوتيس) أنها بالقرب من مصب الفرات في فم الخليج العربي والتي تبعد 20 كم شمال جزيرة ايكاروس (فيلكة)[14] ويبدو أن هذا المجرى كان معروفاً منذ البدايات الاولى لتاريخ العراق القديم.

أما المجرى الآخر للفرات في البصرة الحالية فقد كان يخرج هو الآخر من الأهوار والمستنقعات ويدخل البصرة عن طريق القرنة ويأخذ بالانحدار جنوباً في مجرى شط العرب الحالي بدءً من جنوب القرنة (الشاملي) من مدينة (فرات) في منطقة مقلوب بالقرب من الزريجي في الوقت الحاضر ولمسافة تمتد لحوالي 32كم[15] وعرفت هذه المسافة من شط العرب الحالي عند البلدانيين الاسلاميين ب (نهر الاسد) نسبة الى قائد المنصور العباسي المعروف بأبي الاسد والذي أرسله لحرب معارضيه في البصرة [16]

وخلال الفترات الفرثية والساسانية المتأخرة كان نهر ابو الاسد يأخذ مياهه مباشرة من نهر الفرات ويسير بمحاذاة نهر دجلة في مجراه القديم وفي هذا الوقت لم يكن شط العرب الحالي لا سيما في الجزء العلوي منه يمثل المخرج الأخير لنهري دجلة والفرات بل أن نهر ابو الاسد (من نهر الفرات) كان يمثل المجرى لشط العرب الحالي ولم يكن هناك اتصال للنهرين كما هو الآن في الوقت الحاضر اذ يذكر هانسمان أي أن دجلة العوراء (المجرى القديم)ونهر ابو الاسد(نهر الفرات)كانا يسيران في مجريين متوازيين الى حدٍ ما قبل أن ينصرفان في الاخيرر أسفل موقع فرات...(وهذا) موجود في ياقوت (انظر الى فرات Furat والذي نقل حمزة الأصفهاني يقول أن الاسم الثاني للفرات هو فلاذ رود Faladg rud ان الجزء الأول لهذا الاسم فلاذ هي الكلمة الفارسية بمعنى رفيق عدة الفرس وهو ما ينطبق على نهر الفرات كما تم أخبارنا لأن ذلك النهر كان يمر بجانب دجلة تماماً كما يمشي الفرس بجوار ماسك عنانه)[17].

إن هذا الجريان المتقارب لدجلة والفرات (العوراء وابي اسد) كان يبتدأ من مناطق جنوب القرنة وينتهي بالالتقاء في دلتا تسمى المطارة بالقرب من مهيريج وحسب المصادر فأن المطارة كانت تطل على نهري دجلة والفرات

بمجراهما القديمين لذا فأن (مدينة فرات) سميت على اسم أحد الأذرع التي تكون فيها شط العرب والتي سنأتي على ذكرها.

المدن التاريخية على شط العرب وروافده في البصرة قديماً

1- إسكندرية دجلة (كراخس، ميشان ،كرخ سباسينو)

بعد أن أحكم الإسكندر المقدوني انتصاراته وفتوحاته من الشرق الى الغرب أستقر في بلاد الرافدين ولم يبقى لديه سوى جزيرة العرب لتكون ضمن مملكته المترامية ولهذا فقد أمر ببناء مدينة على ساحل الخليج العربي تكون منطقاً لتحركاته نحو الجزيرة العربية فضلاً عن سيطرتها على فرقة التجارة البحرية بين الشرق والغرب. أختار الإسكندر مكان التقاء نهري دجلة والكارون(المصبان القديمان) اللذان كونا شط العرب (لاحقاً) مكاناً لهذه المدينة والتي ترتبط بالخليج العربي مباشرةً اسكن فيها الجنود اليونانيين المقدونيين الجرحى ونقل سكان من مدينة (دوراين = تريدون؟) وقسم من البابليين (الكلدان والآراين) وجعل لليونانيين حي خاص بهم في المدينة اسماه ببلا يوم تيمناً باسم الحي الذي ولد فيه في مقدونيا (Pella) [18] وقد عرفت المدينة عند المؤرخين اليونان (إسكندرية دجلة) كما يذكرها بيليني الكبير في التاريخ الطبيعي:

"... *بنيت { اسكندرية دجلة } على جبل صناعي مرتفع بين التقاء نهر دجلة في الجانب الايمن ونهر اولاسيوس {كارون} على الجانب الايسر وبتوسع بلغ ثلاثة أميال , كانت المدينة الاولى التي بناها الاسكندر الكبير والتي أعدها لتكون للمستوطنين من مدينة دوراين الملكية (التي دمرت فيما بعد) وابقاء هؤلاء الجنود خلفه هناك ممن لم يكونوا صالحين للخدمة مرة أخرى , من تخطيط هذه المدينة كان لابد لها ان تدعى الاسكندرية*" [19] .

اصبحت المدينة فيما بعد عاصمة للمقاطعة السلوقية في جنوب بلاد الرافدين ومنطقة البحر الاريثيري (الخليج العربي, بحر العرب) ثم بعد ذلك عاصمة لمملكة خاراسين (ميسان) والتي عرفت فيما بإسم خراكس سباسينو . في عام 165 – 166 وبعد الانتهاء من اعادة ترميم ميناء المدينة , عين الملك أنطيوخس الرابع الحاكم هسباوسينس ابن الحاكم المعين مسبقاُ ساردوداكوس حاكماً (أبرش) على مدينة أنطيوخيا والمناطق المحيطة بها , ويمكن ان يستنتج من هذه الاسماء ان عائلة هسباسينوس كانت ذات اصول فارسية أو ربما آرامية ولم تكن أغريقية .

مدينة الاسكندرية – أنطيوخيا- خاراكس سباسينوس يمكن ان نحددها على جانب المجرى القديم للمياه المتدفقة من نهر أولايوس/ كرخا/ خواسبس /الكارون والذي كان يتقاطع مع المجرى المائي القديم لنهر دجلة , وكان يقع على بعد 20كم جنوباً الى شط العرب وتقريباً 2كم عن الخط النهري المفترض للمستنقعات الكلدانية في حدود القرن الرابع قبل الميلاد , وتسمى أطلال المدينة اليوم تل خيابر[20], حيث انهت بعثة من جامعة مانشستر البريطانية وبالتعاون مع مفتشية اثار البصرة موسمها التنقيبي الاول عام 2017 وقد اتضحت معالم وجوانب تاريخية مهمة من هذه المدينة.

2- فرات بصرة

من تسميات هذه المدينة ايضاً فرات ميشان نسبة الى ممكلة ميشان التي ذكرناها في اعلاه , حيث ان مدينة فرات ورثت الحياة الاقتصادية والتجارية على مجرى شط العرب بعد ان اضمحلت في خراكس (ميشان) , بل انها اصبحت عاصمة مملكة ميشان والمركز الرئيس لها وبمسماها السرياني (بيرات ميشان) لكن مع دخول المسيحية اليها في القرن الخامس الميلادي تقريباً احتوت المدينة على كرسي الابرشية الاكبر في جنوب بلاد الرافدين [21] واخذت تدعى (فرات بصرة على ان الساسانيين اسموها (بهمن اردشير) [22] .

تشير المعلومات التاريخية ان نهر الفرات قبل ان يصب بشط العرب الحالي كان يصل بمجراه القديم الى هذه المدينة التي تحمل اسمه وهي تقع الى الجنوب من مدينة خراكس (ميشان 9 بحوالي 17,4 كم [23] , وعند مطابقة هذه المعلومات على الواقع نجد ان هذه المدينة تقع في منطقة الزريجي حالياً ويمكن ملاحظة اطلالها في منطقة (مقلوب) حيث تجد هناك بعض اثار الفخار المكسور فضلاً عن العثور على قطع وعملات نقدية من السكان والمزارعين هناك .الجدير بالذكر ان هذه المدينة كانت معقلاً لثورة الزنج ايام الدولة العباسية .

3- الأبلة (آبيلا ، أبولوغوس ،ابولوم)

يظهر اسم مدينة الابلة في الفترة التي اضمحلت فيها مدينة كراخس ونوعاً ما مدينة فرات ، وهي بمثابة ميناء تجاري على نهر باستيكريس (دجلة العوراء) ، اقترن نشاطها التجاري مع سواحل الخليج العربي، وبدأ استخدام الابة كميناء تجاري للبصرة في العصور الاسلامية . هذا الاسم ظهر فجأة في القرن الاول الميلادي دون اشارات الى مؤسس هذه المدينة او الى مكانها وموقعها على النهر،الامر الذي دفع الباحثين الى افتراض مواقع جغرافية عدة لهذه المدينة لاسيما مصادر البلدانيات الاسلامية (24) واهمها ما اشار الى انها في المنطقة مابين مدينة فرات بصرة ودست ميسان (كراخس)(25).

وفي الواقع ان هناك دراسات كثيرة عن محاولة تحديد موقع الابلة فمنها ماجعلها بالقرب من نهر العشار او من شمال نهر المعقل او غيرها ، وكلها محاولات تستند الى المصادر الاسلامية التي تعد مصادر حديثة لتاريخ المدينة الذي يرقى الى العهد الهيلنستي في العراق .

اول اشارة الى الابلة ورد في كتاب دليل البحر الاريثيري من القرن الاول الميلادي بصيغة (Apologou) وهي ميناء وسوق تجاري يقع بالقرب من كراخس سباينو (ميسين) ومن الفرات (بمجراه القديم)(26). وهناك من يرى ان ابولوغوس هي بالأصل مفردة اكدية تعود الى احدى القبائل الكلدية التي حاربها الملك سرجون الاشوري جاءت ضمن النصوص الملكية للملك تجلاتبليزر الثالث ضمن 32 قبيلة في جنوب بلاد الرافدين(27).

باعتقادي ان الابلة (ابولوغوس) هي الجزء الجنوبي من مدينة ميسين(كراخس سباسينو) وهي الميناء الجنوبي لها حيث استوطن فيها منذ البداية اليونانيين والمقدونيين بشكل خاص عندما خصص الاسكندرالمقدوني الجزء الجنوبي من المدينة لهم واسكنهم في حي خاص اسماه (بيّلا Pella) ، هذا الحي كان يسمى في فتراته الاولى (أ بيلا Apella) بحسب لهجة اليونانيين والمقدونيين القديمة(Dorian، Doric) التي تضيف (أ A) كبادئة للكلمات (28) ، ومما يلفت النظر ان هذه المفردة باليونانية القديم تعني الحجر المسور او السياج الحجري الذي يجتمع فيه الناس ، وهي بذلك تقترب من معنى كراخس التي تشكل جزءً منها (29). وبالتالي فان استخدام المصادر

الكلاسيكية لها كميناء مرادف لكراخس يفسر عدم وجود اشارات لها كمدينة مستقلة ذات نظام سياسي او استيطان بشر مستقل كما هي فرات او كراخس(30) ، فضلاً عن ان المدينة ورثت مدينتي فرات وميسين (كراخس) في العصور الساسانية وعصر الفتوحات الاسلامية(31) .

الهوامش

1- عادل هاشم علي : سفن الخليج العربي أهميتها ودورها في بلاد الرافدين .مجلة الخليج العربي , المجلد41 العدد3-4 (2013) , ص 82.

2- سرحان نعيم الخفاجي: تغيرات مجرى شط العرب واثرها على الاراضي العراقية . مجلة كلية الاداب , العدد 93, بغداد 2010 . ص440.

3- قناة الحفار : نهر تم استحداثه في العصور الاسلامية الاولى وتم توسعته في عهد عضد الدولة االبويهي كما اشار الى ذلك بعض البلدانيين . جون هانسمان : المصدر السابق ص 21.

4- تريدون او طريدون ذكرها القائد البحري نيارخوس للاسكندر عندما ابحر من الهند راجعاً الى جنوب العراق حيث وصفها بانها مدينة عند مصب نهر الفرات في الخليج في وقت لم يكن فيه الفرات يصب في شط العرب . واغلب الاعتقاد ان تقع في حدود مناطق ام قصر او سفوان لاسيما ان بعض المصادر تذكر انها كانت بالقرب من جبل قريب الى البحر .

5- Arrian of Nicomedia : *The Anabasis of Alexander : The History of the Wars and Conquests of Alexander the Great.* Translation by E.J. Chinnock, London. Hodder and Stoughton, 1884. *111, 17.*

6- *Straboo: The Geography of Strabo, Vol,15, Part 3 , Section 5.*

7- جون هانسمان : الجغرافيا التاريخية لمنطقة رأس الخليج العربي . ترجمة عادل عبدالله حطاب ,مركز دراسات الخليج العربي , جامعة البصرة -1980 , ص16.

8- خيابر(جمع خيبر) بالعربية وخراكس و كراخ الارامية أو ميشين وميسين اليونانية , كلها تعني المدينة المسورة او المحصنة .

9- منذر البكر : دولة ميسان العربية , مجلة المورد , العدد59 المجلد 15 الجزء 3(1986) ص22-ص23.

10- المذار منطقة بين البصرة وميسان حالياً , شهدت حداثاً تاريخية ومعارك مهمة في الاسلام اهمها معركة المسلمين بقيادة خالد بن الوليد مع الفرس الساسانيين ,فضلاً ن احداث الخوارج والمختار الثقفي وصاحب الزنج .

11- جون هانسمان : المصدر السابق , ص 39.

12- نقلاً عن محمد طارق الكاتب شط العرب وشط البصرة والتاريخ ,ص19.

13- جون هانسمان :المصدر السابق,ص35.

14- *Adil Hashim Ali , Andreas Perpas :* ALEXANDER THE GREAT AND THE HELLENISTIC NAVAL PRESENCE IN SOUTH MESOPOTAMIA AND THE GULF.
مجلة الخليج العربي ,المجلد 45 العدد1-2 , جامعة البصرة 2017, ص10.

15- جون هانسمان : المصدر السابق, ص38.

16- سمي هذا النهر بابي الاسد نسبة الى قائد المنصور العباسي المعروف بابي الاسد الذي ارسله لقتال عمه عبد الله بن علي .

17- جون هانسمان : المصدر السابق ,ص40.

18- *Adil Hashim Ali , Andreas Perpas,Op.cit. p.11.*

19- Pilny : *Natural History* : English Translation H.Rackam, London. Loeb Classical Library,1942 . 6,31,138.

-20 AdilHashimAli , Andreas Perpas : Op.cit. p11.

-21 للتفصيل ينظر أشرف عبد الحسن : المسيحيون في الدولة الساسانية . أطروحة دكتوراه غيره منشورة , كلية الآداب جامعة البصرة 2018 .

-22 www.Iranicaonline.org (Bahman Ardsir)

-23 جون هانسمان : المصدر السابق . ص 23.

-24 ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت، دار صادر- دار بيروت، ط2، 1995م، ج1، ص 77.

-25 - بحسب روايات فتح المسلمين للابلة الطبري : تاريخ الرسل والملوك , ج3 , ص594 وما بعدها .

-26 - دليل البحر الاريثيري لمؤلف مجهول : الفصل 35 ضمن كتاب ترجمات يمانية , ترجمة عبد الله حسن الشيبة ,دار الكتاب الجامعي 2008 , ص83 .

-27 طارق الكاتب: شط العرب وشط البصرة والتاريخ ,البصرة 1971, ط1, ص20 .

-28 - pliny :6.31.138.

-29 Hesych., Schol.U.Demosth., Martin Nilsson, Die Geschichte der Griechische Religion, vol. I 1955, p. 558

-30 - Bekees. R.S.p. : Etymological Dictionary of Greek, Brill, 2009, p. 1168

-31 - المدينة قيد الدراسة بشكل مفصل في كتاب البصرة في التاريخ القديم للباحث .

32- ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت، دار صادر- دار بيروت، ط2، 1995م، ج1، ص 77.

33- بحسب روايات فتح المسلمين للابلة الطبري : تاريخ الرسل والملوك , ج3 , ص594 وما بعدها . 34- - دليل البحر الاريثيري لمؤلف مجهول : الفصل 35 ضمن كتاب ترجمات يمانية , ترجمة عبد الله حسن الشيبة ,دار الكتاب الجامعي 2008 , ص83 .

35طارق الكاتب: شط العرب وشط البصرة والتاريخ ,البصرة 1971, ط1, ص 20 .

-36 pliny :6.31.138.

37 Hesych., Schol.U.Demosth., Martin Nilsson, Die Geschichte der Griechische Religion, vol. I 1955, p. 558

-38 Bekees. R.S.p. : Etymological Dictionary of Greek, Brill, 2009, p. 1168

39 - المدينة قيد الدراسة بشكل مفصل في كتاب البصرة في التاريخ القديم للباحث.

أهمية النفط في الرؤية الأوربية لأمن منطقة الخليج العربي (1971-1981)

الأستاذ المساعد الدكتور : فراقد داود سلمان الشلال
مركز دراسات البصرة والخليج العربي

الملخص:-

تحتلُ منطقة الخليج العربي أهمية كبرى في استراتيجيات القوى الدولية وذلك لخصائصها الاستراتيجية والاقتصادية التي جعلتها محط اطماع القوى الاستعمارية عبر التاريخ. وكان اكتشاف النفط وانتاجه دافعاً كبيراً لهذه الأطماع الاستعمارية لتبني سياستها تجاه المنطقة فقد اخذ النفط يشكل مكانة بارزة في حياة الدول المتقدمة صناعياً ، كونه يمثل مصدرا مهماً من مصادر الطاقة، ونتيجة لذلك اكتسبت منطقة الخليج العربي أهمية استثنائية واصبحت محوراً من محاور الصراع الدولي لاحتوائها على احتياطيات نفطية هائلة قُدرت بثلثي الاحتياط العالمي. والتي وجدت فيها الدول الاوربية مبتغاها للتخلص من "ازمة الثقة المالية" التي عانت منها تلك الدول بعد اعلان الدول العربية الحظر النفطي على الدول المساندة "لإسرائيل" عام1973فدعت الى اجراء حوار اوربي- خليجي لاستدراج الاستثمارات الخليجية داخل أوربا لذلك رأت الدول الاوربية ان امن منطقة الخليج العربي مرتبط باستمرار الامدادات النفطية اليها. وهذا يشير الى ان أمن نفط الخليج اهم من امن نظمه السياسية. ولكن بعد تشكيل مجلس التعاون لدول الخليج العربية عام 1981تغيرت الرؤية الاوربية لأمن المنطقة واصبح امن الخليج هو مسؤولية دوله اولاً.

المقدمة:-

كان اكتشاف النفط في منطقة الخليج العربي ذي اهمية كبيرة محليا واقليمياً وعالمياً بسبب مصاحبة الاكتشاف تغيرات عديدة في نظرة القوى الدولية لأمن الخليج العربي والتي كان من بينها الدول الاوربية التي أخذت تنظر الى نفط الخليج العربي كصمام امان في حالة تدهور اقتصادها ومستواها المعيشي وكذلك الامر بالنسبة لدول الخليج العربي فان النفط يشكل المورد الاساس لمعظم النفقات التي تحتاجها هذه الدول في تطور مجتمعاتها. فأبان مرحلة الوجود البريطاني ارتكزت قضية امن الخليج حول توفير غطاء عسكري خارجي وعقد معاهدات بين بريطانيا ومشيخات الخليج العربي، وبعد الانسحاب البريطاني من الخليج عام 1971، ارتبط امن الخليج العربي بوجود القوى المحلية الاقليمية الكبرى لمحاولتها سد الفراغ الذي تركته بريطانيا. وبالرغم من الاهتمام الأوربي بالقيمة الاستراتيجية لنفط الخليج العربي الا انها كانت تنأى بنفسها عن التأثير في السياسات الانتاجية للدول الخليجية الا انه في عام 1973 وبعد استخدام العرب النفط كسلاح في المعركة استشعرت الدول الاوربية الخوف على امداداتها النفطية وبدأت تسعى الى اتباع سياسة الاحتراز ضد اي انقطاع ظرفي في الامدادات وذلك عن طريق توفير مخزون يسد حاجة الاستهلاك المحلي وهذا ما اطلقت عليه "امن الامدادات النفطية"، اما عن امن الاسعار فقد ارتأت الدول الاوربية اقامة علاقات صداقة وتعاون مع دول الخليج العربي لكي تتلافى قدر الامكان ارتفاع اسعار النفط المستورد منها وبخاصة بعد الحرب العراقية الايرانية في ايلول 1980. وبعد تشكيل مجلس التعاون لدول الخليج العربية في مايس 1981 اخذت الدول الاوربية تنظر الى الخليج العربي بمنظار اقتصادي استراتيجي. لذلك ارتبطت الرؤية الاوربية لأمن الخليج العربي بأمن النفط، باعتبار الخليج العربي جزء من المصالح الحيوية الاوربية.

أهداف البحث: يهدف البحث الى توضيح أثر المتغيرات الاقليمية على الرؤية الاوربية لأمن الخليج العربي. والتي كان من بينها الانسحاب البريطاني من الخليج العربي عام1971.واندلاع الثورة الاسلامية في ايران شباط 1979. فضلا عن الحرب العراقية-الايرانية التي اندلعت ايلول عام 1980 والتي لم تكن محدودة بين طرفيها العراقي والايراني وانما حربا القت بظلالها على جميع دول المنطقة.

أقسام البحث: يتكون البحث من مقدمة وثلاث مباحث، تعرض المبحث الاول الى اكتشاف النفط في الخليج العربي والتنافس الاستعماري عليه. والمبحث الثاني تناول اهمية النفط في الاستراتيجية الاوربية حتى عام 1971. في حين تطرق المبحث الثالث الى اثر المتغيرات الاقليمية والدولية على الرؤية الاوربية لأمن الخليج العربي، والمبحث الرابع استعرض الموقف الاوربي من تأسيس مجلس التعاون لدول الخليج العربية.

فضلا عن قائمتي الهوامش والاستنتاجات التي توصل اليها البحث.

منهجية البحث: اتبعنا المنهج التاريخي في كتابة هذا البحث.

المبحث الاول: اكتشاف النفط في الخليج العربي والتنافس الاستعماري عليه حتى عام 1971.

تعززت أهمية منطقة الخليج العربي الاستراتيجية في مطلع القرن العشرين وتحديداً بعد انطلاق عمليات التنقيب عن النفط التي دفعت بالدول الاستعمارية الى السعي لإيجاد موطئ قدم لها وبدأت بريطانيا بأحكام قبضتها على كافة الطرق التجارية البرية والبحرية وعدت اقامة اي اية قاعدة بحرية او موانئ محصنة في الخليج العربي من قبل اية دولة اخرى تهديداً لمصالحها ويجب مقاومته بكافة الوسائل، مستندة في ذلك على الاتفاقيات

التي عقدتها مع حكام الخليج.[1] وتأسيسا على ذلك فقد استأثرت بريطانيا باستغلال النفط ايضا من خلال عقد اتفاقيات مع حكام الخليج الذين التزموا بموجبها بعدم السماح للشركات غير البريطانية بالبحث عن النفط في بلادهم الا بعد موافقة السلطات البريطانية.[2]

وكان الوجود الامريكي في الخليج العربي مقتصرا منذ نهاية القرن التاسع عشر على علاقات الصداقة والتعاون مع سلطنة مسقط،[3] ولم يكن النشاط الاقتصادي الامريكي قويا الى ان تم اكتشاف النفط فيه. عندما بدأت الشركات البريطانية في استخراجه من ايران دخلت الشركات الامريكية حلبة المنافسة معها، وكان العراق هو المسرح الثاني للتنافس الاستعماري البريطاني-الامريكي-الالماني.[4] وأحدث اكتشاف النفط في منطقة الخليج العربي خلال ثلاثينات القرن العشرين انقلاباً كبيراً في مجمل تاريخ المنطقة الاقتصادي، فكان اول اكتشاف له في البحرين عام 1932م، والكويت عام1938م، ثم المملكة العربية السعودية في العام نفسه، وقطر عام 1939م.[5] وسارعت امريكا عن طريق شركة بابكو(Bapco)[6] التوقيع على اتفاق مع البحرين عام 1934 وكان مجحفا بحق البحرين لأنه جعل مياهها واراضيها مجالا مفتوحا لاستغلال الشركة لفترة زمنية طويلة مع أعفاء ما تستورده الشركة من ادوات وأجهزة من اية رسوم وفي المقابل يحصل حاكم البحرين على مبلغ زهيد لقاء كل طن من النفط الخام المستخرج.[7] اما فيما يخص النفط في الكويت ففي عام 1913 تمكنت السلطات البريطانية من الانفراد بامتياز التنقيب عن طريق معاهدة عرفت باسم اتفاقية الزيت وفيها تعهد الشيخ مبارك الصباح (1896-1915) بعدم التنازل عن حق التنقيب في بلاده الا لمن تحدده الحكومة البريطانية الا ان احداث الحرب العالمية الاولى(1914-1918) حالت دون التنقيب من جانب بريطانيا، واستأنفت بريطانيا عملياتها التنقيبية عن طريق الشركة الشرقية للنقابات العامة تطلب امتيازا للبحث عن النفط في عام 1924.[8] وبالرغم من موافقة حاكم الكويت الا ان الشركة الانفة الذكر لم تباشر بأعمالها واضطرت الشركة الى بيع امتيازها الى شركة بترول الخليج الامريكية في عام 1934واصبح لها امتياز التنقيب عن النفط في جميع الاراضي الكويتية.[9]

حاولت الشركات النفطية الامريكية جاهدة من اجل ان تحصل على امتياز في دول خليجية اخرى ومنها قطر الا أن النفوذ البريطاني في المنطقة وتعهدات حكام الخليج لها وقف حجر عثرة امام شركات النفط الامريكية، ومع الاعتراف الامريكي بقوة النفوذ البريطاني في المنطقة وفي الوقت نفسه كانت بريطانيا لا ترغب بمعاداة الولايات المتحدة الامريكية وتمكن الطرفان من الوصول الى حل توافقي، وهو تأسيس شركة نفط قطر المحدودة في شباط1937 وكانت فرع لشركة نفط العراق والتي سميت فيما بعد باسم شركة نفط قطر المحدودة ونتيجة لهذا التحول بدأ النفوذ الامريكي يصل الى نفط قطر حيث كانت نسبة الشركات الامريكية(23،75%).[10]

وفي امارات الساحل العماني اتبعت بريطانيا السياسة نفسها مع امراء الكويت وقطر والبحرين في عدم سماحهم لسلطان مسقط تيمور بن فيصل (1913-1932) منح امتيازات التنقيب لأي شركة اخرى الا بعد موافقة السلطات البريطانية، وبذلك منح سلطان مسقط شركة دارسي في نيسان 1925 امتيازا للتنقيب في اراضيها ونشطت هذه الشركة اثناء الازمة المالية التي عانت منها السلطنة عام 1937، وفي محاولة للتخلص منها منح السلطان سعيد بن تيمور(1932-1972) الشركات الامريكية من خلال شركة نفط العراق امتيازا للتنقيب في السلطنة، ولم يتم العثور على النفط بكميات تجارية سوى عام 1964وبدات عمليات التصدير عام1967.[11]

اما عن اكتشاف النفط في المملكة العربية السعودية يذكر جون فيلبي في كتابه مغامرات النفط العربي تسارع عروض شركات النفط العالمية العاملة في منطقة الخليج آنذاك للتنقيب في الجزء الشرقي من المملكة العربية السعودية باعتبار مماثلة هذه المنطقة لما جاورتها للبحرين واسباب اخرى طوبوغرافية وجيولوجية ومن ثم فان اكتشاف النفط بكميات تجارية احتمال كبير.[12]

حيث منحت المملكة الى شركة ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا(Standard oil of California) الامريكية وشريكاتها الى توقيع الاتفاقية مع المملكة للتنقيب عن النفط في المملكة وتحديدا الجزء الشرقي فيها في اذار عام 1933. وكانت الاتفاقية مبنية على بنود واضحة من حيث تحديد حق السيادة الوطنية الكاملة على الثروات الطبيعية في البلاد، وحصة الحكومة من الواردات والارباح نتيجة لتصدير النفط وبيعه، ولقد جرت العديد من التعديلات على هذه الاتفاقية في فترة الاربعينات والخمسينيات.[13]

وبما ان النفط يعد من الموارد المحلية فقد برزت مسألة المشكلات الحدودية بين الدول الخليجية، وكانت الشركات تحرص على معرفة حدود امتيازاتها مما ادى الاهتمام بترسيم الحدود بشكل دقيق، ولقد كانت الشركات النفطية تقوم باستشارة السلطات البريطانية في المسائل الحدودية بعد ان ظهر النفط على الحدود المشتركة لدول الخليج العربي.[14] وظهر اكبر واهم الخلافات في عام 1933عندما منحت المملكة العربية السعودية التي ترتبط حدوديا مع قطر وعمان وابو ظبي حق امتياز نفطي لإحدى الشركات الغربية وعندما تطور الخلاف تدخلت الحكومة البريطانية للقيام بعملية ترسيم الحدود.[15]

المبحث الثاني: أهمية النفط في الاستراتيجية الاوربية حتى عام 1971م.

تأتي أوربا الغربية في المرتبة الثانية بعد امريكا الشمالية من ناحية استهلاك النفط في العالم وبذلك اصبحت رهينة للنفط والذي كانت تأتي كمياته الكبيرة قبل الحرب العالمية الثانية عن طريق المحيط الاطلسي، وأهم البلدان المصدرة موجودة في خليج المكسيك والبحر الكاريبي. واما بعد انتهاء تلك الحرب اخذت الدول الاوربية تستورد كميات كبيرة من نفط الخليج العربي وبسبب ازدياد الاستهلاك الاوربي عمل الساسة الاوربيين على جعل قضية الامدادات النفطية من صلب اهتماماتهم المالية والاقتصادية واستراتيجيتهم العسكرية والسياسية، أي أن النفط يشكل اساس الاستقلال الاقتصادي لدول أوربا الغربية وتطورها لذا عملت على تأسيس شركات نفطية وطنية ضمن اطار سياسة نفطية متحركة وليس ثابتة.[16]

وخلال معارك الحرب العالمية الثانية ظهرت الحاجة الى النفط كوقود في العمليات الحربية حيث فرض الحظر النفطي الامريكي على صادرات النفط الى اليابان الامر الذي دفع الاخيرة الى مهاجمة قاعدة بيرل هاربر في نهاية عام 1941، وفي العام نفسه كانت المانيا بحاجة ماسة الى النفط مما دفعها الى غزو روسيا وكان الهدف الرئيس للغزو احتلال مركز النفط السوفيتي في باكو.[17]

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945 شكل استرداد امن أوربا ودفاعها الذاتي امتحانا عسيراً لتثبت فيه دولها قدرتها على استعادة كامل سيطرتها الاقتصادية سيما بعد غزو اسواقها الداخلية في مجالات الالكترونية والمعلوماتية فضلا عن السلع العسكرية.[18]

ومما تجدر الاشارة حول اهمية نفط الخليج العربي بالنسبة للأوربيين وهو ما عبر عنه احد الاختصاصين الفرنسيين في المجال النفطي وهو جان جاك بريبي في 3/شباط/1958 " **ان نصف استهلاكنا من النفط يأتي من مناطق الضفة العربية للخليج الفارسي والاسلام الذي ولد في الحجاز على ضفاف البحر الاحمر بات احد العوامل الرئيسة في سياستنا الداخلية والخارجية للولايات المتحدة الامريكية بنت جزءا من استراتيجيتها العالمية على صداقة ملك بدوي وان مصيرنا مرتبط بهذه الاستراتيجية وان كل علاقات الغرب الاوربي والامريكي مع بلدان شبه الجزيرة العربية تؤثر عليها قوة عليا هي النفط وهي صاحبة الجلالة".**[19] كما عبر عن اهمية المنطقة أحد المستشرقين البريطانيين بقوله " **انها شريان الحياة الرئيس لنا"**[20]

وعندما تأسست السوق الأوربية المشتركة عام 1958 وتم من خلاله تشكيل وحدة اقتصادية وقوة عسكرية قادرة على اعادة التوازن للنظام الدولي، حيث شكلت السياسة النفطية مسرحاً للمواجهة بين أنصار أوربا الاطلسية المرتبطة بكارتل شركات النفط الامريكية واتباع أوربا الأوربية بقيادة فرنسا وايطاليا وفي عدة مناسبات ظهرت رغبات تقترح التعاون مع البلدان المنتجة للنفط.[21] وهذا ما بدا واضحا بعد اندلاع حرب حزيران 1967 اخضعت الدول الاوربية سياساتها تجاه الدول العربية الى اعادة تقييم وذلك وفق ظروف النزاع العربي –الاسرائيلي ومن هذه الدول فرنسا التي رفعت شعار الاستقلال عن واشنطن وقامت بفرض حظر على بيع السلاح الى اسرائيل، وبذلك تمكنت فرنسا من ترسيخ مكانتها في الشرق الاوسط وتأمين امداداتها من النفط وفتح اسواق جديدة امام البضائع الفرنسية في المنطقة.[22]

المبحث الثالث: اثر المتغيرات الاقليمية والدولية على الرؤية الاوربية لأمن الخليج العربي.

اولا: الانسحاب البريطاني من الخليج العربي عام1971

ولقد اثار القرار الذي اتخذته بريطانيا بالانسحاب من المنطقة في موعد لا يتجاوز عام 1971 قضية امن الخليج لان بريطانيا كانت تمثل القوة الداعمة لمصالح الدول الغربية في المنطقة ونتج عن ذلك ما سمي بفراغ القوة، لذا شكل عام 1971 بداية مرحلة جديدة في تاريخ المنطقة لظهور الكيانات السياسية المستقلة مثل الامارات العربية المتحدة، لذلك ازدادت مخاوف الدول الاوربية من انفراد احدى الدول الاقليمية الكبرى وهي كل من (العراق ،المملكة العربية السعودية ،وايران) لملء الفراغ الامني الناشئ فيؤدي ذلك الى خلق عدم الاستقرار في المنطقة ، وعلى ما يبدو ان الدول الاوربية كانت تسعى للوصول الى حالة التوازن الاقليمي بينها وبين دول المنطقة على اساس المصالح المتبادلة والمشتركة.[23]

ثانيا: ازمة الطاقة الاولى عام 1973.

كان من الطبيعي ان يؤدي النمو الصناعي للدول الاوربية الى تزايد حاجة الأوربيين للطاقة سيما بعد ان استعادت أوربا مكانتها الصناعية على المستوى الدولي والذي تزامن مع ارتفاع اسعار النفط في عام 1973 عندما فرضت الدول العربية المصدرة للنفط بقيادة المملكة العربية السعودية حظراً نفطياً على الدول المساندة لإسرائيل ورفعت شعار النفط كسلاح في المعركة ، والذي ادى الى ارتفاع الاسعار من ثلاث دولارات الى احدى عشرة دولارا للبرميل الواحد وبذلك حدثت ازمة في اسواق الطاقة العالمية، ففيما يخص السوق الاوربية ظهر ما يسمى بأزمة

الثقة المالية في شباط من عام1974 لذلك سعت الدول الاوربية وبطلب فرنسي وايطالي الى امكانية اجراء حوار اوربي عربي.[24]

وكان على الدول الاوربية ان تتبع سياسة نفطية مستقلة والخروج من هيمنة الشركات النفطية الامريكية الكبرى عليها، الا انها لن تتمكن من التحرر من هذه الهيمنة لعلم الولايات المتحدة الامريكية بمساعي الدول الاوربية في تحقيق مكاسب على حسابها في منطقة الخليج العربي، لذلك سعت الادارة الامريكية الى فرض سيادتها على بلدان السوق الاوربية المشتركة في كل الموضوعات النفطية من اسعار شراء وتكاليف نقل، وبرز ذلك واضحا في اجتماع واشنطن الذي عقد في اواخر شباط 1974وبحضور ممثلين عن كل من اليابان وكندا وممثلين عن بلدان السوق الاوربية المشتركة ، واثناء جلسات الاجتماع دعمت الولايات المتحدة الامريكية فكرة تضامن البلدان الغربية المستهلكة للنفط من خلال وضع استراتيجية للطاقة متفق عليها، وبينما رفضت فرنسا ممثلة بوزير خارجيتها ميشال جوبير[25](Michel Jobert) العرض الامريكي واصر على الحوار الأوربي-الخليجي بينما، وافقت على المقترح الأمريكي بقية الدول الأوربية.[26] وبعد هذا الاجتماع انشق وحدة الصف الاوربي بين مساند للسياسات النفطية الامريكية وبين معارض لها وعانت الدول الاوربية من ازمة الثقة المالية، بسبب توجه رؤوس الاموال الخليجية النفطية نحو السوق الأمريكي وكان هذا التوجه نتيجة لجهود بذلتها الولايات المتحدة الامريكية لتستفيد من ودائع البترودولار حيث وصلت الودائع الخليجية منتصف العام نفسه الى (200 مليون دولار) وهذا ما خفف من عجز ميزان المدفوعات الامريكي وأثبت الدولار قوته.[27]

ثالثا: ازمة الطاقة الثانية عام1979

وبشكل مماثل فقد جاءت فكرة الحوار الأوربي- الخليجي اثر ازمة الطاقة الثانية في عام 1979 التي فجرها النظام الايراني وما أعقبها من احداث اهمها الاحتلال السوفيتي لأفغانستان متغيرات شديدة الاهمية والتعقيد لتزايد نفوذ القوى الدولية في شؤون المنطقة. الذي ادى بدوره الى تعرض المصالح الامريكية لخطر كبير، وتهديداً مباشراً للمصالح الأمنية للدول الأوربية في المنطقة.[28] ولقد كانت بريطانيا ترغب بالاستفادة من ازمة افغانستان وهذا ما اكد عليه بيتر كارنغتون(Peter Carington)[29]وزير الخارجية البريطاني في ان المصلحة المشتركة بين الغرب والعالم الاسلامي في مواجهة الاحتلال السوفيتي ، ومن اجل ذلك قام بجولة في اوائل عام 1980 شملت كل من المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان والكويت وعاد بانطباع قوي عن امكانية تعاون مع الدول الخليجية اذا ما بذل الغرب تحركا جاداً لحل المشكلة الفلسطينية، وقد كانت تلك القناعة التي كانت موضع اتفاق بريطانيا وغيرها من الدول الاوربية عاملا مهما في قيام وزراء السوق بعقد اجتماع قمة في مدينة البندقية الايطالية في 13 حزيران 1980 وإصدار اعلان البندقية والذي أكدوا فيه على مساندة الحق العربي واعترافهم بحق الشعب الفلسطيني بإقامة دولته وتقرير مصيره وتوقف اسرائيل عن بناء المستوطنات بوصفها غير شرعية وعقبة امام تحقيق سلام عادل وشامل في الشرق الأوسط.[30] وفي منتصف كانون الثاني 1980 اقترح وزير خارجية المانيا الغربية هانز دييتريتش جينشر(Hanz Deetaryetsh Gensher) ان تعمل دول السوق المشتركة على تعزيز الاستقرار في المنطقة عن طريق توقيع اتفاقيات للتعاون مع دول الخليج العربي بحيث لا تتضمن تلك الاتفاقيات معاملات تفضيلية في مجال التجارة لان ذلك سيكون اخلالا بالاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات وسوف يؤدي بالتأكيد الى اثارة غضب

الولايات المتحدة الأمريكية ولكن يجب تأكيد وضبط الاستقرار الطويل الاجل في العلاقات بين السوق المشتركة والاقطار المعنية في مجالات الطاقة والتعاون التكنولوجي[31].

وكانت ردود الفعل بشأن الاقتراح في اطار السوق المشتركة ايجابية تتسم بالحذر فبعض الحكومات سيما بريطانيا كانت متحمسة لأسباب سياسية بالدرجة الاولى، بينما كانت مفوضية السوق اكثر اهتماما بالموضوعات الفنية وتنبأت باحتمالات بعض الصعوبات في تعريف مجال الاتفاقيات المقترحة بشكل محدد وقررت الدول الاوربية استطلاع رأي دول الخليج العربي من حيث المبدأ وتم ذلك في شهر شباط 1980 وكان رد فعل دول الخليج بين مؤيد ومتجاوب وبين لامبالي فقد أبدت البحرين ودولة الامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان اهتماماً مبدئياً على الاقل بينما عبرت كل من المملكة العربية السعودية والكويت وقطر عن عدم رغبتهم.[32]

وعلى الرغم من القيام باتصالات اخرى في اواخر ذلك العام سيما مع العُمانيين فقد توارت فكرة الحوار الاوربي-الخليجي في عام 1980 نتيجة عدم الاهتمام من الجانب الخليجي وكانت النتيجة الثانوية الوحيدة والغريبة الى حد ما هي الحوار بين السوق المشتركة والجمهورية العربية اليمنية والتي لا تعد دولة خليجية بالمعنى الحرفي ولكن اصبح من المقدر ان يتم عقد اتفاقية للتعاون معها من نوع الاتفاقيات التي اقترحها جينشر وربما كانت هناك بالتأكيد منافع اقتصادية من ذلك الاتفاق وان كان ذلك اقل اهمية بالنسبة لدول الخليج الغنية بالنفط، كما انه من غير المتوقع ان يؤدي ذلك الاتفاق الى فائدة سياسية في المنطقة بل انه قد يتم النظر اليه من الجانب العربي على انه محاولة أوربية لتجاوز الحوار العربي الأوربي نتيجة لمضمونه السياسي الذي لم يكن موضع ترحيب أوربا طيلة الوقت عن طريق تحديد اطار العلاقات مع تلك الدول العربية التي تستطيع ان تقدم الكثير لاوربا اقتصادياً واستبعاد اولئك الاكثر مشاركة في الصراع العربي- الاسرائيلي.[33]

لقد أحتل أمن الخليج وارتباطه بتزويد المجموعة الاقتصادية الأوربية بالنفط محور مناقشات اجتماع البرلمان الأوربي في استراسبورغ المنعقد بتاريخ 17/نيسان/1980، والذي تمخض عنه عدة مقررات من اهمها.[34]

اولاً: امن أوربا الغربية النفطي وخطوط التموين البحرية المتعلقة بها يتوقف على امن واستقرار دول منطقة الخليج العربي.

ثانياً: لضمان امن الخطوط الملاحية وجب تشجيع المعاهدات بين الدول الحليفة لاوربا.

ثالثاً: ان المجموعة الاقتصادية الأوربية معرضة لانقطاع مفاجئ او متعمد لتموين النفط.

لقد طالب المجلس الأوربي في هذا الاجتماع بمناقشة اقرار مشروع خاص للتفاوض بين مجلس وزراء المجموعة الاقتصادية الأوربية وبين دول الخليج العربي لضمان امن الانتاج ،ونقل النفط ،فضلا عن تأمين الطرق البحرية الدولية كما وضعت الأُسس لإجراء مشاورات بين دول حلف شمال الاطلسي لوضع ترتيبات خاصة لدعم الترتيبات العسكرية الامريكية في الخليج العربي في حالة تعرض مصالح دولها لازمات داخلية اقليمية قد تؤدي لقطع إمدادات النفط او توقف انتاجه.[35]

وفي اطار هذه المخاوف الأوربية جاء قرار الولايات المتحدة الامريكية اقرار مبدأ كارتر عام1980 لإنشاء قوة الانتشار السريع لتعزيز قدرات الولايات المتحدة الامريكية في الخليج على اعتبار ان اي تهديد للنفط الخليجي يعد تهديداً للمصالح الحيوية الامريكية، لذا عملت على توسيع البنية الاساسية لمنظومات الدفاع والمراقبة والاتصالات

لدعم وتنشيط فعالية القواعد العسكرية في الخليج عن طريق استخدام الاقمار الاصطناعية وتنظيم طلعات جوية لطائرات الاواكس في اجواء المملكة العربية السعودية هذه الاستعدادات العسكرية الامريكية هدفها حماية منابع النفط دفعت اتحاد أوربا الغربية لوضع استراتيجيات لإسناد السياسة الامريكية عبر توفير الحماية لخطوط المواصلات البحرية التي تمر عبر ال جنوب الاطلسي، وتوفير مستلزمات دعم لوجستي للقوات العسكرية الامريكية والعمل على تعزيز الوجود الفرنسي والبريطاني في المحيط الهندي حيث قامت فرنسا بنشر 30% من قواتها البحرية والجوية في المحيط الهندي وهذا ما يمكنها من الاشراف بحراً وجواً على الخليج العربي والبحر الاحمر والمحيط الهندي.[36]

ولقد كانت الادارة الامريكية تتوقع مشاركة واسعة من قبل حلفائها في أوربا الغربية في حالة قيام قوات الانتشار السريع بتنفيذ مهمات خارج الحدود المرسومة لمنظمة حلف شمال الاطلسي ، فضلاً عن أهمية وضع قوات الانتشار السريع تحت امرة القائد الاعلى للقوات الامريكية في أوربا والذي يشغل في الوقت نفسه مهام القائد الاعلى لقوات حلف الاطلسي وكانت نتيجة هذا التنسيق والعمل المشترك بين قوات التحالف الغربي لتأكيد جدية الدول الغربية الصناعية الرأسمالية في الدفاع عن مصالحها الاقتصادية بصورة عامة والنفطية بصورة خاصة في الخليج العربي.[37]

والى جانب الاجراءات العسكرية لمواجهة الاحتمالات الامنية للتقليل من خطر التهديدات وضعت الولايات المتحدة الامريكية برنامجاً للاحتفاظ ب (150) مليون طن من النفط من المخزون الاستراتيجي. اما الدول الاوربية فقد قامت برفع حجم مخزونها الاستراتيجي من النفط الى (120) مليون طن.[38]

المبحث الرابع: الموقف الاوربي من تأسيس مجلس التعاون لدول الخليج العربية 1981.

كانت منطقة الخليج العربي مسرحاً لأحداث تاريخية شديدة التعقيد وكثيرة التشابك ولفترات زمنية طويلة لما تتمتع به من موقع استراتيجي حيوي، فضلا عما تملكه من ثروات نفطية هائلة جعلتها محط انظار القوى الغربية الكبرى بعد الانسحاب البريطاني من الخليج عام 1971وازدياد الوجود الامريكي العسكري فيه فبرزت على الساحة الخليجية دعوات لقيام شكل من اشكال التعاون. وتعود فكرة انشاء المجلس الى الزيارة التي قام بها الشيخ جابر بن الاحمد الصباح ولي عهد الكويت ورئيس مجلس الوزراء آنذاك الى دولة الامارات العربية المتحدة في 19/ ايار1975، والتي تمخض عنها صدور بيان مشترك اقر فيه تشكيل لجنة وزارية مشتركة يراسها وزيرا خارجية البلدين تجتمع مرتين كل سنة على الاقل.[39]

وفي 12 كانون الاول1978زار ولي عهد الكويت الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح دول الخليج العربية للبحث في شؤون قيام الوحدة الخليجية وتنظيم خليجي موحد لتحقيق تعاون اقوى في كافة المجالات، واثر اندلاع الحرب العراقية الايرانية في ايلول عام 1980 استشعرت الدول الخليجية الخطر من امتداد الحرب الى اراضيها وبالفعل لم تكن هذه الحرب محدودة بين طرفيها العراقي والايراني وانما حرب سياسية واقتصادية وعقائدية شاملة[40]، الامر الذي وضع منطقة الخليج العربي كلها على حافة الانفجار جاءت الحرب لتطرح متغيرا جديدا في خريطة النظام الاقليمي الخليجي ولتصبح واحدة من المتغيرات الرئيسة في عمليات الاستقرار السياسي والاجتماعي والامني للخليج. وذلك لما ترتب عليها من انعكاسات امنية خطيرة هددت امن المنطقة واستقرارها سيما احتمال امتداد الحرب الى

اراضي الدول الخليجية، أكدت الدول الاوربية ان امن الخليج لابد من ان يستند على الاصلاح الداخلي والتنموي والاستقرار السياسي وهذه المهام يجب ان تكون مسؤولية شعوبه بالدرجة الاولى.[41] وبعد سلسلة من الاجتماعات الخليجية المشتركة عقد وزراء خارجية الدول الخليجية الست مؤتمراً في الرياض بتاريخ 4/ شباط 1981 وتم التوقيع في ختام المؤتمر على وثيقة اعلان قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية. وتمت المصادقة على النظام للمجلس.[42]

ولقد عبر قادة الدول الخليجية في البيان الختامي للدورة الاولى المنعقدة في ابو ظبي في نيسان1981 رفض المجلس اي تدخل اجنبي في المنطقة مهما كان مصدره وغايته، ولغرض الحفاظ على امن واستقرار منطقة الخليج العربي يجب ابعادها عن الصراعات الدولية وان ضمان امن واستقرار المنطقة مرهون بتحقيق السلام في الشرق الاوسط.[43]

وكان انشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية موضع ترحيب من جانب الحكومات الاوربية كبادرة على ان دول الخليج نفسها كانت تعمل لتأكيد الاستقرار والامن في المنطقة، ورحبت بريطانيا بمجلس التعاون لدول الخليج العربية ليكون امام المجلس فرصة لتحقيق التعاون الإقليمي مع الغرب في حماية امن الخليج العربي وذلك وفقاً لوجهة نظرهم بان الغرب مازال المورد الوحيد للسلاح لأغلبية دول المنطقة. اما فرنسا فقد أبدى الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران[44](Francois Mitterrand)(1981-1995) حرص بلده على تطوير علاقات الاحترام والتعاون المتبادل مع مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وفي يوم 7 حزيران1981 ارسل برقية الى كافة قادة دول المجلس أكد فيها على تمسك فرنسا بمبادئ التضامن والاستقلال واحترام السيادة الوطنية وهي نفس المبادئ التي قام على اساسها مجلس التعاون لدول الخليج العربية ومن هذا المنطلق ستبذل فرنسا جهدها لتدعيم علاقات الصداقة والتعاون مع كافة الدول الاعضاء في المجلس. وبذلك ترى فرنسا ان امن الخليج العربي بوصفه منطقة حيوية لحفظ التوازن الدولي مسؤولية الدول المطلة عليه وذلك ليكون بعيداً عن النزاعات الدولية.[45]

ولم تشذ عن هذه المواقف دول السوق الاوربية مجتمعة التي كانت تشعر على الدوام بضرورة ظهور منظمات دولية اقليمية على شاكلتها بوجه عام ومن ثم فقد اقترح لورد كارنغتون في ايلول عام 1981 حينما كان رئيسا لمجلس وزراء السوق القيام باتصال مباشر مع المنظمة الجديدة وكان ذلك الاقتراح موضع ترحيب وبدأت الاتصالات الرسمية بين المنظمتين.[46]

ومن خلال مواصلة الدور الامريكي المنفرد في الخليج العربي شكل مصدر قلق وتوتر على المستوى الاقليمي في حين مثل العلاقات الخليجية الاوربية الى حد ما محور توازن، وبذلك مثلت الرؤية الاوربية لأمن الخليج العربي يعني امن انظمته السياسية التي تؤكد على ضرورة اتخاذ اجراءات وترتيبات امنية جديدة يضطلع من خلالها الدول الاوربية بدور مميز في سبيل الحفاظ على مصالحه النفطية والتجارية وحمايتها المرتبط امنها بأمن الخليج العربي.[47]

الاستنتاجات

اولاً: اكتسبت منطقة الخليج العربي اهمية كبيرة في الاستراتيجيات العالمية لأنها تحمل قيمة استراتيجية وامنية واقتصادية متميزة جعلت منها احدى اهم الركائز الاساسية في التوازنات الدولية. لذلك عُد النفط الخليجي رهاناً ذا وزن كبير في السياسة الدولية.

ثانياً: تعد الدول الاوربية اي تهديد نفطي من قبل الدول الكبرى الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي او حتى دول الخليج العربي المتعلقة بمسائل الانتاج والتسويق والاسعار بمثابة تهديد لمصالحها.

ثالثاً: عملت الدول الاوربية على التوفيق ما بين مصالحها النفطية والمشكلات السياسية للبلدان المنتجة حتى ان الحضور الكبير للدول الاوربية على المسرح السياسي الخليجي كان واضحا خلال مرحلة السبعينيات والثمانينيات وذلك لارتباط الامن النفطي الاوربي باستقرار منطقة الخليج العربي.

رابعاً: لا تتوقف الرؤية الاوربية لأمن الخليج العربي على النفط فقط بل تعدى ذلك الى المصالح الاقتصادية والاستثمارات المالية والمصرفية والتجارية.

خامساً: الرؤية الاوربية لأمن الخليج العربي بعد تأسيس مجلس التعاون لدول الخليج العربية تقوم على ضرورة تخفيض التسلح في المنطقة، وانهاء المشاكل الحدودية القائمة بين دوله، وتعميق اواصر التعاون السياسي والاقتصادي والامني بين دوله.

سادسا: دفع الاعتماد الكبير للعالم الصناعي على نفط الخليج العربي اعلان الرئيس الامريكي جيمي كارتر في كانون الثاني 1980"ان الخليج العربي يمثل جزءا من المصالح الحيوية الامريكية" والدفاع عن هذه المصالح باستخدام القوة.

الهوامش

(1) محمود محمد عبيد الجبوري، العلاقات بين مجلس التعاون الخليجي والاتحاد الاوربي1981-2013،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب /جامعة الموصل،2020، ص44.

(2) اليزابيث ستيفنر، العلاقات العسكرية والاقتصادية بين دول مجلس التعاون الخليجي والاتحاد الأوربي، مركز الخليج للابحاث،2004، ص2.

(3) وصل المبعوث الامريكي ادموند روبرتس(Edmond Roberts) الى مسقط عام 1833م على ظهر السفينة الحربية الامريكية بيكويك(Pickwick) في عهد سعيد بن سلطان حيث عقدت بين الجانبين معاهدة صداقة وتجارة اذ منح التجار الأمريكيين بموجبها امتيازات قنصلية وتجارية وتم تعيين قناصل امريكيين في كل من زنجبار عام1834 ومسقط عام1836. نقلا عن فتحية النبراوي، ومحمد نصر مهنا، الخليج العربي دراسة في العلاقات الدولية والاقليمية، منشاة المعارف، الاسكندرية،د.ت،ص435.

(4) طالب حسين حافظ، النفط والسياسة في العراق التاريخ الامتيازات، دار الكتب العلمية،ط1، بغداد،2017، ص47-48.

(5) بشارة خضر، أوربا وبلدان الخليج العربية(الشركاء الاباعد)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1995، ص31.

(6) احتلت هذه الشركة مكانا مميزا من ناحية كونها شركة امريكية الملكية ويقوم بإدارتها موظفون بريطانيون. وتعمل في منطقة خاضعة للحماية البريطانية.

(7) امل الزياني، البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي،د.م.1977،ص25.

(8) نجاة عبد القادر الجاسم، التطور السياسي والاقتصادي للكويت بين الحربين(1914-1939)، ط2، القاهرة،1997،ص198.

(9) فتحية النبراوي ومحمد نصر مهنا، المصدر السابق،ص439.

(10) عبد الرحمن احمد سيف، تطور دولة سلطنة عمان،ط1،دار المعتز، عمان،2015، ص160

(11) المصدر نفسه، ص161-162.

(12) جون فيلبي، مغامرات النفط العربي، ترجمة عوض الباري، مكتبة العبيكان، الرياض، 2001، ص107.

(13) بشارة خضر، المصدر السابق،ص32-33.

(14) علي محمد حسين، مشكلات الحدود في منطقة الخليج العربي،(الاطار القانوني والبعد السياسي)، مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العدد،56، نيسان2013،ص175.

(15) اليزابيث ستيفنز، المصدر السابق، ص16.

(16) انطوان متي، الخليج العربي من الاستعمار البريطاني حتى الثورة الايرانية 1798-1978،دار الجيل بيروت،1993، ص34.

(17) التنافس الدولي وضمان امن النفط، سعد حقي توفيق، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، المجلد22، العدد 43، كانون الاول2011،ص2.

(18) اهم هذه المشكلات هي مشكلة الحدود بين عسير واليمن والاضطرابات العسكرية بين العشائر العراقية والكويتية والسعودية فضلا عن ازمات الحدود العراقية الايرانية والتي لم تحل الا بعد عقد معاهدة في عام 1937، ونقلا عن فتحية النبراوي ومحمد نصر مهنا، الخليج العربي دراسة في تاريخ العلاقات الاقليمية والدولية، الاسكندرية ،د.ت، مطبعة منشأة المعارف، ص 397.

(19) اليزابيث ستيفنز، المصدر السابق، ص14.

(20) المصدر نفسه،ص15.

(21) انطوان متي، المصدر السابق،ص35.

(22) انطوان متي، المصدر السابق،ص107.

(23) مايكل كلير، الحروب على الموارد، ترجمة عدنان حسن، بيروت، دار الكتاب العربي،2002،ص37.

(24) محمد سالم احمد الكواز ومنهل الهام عبد ال عقراوي ، العلاقات بين الاتحاد الاوربي ومجلس التعاون لدول الخليج العربية النشأة والتطور(دراسة تاريخية)، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية، جامعة الموصل،المجلد12، العدد4، 2013 ، ص601.

(25) ميشال جوبير: ولد في 11 ايلول عام1921 في المغرب، في عام 1973-1974 تولى وزارة الخارجية الفرنسية الخامسة تحت رئاسة رئيس الوزراء بيير ميسمر، ساعد شابان دلماس في انتخابات عام 1974 بعد فوز فاليري جيسكار ديستان في الانتخابات اسس حركة سياسية وهي حركة الديمقراطيين ، وفي عام 1981 ساعد فرانسوا ميتران في حملة الانتخابات الرئاسية واصبح وزير التجارة الخارجية.

(26) انطوان متي، المصدر السابق،ص105.

(27) البرت وولستر، انصاف حروب وانصاف سياسات في الخليج، دراسات استراتيجية، العدد 26، 1981،ص14.

(28) ادوارد مورتيمور، سياسة الدول الاوربية العشر في منطقة الخليج العربي وابعادها المستقبلية، وقائع الندوة العلمية العالمية الخاصة لمركز دراسات الخليج العربي/ جامعة البصرة بالتعاون مع مركز الدراسات العربية بلندن،1987، ص85.

(29) بيتر كارنغتون: ولد في تشيلسي كانون الاول عام 1919، تلقى تعليمه في معهد ايتون ودخل اكاديمية ساندهيرست الحربية ورقي الى مرتبة ماجور في سلاح رماة القنابل اليدوية وفي عام 1959 عين مندوبا ساميا في استراليا وفي عام 1970 اصبح وزيرا للدفاع ، وخلال الفترة 1979-1982 عمل وزيرا للخارجية .

(30) محمد عبد العاطي، الموقف الاوربي من اقامة الدولة الفلسطينية. شبكة المعلومات الدولية

(31) ادوارد مورتيمور، المصدر السابق، ص87.

(32) البيتر مانجولد، تدخل القوى الكبرى في الخليج العربي، ترجمة فاضل زكي محمد، في كتاب الصراعات الغربية في الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي/ جامعة البصرة،1983،ص87.

(33) ادوارد مورتيمور، المصدر السابق،ص88.

(34) غازي فيصل حسين، المنظور الجيوستراتيجي الاوربي تجاه الخليج العربي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العد244، حزيران1999، ص62.

(35) المصدر نفسه،ص36.

(36) جوناثان الفورد، وضع الغرب الاستراتيجي في الشرقين الادنى والاوسط، دراسات استراتيجية ، بيروت، العدد42، 1981،ص13.

(37) المصدر نفسه،ص14.

(38) غازي فيصل حسين، المصدر السابق،ص64.

(39) علي عبد الحسين عبدالله، امن الخليج العربي في ظل المتغيرات الاقليمية والدولية، دمشق،2011،ص126.

(40) نصرة عبدالله البستكي، أمن الخليج من غزو الكويت الى غزو العراق دراسة للأداء الامني لمجلس التعاون الخليجي(1981-2002)، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،2003، ص68.

(41) نبيل عبد الفتاح ،الحرب وقضايا الامن في الخليج، مجلة السياسة الدولية، القاهرة،العدد1981،93، ص94.

(42) يحيى حلمي رجب، مجلس التعاون لدول الخليج العربية ،دراسة قانونية اقتصادية، الكويت، د.ت،ص66.

(43) ظافر محمد العجمي، امن الخليج العربي تطوره واشكالياته من منظور العلاقات الاقليمية والدولية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2006،ص56.

(44) فرانسوا ميتران: ولد في 26 تشرين الاول 1916 في مدينة جارناك وقدم الى باريس وهو في سن السابعة عشرة من عمره والتحق بجامعتين في ان واحد وهما كلية الحقوق في جامعة السوربون ومعهد العلوم السياسية الحر واسندت اليه وزارة اسرى الحرب في عام 1944 وتولى عدة مناصب وزارية منها وزارة المحاربين القدامى عام 1947 ووزارة الاعلام عام 1948خاض معركة الرئاسة الفرنسية وانتخب رئيسا للجمهورية الفرنسية للمزيد من التفاصيل ينظر، جورج فرشخ، فرانسوا ميتران والقضايا العربية ، باريس، المكتب العربي،1981،ص33.

(45) فتحية النبراوي ومحمد نصر مهنا، المصدر السابق،ص455.

(46) ادوارد مورتيمور، المصدر السابق،ص88.

(47) غازي فيصل حسين، المصدر السابق،ص66.

اثر السيد جمال الدين الافغاني في توطيد الصلات الفكرية و العلمية بين النجف الاشرف ومصر

الأستاذ المساعد الدكتور : صباح كريم رياح الفتلاوي
جامعة الكوفة/ كلية العلوم السياسية

الملخص:-

ساهم العديد من المصلحين والمفكرين في العالم العربي والإسلامي ،وعبر تاريخه الممتد عبر لسنين في مد جسور التواصل الاجتماعي والفكري والثقافي والسياسي مابين شعوبهم وبلدانهم يب والبلدان الأخرى عربية او إسلامية كانت أم أجنبية,من خلال الدور الكبير الذي قاموا به في راث والمعرفة والثقافة والعلوم العربية والإسلامية الى البلدان التي قاموا بزيارتها سواء اكأن ذلك الدراسة اوالعمل او السياحة .

المقدمة:-

من الواضح جدا ان الحواضر العربية والإسلامية المعروفة كالقاهرة والكوفة والقيروان وغيرها تتميز بمدارسها العلمية والفكرية والثقافية الامر الذي جعلها مصانع لتخريج العلماء والمفكرين والمصلحين ،والذين كان لهم الدور البارز في اعلاء شأن دينهم وتقاليدهم العربية والإسلامية وتراثهم الفكري والمعرفي.وكانت النجف الاشرف خلال القرن التاسع عشروما بعده من المدن العلمية والثقافية التي اكتسبت أهمية خاصة من خلال وجود مرقد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في حاضرة الكوفة، التي اتخذها عاصمة للخلافة الإسلامية سنة 36 هـ ،بيد ان النجف في الوقت نفسه كانت تعد امتدادا طبيعيا لمدرسة الكوفة في اللغة والبلاغة والتفسير.

كان الدارسين في مدرسة النجف الاشرف او حوزتها الدينية ينهلون من شتى منابع العلم والمعرفة السائدة في مناهجها الدراسية آنذاك مما يؤهلهم في ان يكونوا علماء وقادة يشار اليهم بالبنان من خلال الدور الذي سيلعبونه لاحقا في تاريخ شعوبهم وامتهم الإسلامية والعربية، ولعل السيد جمال الدين الافغاني واحدا من اشهر هؤلاء العلماء الذين درسوا في النجف الاشرف وعاشوا فيها وتأثروا كثيرا بالبيئة العلمية والفكرية والثقافية فيها كما عاصروا العديد من الاحداث السياسية والاجتماعية التي تركت فيما بعد بصمات واضحة في منهجهم العملي وطبيعة تفكيرهم، الامرالذي اهله فيما بعد ان يكون سفيرا امينا للتراث الإسلامي والعربي السائد في النجف الاشرف من خلال زياراته وسياحته في العديد من البلدان العربية والإسلامية والأجنبية .

كانت مصر من البلدان العربية والإسلامية التي زارها السيد الافغاني واقام فيها لاكثر من 10 سنوات على فترات متعددة، وكان السيد الافغاني محط اهتمام وتطلع االنخبة الكبيرة من الدارسين والمفكرين والمثقين والسياسيين لما عرف عنه من قدرات وامكانيات فكرية ومعرفية وسياسية كبيرة.وقد ساهم كل هذا بلاشك في تجسيد نوع من الصلة الوثيقة والوشائج المعرفية والعلمية والفكرية بينه وبين الشعب المصري.

ولمعرفة الدور الواضح والاثر الكبير الذي لعبه السيد الافغاني في توطيد الصلات الفكرية والثقافية والعلمية بين النجف الاشرف ومصر،ارتأينا ان تقسم هذه الدراسة الى مبحثين فضلا عن مقدمة وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع المستخدمة فيها، وقد اختص المبحث الأول من الدراسة بتوضيح اثر بيئة النجف الفكرية والعلمية والثقافية والسياسية في شخصية السيد الافغاني وانعكاساتها على البيئة الفكرية والسياسية في مصر، بينما عالج المبحث الثاني تأثيرات السيد الأفغاني العلمية والفكرية والسياسية في مصر. وأوضحت الخاتمة اهم ماتوصل اليه الباحث،واعتمد البحث جملة من المصادر العربية والمعربة التي اثرت مفرداته بالكثير من المعلومات القيمة.

المبحث الأول

تأثيرات بيئة النجف الاشرف الفكرية والعلمية والسياسية في شخصية السيد جمال الدين الافغاني وانعكاساتها على البيئة الفكرية والسياسية في مصر.

وقفت وراء البناء المعرفي والفكري للسيد جمال الدين الافغاني[1] نشأة وتطوراً جملة من الروافد والقنوات الفكرية، اسهمت في تأطير وعيه السياسي،ومن ثم تحفيزه في تفعيل مقومات مشروعه الإصلاحي والتجديدي المؤثر والفاعل من خلال توجيه أذهان الشباب والفئة الواعية من شعوب الاسلام صوب الإصلاح والتجديد، بدءاً بنبذ

الحكم الاستبدادي والفردي ، والتحريض على الدستور وسيادة القانون، والرؤى الديمقراطية، مع الحض على التمسك بقيم الإسلام الأصيلة، وفتح الأذهان صوب التطورات

مثلت كل من إيران وافغانستان المحطات الأولى في حياة السيد الأفغاني وفيهما نشأ وترعرع، وتعلم بعضاً من علوم القرآن الأولية ومبادئ اللغة العربية وكذلك اللغة الفارسية، إضافة للغة الأفغانية وشيئا من علوم الرياضيات(**الحساب**)،وبعض العلوم العامة، وكذلك إطلع على العادات والتقاليد والأداب والموروث الحضاري والثقافي بشكل بسيط لكنه مؤثر حتماً، ولا بد وإنه ترك بعض البصمات والتأثيرات في تكوين شخصيته بصورة مبكرة تختلف عما سبقه من أقرانه وانداده، إذ تميز الافغاني بالصفات الحميدة التي تجمعت في شخصيته من هيئة جذابه وشكل مهيب، واخلاق عالية اثرت أثرها المتميز على سامعيه حين كان يلقي عليهم بخطبه الحماسية لكي يستنهظهم من الغفلة ويزرع في عقولهم أفكاره ومبادئه الإصلاحية في محاربة الاستبداد وتعميق الوعي ضد الغزو الغربي لبلاد المسلمين [2].

كانت مخايل الذكاء وقوة الفطرة وتولد القريحة وشدة التفكير والفطنة تبدو عليه منذ صباه بالشكل الذي أتاح له التعلم واكتساب المعرفة في فترة مبكرة من خلال دراسته في مدارس **كابول وقزوين وطهران**[3]، ومن ثم مواصلة رحلته المعرفية والفكرية برحلاته الأولى إلى العراق ومن ثم الهند للدراسة في مدارس **النجف الأشرف وكربلاء المقدسة** الدينية وزيارة العتبات المقدسة في بغداد وسامراء وكربلاء المقدسة والنجف الأشرف [4].

كانت النجف الأشرف, في اوج نهضتها العلمية, اذ اشتهرت فيها الدراسات الفلسفية والكلامية والأصولية[5],وقد استفاد **الافغاني** من دراسته فيها اذ تفقه على يد اساطين الحوزة العلمية,وخرج منها بعد تعرضه لمكائد بعض العلماء ودسائسهم وفي جعبته ذخر معرفي مهم تنوع بين المنطق والفلسفة والتفسير وعلم الفلك والطب وعلم الكلام [6]. وقدكان الجو الفكري والثقافي والروحي الذي تميزت به المدن المقدسة في العراق بما تمثله من اصالة وعمق في الفكر الأسلامي، وخصوصاً النجف الأشرف وكربلاء المقدسة، أمراً جعل الافغاني يختار هذه المدينة المنطلق الأول للاطلاع على ثقافة عصره، وعلومه، وذلك خلال مرجعية الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري(1241-1281هـ) (1800-1864م)[7] فضلاً عن ازدهار الدراسة الفلسفية في حوزة كربلاء المقدسة منذ عهد الوحيد البهباني وشريف العلماء المازندراني ومن ثم تصدي الشيخ محمد صالح البرغاني للحوزة والتدريس والافتاء في الحوزة[8]. لقد درس الافغاني في رحلته الأولى إلى النجف الاشرف وكربلاء المقدسة لمدة تقارب الخمس سنوات، نهل من علومها في التفسير والحديث والفقة والأصول والكلام والمنطق والحكمة والرياضيات والطبيعات،ومقدمات الطب والهيئة وغيرها[9]. وكانت دراسة الافغاني الأولى في النجف الأشرف على يد واحد من أشهر الشخصيات الفقهية والعلمية في الحوزة العلمية آنذاك، هو المرجع الأعظم الشيخ مرتضى الأنصاري، والذي اعتنى به أيما أعتناء، وأولاه عطفاً وحبا كبيراً وبشر في رسائله إلى أهل الأفغاني وله شخصياً بحسن مستقبله[10].

وقد قسمت دراسة الأفغاني يوم كان طالب علم في حوزة النجف الدينية التي تلقى الدراسة على يد أساطينها مدة تقارب **العشر سنوات** كما ذكرت بعض المصادر[11] على مرحلتين درس في المرحلة الأولى منهما العلوم العالية في التفسير والحديث والفقه والأصول والكلام والمنطق على يد استاذه الكبير الشيخ الانصاري، وفي الثانية أكمل دراسته في الفلسفة والمنطق والعرفان والحكمة الإلهية والعلوم العقليةوالمعنوية على يد الفيلسوف العالم صاحب

المدرسة العقلية والعرفانية العاليةالآخوند حسين مكي الهمداني[12],كما درس علي يد علماء آخرين في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة [13].

ولا مراء في إن الرعاية المتميزة والعناية الكبيرة اللتين أولاها الشيخ الأنصاري لتلميذه جمال الدين ،إضافة الى ما عرف عن الأخير من شدة الذكاء والميل الى الجدل والتفلسف، قد ادت الى حصول بعض الفتور في علاقته مع بعض زملائه الذين أضمروا له السوء بسبب حسدهم للمكانة التي وصل إليها الأفغاني لدى استاذه الشيخ الأنصاري[14]، والثابت أيضاً انه (أي الأفغاني) قد احدث ضجة وجدلاً خلال فترة وجوده في النجف الاشرف بشأن دعوته الى اصلاح ما كان متبعاً بشأن الدراسة في النجف الاشرف وطرقها وكتبها المؤلفة بالأسلوب القديم وطبعها، وانتقاده لبعض العادات مضافاً الى ذلك, منها الضرب بالسلاسل على الظهر في شهر محرم الحرام (عاشوراء)وغيرها، فانقسم الناس بشأن ذلك،وكان الأغلب منهم قد أيده وناصره في ذلك الوقت[15]. ولذلك نصحه الشيخ الأنصاري الذي كان يحترمه ويقدره كثيراً بالسفر الى الهند، وفعلاًارسله الشيخ الأنصاري اليها مع بعض خواصه ويدعى(**البير**) في نهاية العام 1854م[16].بيد ان السيدالافغاني قد عاد مرة أخرى الى النجف الأشرف في العام 1857 لوجود إضطرابات في الهند نتيجة انتفاضة ضد الأنكليز هناك [17] ، وليكمل دراساته العالية وتوجه لإداء فريضة الحج ثم رجع إلى النجف الاشرف وواصل دراسته مرة أخرى على يد الشيخ الأنصاري،بيد أن مدة دراسته الثانية التي لم تسعفنا المصادر في تحديد المدة التي بقي فيها الأفغاني خلالها، لم تخل من بعض الجدل والأختلافات مع بعض العلماء ورجال الدين حول امور شتى تمحورت حول منهج الدراسة والأصلاح والتجديد، ويبدو ان الأفغاني قد استفاد فعلاً من رحلتي النجف الاشرف والهند، إذ ذكرت بعض المصادر انه تميز على أقرانه من تلامذة الشيخ الأنصاري االأمر الذي دلل على تفوقه ونبوغه العلمي,ولهذا خرج**الافغاني** من النجف الاشرف بعد تعرضه لمكائد بعض العلماء ودسائسهم وفي جعبته ذخر معرفي مهم تنوع بين المنطق والفلسفة والتفسير وعلم الفلك والطب وعلم الكلام.[18]،

لقد كان شأن **الأفغاني** كشأن الأخرين من أبناء جيله من الأدباء والمثقفين وطلاب العلم في النجف الأشرف، إذ شدته الرغبة والميول الفطرية أول الأمر بالمجالس الأدبية والدينية والمآتم الحسينية التي تنشد فيها خيار المراثي والمدائح الحسينية ،فقد كان لهذه المجالس في المدن المقدسة, وخصوصاً في النجف الأشرف, شأن كبير في التوعية والتوجيه الأدبي والفكري، ولابد أن السيد الافغاني قد استفاد حتما من هذه المجالس في صقل ثقافته وخلفيته المعرفية والفكرية،وبعث مواهبه ومداركه الأدبية في نفسه ذات الأستعداد والقابلية الفطرية، إذ ان هذه المجالس كانت بلا شك مدارس أدبية وثقافية نهل منها العديد من الطلبة والشباب ورجال الاصلاح والتجديد الكثير من المعارف الثقافية والأدبية واللغوية [19]

إن الاطلاع بشكل واف وجدي على مؤلفات وخطب جمال الدين الأفغاني سواء المنشورة منها في صحيفته "**العروة الوثقى**" أو في مجلة "**ضياء الخافقين**" والتي تم نشرها في (**اعماله الكاملة**)[20] ،إضافة إلى الصحف والمجلات الأخرى, وخطبه التي القاها في مختلف البلدان الإسلامية وغيرها في أوقات متفاوته ، تؤكد وتدل على حقيقة ماذهبت إليه العديد من المصادر التي اشارت الى دراسته في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة،إذ ان هذه المؤلفات والخطب كانت تنم في واقع الأمر عن معرفة اكيدة بتراث الفلسفة الإسلامية، وخصوصاً فلسفة ابن سينا[21],إذ كانت مثل هذه المعرفة سهلة المنال آنئذٍ في المدارس الشيعية،حيث بقيت تعاليم ابن سينا حية فيها أكثر مما بقيت حية في

مدارس الإسلام السني[22].,ومن الأمور الأخرى الطريفة الدالة من جانب أخر على تأثر الافغاني ببيئة النجف الاشرف وعاداتها وتقاليد مجالسها الأدبية والدينية انه كان يشرب الشاي بكثرة وهي عادة تميزت بها هذه المجالس, إذ كانت تستخدم فيها تقنية(السماور)المعروفة باستخدام(قوريين) لشرب الشاي[23]

كان السيد جمال الدين الأفغاني يحاول الاستفادة من وجوده في بيئة النجف الأشرف العلمية والأدبية والدينية, إذ كانت له في تلك المدة مناظرات ومناقشات مع العلماء والأدباء في النجف الأشرف[24],فقد تركت هذه المجالس حتماً آثارها البالغة في شخصية السيد الافغاني وعززت من ثقافته واطلاعه والمامه بالبيئة الأدبية والعلمية والفكرية في المدينة, وقد نقل السيد الافغاني تجربته في هذه المجالس الى مصر ابان اقامته فيها فيما بعد[25], إذ عرف هناك بمجلسه اليومي الذي أصبح تقليداً سار عليه الكثير من رجال العلم والأدب في القاهرة وغيرها من المدن المصرية[26].

لقد تجلى تأثير المجالس الأدبية والدينية والثقافية في تكوين جمال الدين الأفغاني الثقافي والفكري من خلال حرصه كما اسلفناعلى نقل هذه الظاهرة الصحية من النجف الأشرف وإدامتها طيلة مدة إقامته في مصرفي سبعينيات القرن التاسع عشر،إذ كان للسيد جمال الدين مجلس أدبي وعلمي وثقافي مشهور يرتاده العديد من المثقفين ورجال العلم والإصلاح والطلبة[27] وقد إستطاع الافغاني من خلال تلك المجالس توثيق العلاقة بين النجف الأشرف والقاهرة، إضافةً إلى اثره العظيم في تسيير دفة الحركة الأدبية والصحافية في مصر آنذاك[28]،بيد إن الافغاني لم يقطع صلته بالنجف الاشرف بل عده بعضهم صوت النجف الاشرف في المحافل العلمية والأدبية في القاهرة بما أخذه من علوم فلسفية وكلامية واصولية وفقهية،وكانت القاهرة في تلك الفترة ملتقى طلبة العلم والفكر والأدب والثقافة من داخل مصروخارجها [29] ، فضلا عما كان للازهر الشريف من اثر في حفظ اللغة العربية وادابها ، ولا غرو في أن جمال الدين الأفغاني قد سافر كثيراً بعد ذلك وساح في أرجاء العالم المختلفة ، فأكتسب من هذه السياحات علوماً كثيرة ،وتجارب ثرة أضافها إلى ثقافته الإسلامية الأصيلة التي نهلها من النجف الأشرف وكربلاء المقدسة، اذ ان الحياة في الازهر الشريف لم تكن تختلف عن الحياة في النجف ،وقد شكلت هذه الثقافة الأصيلة والمعرفة الواسعة عنصراً مهماً في شخصيته مكنته أن يتبوأ مكانة متميزة في أوساط أهل العلم والأدب والسياسة وفتحت له الآفاق الرحبة للوصول إلى مراكز القرار السياسي والتأثير عليه في العالم الإسلامي آنذاك [30].

أن رحلات السيد الافغاني وزياراته للنجف الأشرف وكربلاء المقدسة المقدسة, ودراسته فيهما ولقاءاته برجال الاصلاح وطلبة العلم ورجال الدين المتنورين ،كان لها الدور الكبير في بلورة شخصيته القيادية والاصلاحية, وكذلك تنمية قدراته العلمية والمعرفية, وبالتالي أيضاً أسهمت في صقل تجاربه ومعالم مسيرته النضالية ضد الاستعمار والاستبداد بكل أشكالهما, فضلاً عن محاربة الجهل والتخلف وكذلك الدعوة الى التجديد والاصلاح في كل مجالات الحياة, إذ ان أنظمة ومناهج التدريس في الحوزات العلمية في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة المقدسة, قد ساهمت بشكل أساسي في تكوينه الثقافي والفكري, وكان لهذا العامل بالذات أثراً مهماً في خلق مجال مهم لتخريج زعامات دينية وفكرية سياسية بأنماط موائمة بظروفها التاريخية, وهذا ما يمكن ان نشهده في بروز عدد من مراجع الشيعة في اوقات مختلفة وقيامهم بدور الزعامة الدينية والسياسية في آن معاً. لقد كان جمال الدين معروفا لدى العلماء والأوساط المثقفة في سائر المدن العراقية وخصوصا بغداد والمدن المقدسة كالكاظمية والنجف الاشرف وكربلاء المقدسة,اذ درس في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة في مراحل متفاوتة خلال المدة من العام 1849الى العام

1863[31] . وتكررت زيارته لهذه المدن سواء عن طريق اداء مراسيم الزيارة لمراقد أئمة آل البيت(**عليهم السلام**) او المرور عبر العراق الى الحجاز لاداء فريضة الحج[32] , لقد اتفقت أغلب المصادر على أمر واحد قلما اتفقت على غيره بخصوص السيد الافغاني ذاته, الا وهو رحلته الى العراق في العام 1891م, منفياً من قبل ناصر الدين شاه ايران ومروره في تلك الرحلة بخانقين وبغداد والكاظمية ثم سفره الى البصرة وبقائه فيها لأكثر من ستة أشهر([33])وبعد ذلك قيامه بزيارة النجف الأشرف وكذلك كربلاء المقدسة سراً ولقائه في النجف الاشرف بصديقه وزميله في الدراسة السيد محمد سعيد الحبوبي[34]) , هذه الرحلة التي أجمعت عليها كما أسلفنا كل المصادر التي تصدت للكتابة عن السيد الافغاني كانت المفتاح الذي أعطى الباحث مبرراً كافياً لتأكيد وجود زيارات أخرى سابقة لتلك الزيارة التي قام بها السيد الافغاني الى النجف الاشرف وكربلاء المقدسة ودرس فيهما, وهو ما ذكرته مصادر عديدة اكدت بأن السيد الافغاني قد درس في هاتين المدينتين لمدة تقارب العشر سنوات ولمدد متقطعة[35], وبالتالي فان علاقة جمال الدين بهاتين المدينتين كانت وثيقة لدرجة انها تركت آثاراً واضحة في مسيرة حياته الفكرية والسياسية اللاحقة.

ومهما يكن من امر فان الاطلاع على تفاصيل رحلة جمال الدين الافغاني الى العراق في العام 1891م منفياً من قبل ناصر الدين شاه ([36]) وزيارته السرية للنجف, وقراءة أهم ما حصل في تلك الرحلة من أنشطة وفعاليات, واستعراض آليات أعماله السياسية والإصلاحية وطبيعتها, وما ورد فيها من خطابات ولقاءات وكتابات له أبان وجوده في بغداد وسامراء والنجف الاشرف والبصرة, يعطينا دليلاً واضحاً بأن تلك الرحلة والزيارات التي قام بها لتلك المدن ما هي الا تتويج واستمرار لزيارات ورحلات سابقة كان لها أثر كبير في بنائه الفكري والمعرفي, إذ جاء الى العراق في العام 1891م, وهو مصلح كبير وصاحب مشروع سياسي واصلاحي عظيم يشار له بالبنان, وقد غطت أخباره كل بلدان المشرق والمغرب, ومنها العراق ([37])

ناهيك عن علو منزلة السيد الأفغاني كزعيم لحركة اصلاح وتجديد في الاسلام ,وذلك عبر مجلة "**العروة الوثقى**" التي كان يصدرها في باريس مع تلميذه الشيخ محمد عبده,فضلا عن وصول اخبار السيد الأفغاني ونشاطاته الاصلاحية وكفاحه ضد الحكام المستبدين والمستعمرين الى اغلب المدن العراقية الرئيسة عن طريق الصحف والمجلات مثل "**المقتطف**" و "**الهلال**" وغيرهما من الصحف والمجلات الاخرى[38]) ان الاستعمار الخارجي والاستبداد الداخلي والتأخر والجمود الفكري والغفلة الشاملة, كانت هي العناصر الجوهرية لحالة الشرق عامة في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي[39]، وتلك هي حالة الشرق في الوقت الذي ظهر فيه جمال الدين الأفغاني، فكان لها ولا ريب ايما دخل في تكوين شخصيته واتجاهاته السياسية والفكرية والتمهيد لبداية كفاحه ضد الاستعمار والاستبداد، الأمر الذي جعل النضج السياسي للسيد جمال الدين الأفغاني يبدو مبكراً خلال منتصف القرن التاسع عشر، فكان الغزو الفكري والثقافي الأوربي والاحتلال البريطاني للهند المجاورة لافغانستان، تأثيرات أساتذة جمال الدين في كل من بلاد الافغان وايران وبدرجة أكبر في العراق بالنجف الأشرف وخصوصاً الشيخ الأنصاري والشيخ الهمداني[40]، كل هذه العوامل أثرت في نشأته السياسية وولدت لديه ما يشبه نظرية التحدي والاستجابة ان صح التعبير. ولكن من الحق ان نقول ان هذه الحالة لم تحرك في نفوس معاصريه ما حركته في نفسه , فلماذا كانت العامل المؤثر في تكوين شخصيته؟,

شهد الأفغاني خلال فترة دراسته الاولى في النجف الأشرف (**1849-1854**)انتفاضتين مهمتين قام بها اهل النجف ضد تسلط الولاة العثمانيين في بغداد[41]، واستبدادهم وسياستهم القائمة على مبدأ تجاهل المشاعر

الوطنية والقومية للعراقيين واستخدام اساليب البطش والتنكيل في معالجة مشكلاتهم ومطاليبهم المشروعة والتي ادت إلى تصليب أعواد المقاتلين من أبناء المدن العراقية ورجال العشائر ونضج اهدافهم وحصول حالات من الاتصال والتنسيق والعمل المشترك بين صفوف الثوار مما يشعر بارتقاء حركة المقاومة في العراق آنذاك إلى مستوى تنظيم جيد[42]، انعكس فيما بعد على الثورات والانتفاضات التي شهدها العراق وخصوصاً في بداية القرن العشرين. ولم يغب عن بال الأفغاني وهو يلاحظ ذلك عن قرب، كل تلك المعاناة والظلم والقهر الذي ناله ابناء النجف الاشرف من العراقيين،الامر الذي استشعر الأفغاني بالكراهية الشديدة للاستعمار والاستبداد بكافة اشكالهما وزاد من ايمانه بضرورة محاربتهما بشتى الوسائل والسبل،[43].

لم يقتصر اثر الاستبداد والاستعمار في شخصية جمال الدين الأفغاني على ما تقدم ذكره من الحوادث التي شهدها الأفغاني وأثرت في نفسه، بل تجاوزت ذلك إلى ان البعض من اساتذته وشيوخه قد رسخوا كرهه للانجليز وللاستبداد والاستعمار الغربي بكافة أشكاله، فمن جملة الأمور التي تروى عن استاذ الأفغاني الشيخ مرتضى الانصاري، قضية(**خيرية اودة**)[44],والتي كانت من الأمور التي تدل على كره الشيخ الأنصاري الشديد للاستعمار الغربي وللانجليز بالذات، وكم من المرات التي طلب فيها العديد من السياسيين الانجليز مقابلة الشيخ الانصاري إلاّ انه كان يجابه تلك الطلبات بالرفض وبطرق متعددة[45].

كما كان لأستاذ الأفغاني الآخر الشيخ حسين قلي الهمداني بعض المواقف التي يستدل منها أيضاً كرهه الشديد للاستعمار بكافة أشكاله. ورفضه السيطرة الانجليزية على بلاد الاسلام, ومن هذه المواقف الجديرة بالذكر وقوفه ضد البضائع الانجليزية وبعض الاكتشافات الغربية التي كانت تدخل بلاد الاسلام تحت مسميات وأغطية مختلفة،إذ كان يوجه التحذيرات المشددة لتلامذته ومريديه من مغبة الانسياق لمحاولات التغريب الثقافي والاقتصادي والاعراض عن الهوية الاسلامية الأصيلة[46]،لذلك فقد كان الشيخ الهمداني يرى ان الاكتشافات العلمية للغرب أمر جيد إذا لم يحمل مخاطر التبعية والخضوع للعدو الكافر لأن هذه المخاطر تستهدف الهوية الإسلامية في الصميم وهذ خط أحمر لا يمكن تجاوزه من اجل أي مصلحة أخرى, وان تلك الاكتشافات العلمية برأي الهمداني ايضاً عندما تصدر الى البلدان المتخلفة كانت تشكل وسيلة للاخضاع والاستعباد وتحمل شر التبعية للأجانب، وهذا أهم من منفعة الاستفادة منها كأكتشافات علمية[47]. ولا مراء في ان هذا التحليل يمثل في الواقع انموذجاً لوعيّ مبكر للغاية يتقدم كثيراً على مستوى الوعي العام في تلك الأيام، وهو الأمر الذي لم يكن غائباً عن ذهن جمال الدين المعروف أساساً بكرهه للاستعمار بكل اشكاله وكذلك تميزه بالوعي والفطنة والذكاء وقوة الملاحظة، مما جعل تأثيرات أساتذته في هذا الجانب في شخصيته أمراً ظاهراً للعيان وبشكل يجسد مدى تأثره الشديد بهم.واضافة لما تقدم فأن جمال الدين قد رأى بلا شك ما بذلته السياسة الانجليزية لتفريق الكلمة وبث الدسائس في بلاد الافغان، واشعال نار الفتن الداخلية فيها، واصطناعها لاولياء من بين امرائها, ولا مراء في ان هذه الاحداث قد كشفت للسيد جمال الدين عن مطامع الانجليز، واساليبهم الخبيثة في الدس والتفريق وغرست في فؤاده روح العداء للسياسة البريطانية خاصة، والمطامع الاستعمارية الأوربية عامة، وقد لازمه هذا الكره طوال حياته، وكان له مبدأ راسخاً وثابتاً لم يحيد عنه، وقد أطّر اعماله وآراءه وحركاته السياسية[48]. ولهذا فقد جعل الأفغاني من اهم أهدافه محاربة الاستعمار والنفوذ الاجنبي في البلاد الاسلامية، والذي لعب بمقدرات البلاد، وعلى رأس ذلك نفوذ بريطانيا التي فرقت البلاد الاسلامية آنذاك[49].

ومما تقدم يتبين لنا مدى تأثير دراسة الافغاني في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة وتأثيرات أساتذته الأنصاري والهمداني وكذلك الشيخ **صالح البرغاني** على وجه الخصوص في بنائه المعرفي والفكري فضلاً عن التأثيرات المبكرة لبيئته الأولى وتعليمه الأولي في كابول وقزوين و طهران والهند,إضافة إلى رحلاته الكثيرة التي وسعت معارفه ومداركه وكذلك تجاربه السياسية والعسكرية في أفغانستان, فضلاً عن تعلمه للعديد من اللغات والتي ساهمت في تنويع ثقافته ومعرفته مما أهلّه بحق أن يكون رائداً من رواد التنوير والإصلاح في العالمين العربي والإسلامي.

كان السيد جمال الدين طموحا ، واسع الاطلاع في العلوم العقلية والنقلية ، وكان يجيد اللغات " الأفغانية والفارسية والعربية والتركية والفرنسية بالإضافة الى الإنكليزية والروسية ([50]) ، كما ترك بعض الاثار والتأليفات ([51])ووان نشأة السيد **جمال الدين الافغاني** ومواهبه وقدراته جعلت منه فيلسوفاً ثائراً ومكنته من الوصول الى اعظم ما يأمل فيه امثاله من العلماء وهو التاثير في تيار التاريخ حتى قيل ان تاريخ الشرق الاسلامي في ثوراته ضد الاستبداد والاستعماروالاستغلال لن ينفصل عن تاريخ السيد جمال الدين الأفغاني

المبحث الثاني

تأثيرات الافغاني الفكرية والعلمية والسياسية في مصر

استمرت رحلات الأفغاني وهذه المرة الى الهند في العام 1868 للمرة الثانية بعد ان درس فيها في العام 1855م، وخرج منها الى النجف الاشرف[52] ولكن هذه المرة كان مرغماً على السفرالى الهند[53]، وكانت قد سبقته شهرته إلى تلك الديار لما عرف عنه من العلم والحكمة وما ناله من المنزلة العالية بين قومه ،ولم يكن خافياً على الحكومة الأنجليزية عدائه لسياستها، وما يحدثة مجيئه الى الهند من أثارة روح الهياج في النفوس، خاصةً وان الهند في لحظة قدومه اليها كانت لاتزال تضطرم بالفتن على الرغم من اخماد ثورة 1857م[54] ,فلما وصل الى التخوم الهندية تلقته الحكومة بالحفاوة والأكرام، لكنها لم تسمح له بطول الإقامة في بلادها، وجاء أهل العلم والفضل يهرعون إليه ويستمعون الى احاديثه وما فيها من غذاء للعقل والروح، والحث على الأنفة وعزة النفس، لكن ذلك لم يرق للحكومة فا أنزلته احدى سفنها التي اقلته الى السويس في مصر, فوصلها نهاية سنة 1869[55].

لم يكن الأفغاني يقصد طول الإقامة بمصرلأنه إنما جاء ووجهته الحجاز، فما أن سمع الناس بمقدمه حتى اتجهت إليه أنظار النابهين من أهل العلم، وتردد هو على الأزهر الشريف، واتصل به كثير من الطلبة،فآنسوا فيه روحاً تفيض معرفة وحكمة، فاقبلوا عليه يتلقون منه بعض العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية، والتي درس اغلبها في النجف الاشرف كما اسلفنا، اذ قرأ لهم شرح (**الأظهار**) [56] في البيت الذي نزل فيه بخان الخليلي[57] ,وأقام بمصر اربعين يوماً ثم تحول عزمه عن الحجاز وسافر الى الأستانة (اسطنبول)[58]. وفي الأستانة لم يسلم من كيد الوشاة والحاسدين وخصوصاً (**شيخ الإسلام**) [59] ،الذي أثار اللغط حول بعض آراءالسيد جمال الدين إلى درجة إتهامه بالزيغ والإلحاد,مما حدا بالحكومة العثمانية الطلب من السيد مغادرة البلاد تسكيناً للخواطر, فرحل عنهاإلى مصر مرةً أخرى سنة 1871م[60] . وعند رجوعه الى مصر هذه المرة ، أتبع أسلوب الكتابة في الصحف والمجلات فضلاً عن الخطابة وتوعية الانسان العربي المسلم،وقد اعتاد الأدباء والكتاب آنذاك في كتاباتهم على أساليب الإنشاء المعوّلة على السجع والمحسنات اللفظية دون الاهتمام بقضايا المجتمع وهمومه ومشاكله،وهذا ما دعا السيد الأفغاني الى تطوير تلك الأساليب والحض على كتابة المقال القصير المعوّل على اللغة السهلة والممتنعة، وقام بتدريب

عدد من تلامذته على هذا النوع من الكتابة، الأمر الذي أدى إلى تقدم فن الكتابة في مصر، بيد أن، عملية التطوير اللغوية هذه والتي قادها السيد الأفغاني قد جاءت خدمة لمشروعه الفكري والعصري[61].

وقف السيدجمال الدين الأفغاني وراء تأسيس عدد من الصحف المصرية كجريدة "**مصر**"[62] التي كلف((**أديب اسحق**))[63] بالأشراف على اصدارها،وفيها كتب السيد الأفغاني تحت اسم مستعار هو((**المزهر بن وضاح**))أهم مقالاته وأكثرها جدلاً هي "**الحكومات الشرقية**"[64] و"**روح البيان في الانكليز والأفغان**"[65]وكذلك انشأ **السيد الأفغاني** في مصر جريدة "**التجارة**"[66]،وتولاها كل من ادبب اسحق وسليم النقاش[67]،واختار مدينة الإسكندرية مقرا لها لأن الأنباء الدولية كانت تصل إليها أسرع من **القاهرة** بسبب وجود الجاليات الأجنبية فيها[68]،مما يدلل على بعد نظر السيد الأفغاني وسعة مداركه.وبايحاء مباشر من السيد الأفغاني أيضاً أنشأ((**يعقوب بن صنوع**))[69]،صحيفة"**ابو نظارة زرقاء**" وهي أول صحيفة عربية ساخرة كاريكاتيرية كانت تهدف إلى انتقاد اعمال **الخديوي اسماعيل** بأسلوب هزلي ساخر[70]،بيد ان الصحيفة نفسها قد تعرضت للتعطيل والاغلاق بعد عددها الخامس عشر والذي هاجمت فيه الخديوي بشدة[71].

جعلت رحلات وزيارات السيد الأفغاني المتكررة للبلدان الاسلامية وخاصة استانبول والقاهرة وبغداد وطهران وزياراته الى دول اروبا، جعلت منه زعيماً اسلامياً فكرياً له قاعدة جماهيرية في البلدان الاسلامية[72].كان عالماً فقيهاً بارزاً، وقد اعتبر((**أبا للصحافة الثورية في الشرق**))[73]،بعدأن أسس نواة النهضةالصحفية في مصر[74]، وكان له اليد الطولى في بروز نخبة ممتازة من الصحافيين والكتاب هناك.

كانت حالة مصر إبان عودة السيد جمال الدين إليها سنة 1871على حد وصف بعض المؤرخين والكتاب:" **إنها كانت في عهد مظلم،وان عهد الخديوي إسماعيل(75) قد لوث جميع الطبقات ، وأطفأ جذور الشجاعة والاستقلال في صدور العلماء، وما لبثت النار والغيرة اللتان تدفق لهما حديث جمال الدين السيد الأفغاني أن جمعت حوله العلماء والشباب لإيقاد الثورة** "[76] .

احتضنت مصر السيد الأفغاني بناءً على تطبيق القاعدة التي سنها الخديوي اسماعيل في بدايات حكمه والمتمثلة في طموحه لجعل مصر مركزاً للاشعاع الثقافي رغم قسوة عهده وكثرة شكاوى الشعب المصري وتذمره, وكان من حظ مصر والسيد الأفغاني ان يلتقي كل منهما بالاخر, فمصر كانت تعاني الالام التي سببها لها اسماعيل لذا كان هبوط السيد الأفغاني على ارضها في وقت هي في اشد الحاجة الى مصلح ياخذ بيدها سبباً في اخلاصه لها وبعثها عن طريق تعاليمه التي لاقت بالفعل استجابة واعية من المصريين, الامر الذي دعا محمد عبده الى ان يعد هذا الامر احد الاسباب المهمة في نهضة مصر اذ قال عن السيد الأفغاني:"**انه باعث النهضة الوطنية في مصر، وان هجرته اليها، واقامته فيها من العام 1871الى العام 1879 كانت بعثاً وطنياً وسياسياً لها وحداً فاصلاً بين ماضي مظلم وحاضر مضيء ومستقبل مبشر بالكرامة والحرية**"[77].

عاصر الافغاني في مصرخلال المدة الواقعه بين **اذار سنة 1871م و24 اب سنة 1879** م بعثة (G ave)[78] **سنة 1875** م التي اوفدت الى مصر لفحص ماليتها وإنشاء مصلحة للرقابة الماليه يخضع الخديوي توفيق لها حال مباشرتها, وقد تمثلت تلك الرقابة في صندوق (**الدين**) الذي انشئ في **سنة 1876** م,فضلا عن انشاء نظام الرقابة الثنائية لمراقبة مصروفات الحكومة من اثنين:احدهما انجليزي والاخر فرنسي, وكذلك أنشاء لجنة مختلطة لإدارة السكة الحديدية وميناء الاسكندرية ,ثم تطورات الرقابة الثنائية التي آدت الى تأليف وزارة مختلطة يدخلها وزير

انجليزي لوزارة المالية, واخر فرنسي لوزارة الاشغال برئاسة (**نوبارباشا**)[79],مما يدل على سعة مقدار النفوذ الاوربي المتمثل في النفوذ البريطاني في مصر أبان أقامة **السيد جمال الدين الافغاني** فيها قبل الاحتلال البريطاني الرسمي لمصر في سنة **1882** م.

كانت عناصر التحرير التي نشر لواءها جمال الدين السيد الأفغاني في مصر وقوي سلطانها في البلاد، تتوسم في إنفاذ إصلاحات عظيمة على يد الملك توفيق ، ويظهر إن الأخير وقبل ارتقائه العرش المصري كان قد عاهد السيد الأفغاني وخاصته على انه إذا آل إليه الامر أيدهم في جهودهم الإصلاحية ونتيجة لمواقف السيد جمال الدين الافغاني المقاومة لكل اساليب الانكليز في مصر فقد تم ابعاده عن وادي النيل الى حيد اباد في الهند بمشورة القنصل الانكليزي في مصر(**المستر فيفيان**) على الخديوي توفيق في العام **1879**م,وكانت التهمة الموجهة للافغاني انذاك هي انه ترأس خلال اقامته في مصر "**جمعية من الشبان ذوي الطيش تجتمع على فساد الدين والدنيا**"[80].

كانت للسيد جمال الدين مجالس سيارة في القاهرة غنية بالعلم والأدب والسياسة، كما وصفها (**الصحفي سليم عنجوري**)[81] فقال: **((ان الفئة التي كانت تتألف حوله على هيئة نصف دائرة فيها اللغوي، والشاعر والمنطقي والطبي والكيمياوي والتاريخي والجغرافي والمهندس والطبيعي، وإنهم كانوا يتسابقون على القاء أدق المسائل عليه، ويبسطوا اعوص الأحاجي عليه، فيحل أشكالها فرداً فرداً أو يفتح إغلاق طلاسمها ورموزها واحداً واحداً بلسان عربي لايتلعثم ولا يتردد بل يتدفق كالسيل من قريحة لا تعرف الكلال فيدهش السامعين ويفحم السائلين))**[82].

لقد إكتسب جمال الدين شهرة عظيمة في القاهرة , إذ ذاع صيته وانتشرت اخباره, حتى إذا ما اتجه الى اسطنبول كانت شهرته قد سبقته إليها، وفتحت أمامه الطريق ليحتل موقعاً في مركز الخلافة الرئيسي حيث عهد إليه بإدارة شؤون المعارف فيها[83] حتى قال عنه الأديب المعروف جرجي زيدان[84] وهو يصف قوة تأثيره على تلامذته وسحره الفطري على مريديه: "ففتحوا أعينهم وآذانهم في ظلمة، وقد جاءهم النور فاقتبسوا منه فضلاً عن العلم والفلسفة، روحانيةً أرتهم حالهم كما هي، إذ تمزقت عن عقولهم حجب الأوهام ونشطوا للعمل في الكتابة وانشأوا الفصول الأدبية والحكمية والدينية"[85].

ان تأثير السيد الأفغاني كان جليا في الثورات والحركات الإصلاحية التي شهدها العالم الإسلامي،وابتدأت في مصر،وكما قال احد الكتاب المصريين في تأكيد أثر السيد الأفغاني في هذا المجال: "**ومما لا مراء فيه إن حركة الإصلاح التي دبت في جميع نواحي الحياة العلمية والسياسية والاجتماعية في مصر، إنها كانت من أثر السيد الأفغاني وان تعاليمه قد نفذت إلى عروق جميع أفرادها فأثمرت ثمرها،واتت أكلها، وبدأ في كل جهة أثرها، فاستيقظت النفوس، وانبعثت الهمم لتبلغ مآربها التي تؤدي إلى استقلال الأمة وإسعادها،وفي الآثار البالغة في تلك الوثبة الوطنية التي استطار شررها في البلاد سنة 1882م،والتي أطلق عليها اسم (الثورة العرابية)**[86] **التي اجمع كل المؤرخين بأنها كانت أثرا من آثار السيد جمال الدين السيد الأفغاني فلم ينشأ الدافع الأول لحركة الإصلاح من مصر نفسها،بل كان صدى تعاليم جمال الدين السيد الأفغاني وأثرا من أثاره وكان كذلك العامل الجوهري الأول في إحياء حركة التجديد في مصر**"[87] ،وبعد نهاية الثورة العرابية في مصر سمحت له حكومة الهند بمغادرة البلاد فعاد جمال الدين إلى مصر،واستقبل استقبالا حارا وهناك نشط في حربه، فبث في نفوس الشباب

المصريين الأمل في التحرير من السيادة الأوربية إذا ما اقتبسوا ثقافة الغرب المادية ومناهجه العلمية، ابتغاء الدفاع عن الإسلام بوصفه دينا أكثر إمعانا في مضمار الرقي [88].

وفي المدة التي قضاها السيد الافغاني في مصركانت له لقاءات كثيرة مع مختلف فئات الشعب المصري وكانت الخطابات التي يلقيها على مسامعهم تمتاز بالجرأة البالغة وهذا يعد شيئاً جديداً عليهم ،ومن الخطابات هذه الخطبة المعبرة التي قال فيها :" **إنكم معاشر المصريين قد نشأتم في الاستعباد وربيتم في حجر الأستبداد ،وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة حتى اليوم وانتم تحملون عبء نير الفاتحين، وتعنون لوطأة الغزاة الظالمين ... تناوبتكم أيدي الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس ثم العرب والأكراد والمماليك ثم الفرنسيس والمماليك والعلويين ،عسفة ،وانتم كالصخرة الملقاة في الفلاة، لاحس لكم ولا صوت، انظروا اهرام مصر وهياكل منفيس وآثار طيبة شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم .. هبوا من غفلتكم ،انفضوا عنكم غبار الغباوة والخمول،عيشوا كباقي الأمم أحراراً سعداء،أو موتوا مأجورين شهداء** "[89] وأكد السيد الأفغاني في خطبة له في الاسكندرية في المعنى نفسه فقال :" **أنت أيها الفلاح المسكين تشق قلب الأرض لتستنبت ما تسد به الرمق وتقوم بأود العيال فلماذا لا تشق قلب ظالمك؟، لماذا لا تشق قلب الذين يأكلون ثمرة اتعابك ؟**"[90].

إن التمعن في النصين المتقدمين يوضح لنا ان استخدمنا مفردة أكثر تواضعاً من مفردتي الثورة او التمرد،إن ما دعا له السيد جمال الدين الأفغاني هنا هو العصيان أو حتى الرفض,بيد إن كل كلمة من هذه الكلمات أقل من سابقتها درجة في الشمولية والجذرية، وربما كان هذا في نهاية الأمر متفقاً مع نزعة الافغاني المركزية،وهي في جوهرها نزعة محافظة،فلم يكن يخطر بباله أن يدعو الى تغيير جذري،الى تغيير كل شيء،بل كان كل ما شغله هو تغيير الاتجاه وحسب،تغييراً يعود بالأمة الى طريق السلف الصالح،وهنا يتبين خطأ المفسرين،وكذب بعضهم حين تحدثوا عن الافغاني على انه داعية الثورة،وربما يكون للبعض عذرهم،فهناك عنده في خطبه وأحاديثه التي استعرضنا قسماً منها ما يدل على ذلك،ولكن هناك فرق ثورة وثورة،فالثورة هي التغيير من الجذور.بيد ان اتجاه الافغاني هذا لايمكن فصله عن طبيعة تأثره الواضح باساتذته في النجف الاشرف واساليبهم في رفض الواقع الفاسد وكره الاستعمار والاستبداد فضلا عن الميل الى التجديد كما مر بنا في استعراضنا لروافد بناء السيد الافغاني المعرفية والفكرية.

وبعد نفيه من قبل **الخديوي توفيق** من **مصر** إلى (**بومباي**) بالهند في العام **1879**م، سمع السيد الأفغاني بوجود جماعة موالية للانجليز تدعى بـ((**جماعة الدهريين**))، تقدم تفسيرات مغالية للكون ولظواهر الطبيعة بطابع علمي تقدم للناس.بشكل يناقض الفكر الاسلامي[91]. وهذا ما أثار حمية **السيد الأفغاني** للرد على هذه الجماعة كونها ممالئة للانجليز فكتب رداً على ما تدعيه تلك الجماعة مسفها أقوالها. ومقولاتها وأطلق عليه تسمية ((**الرد على الدهريين**))، وأراد القضاء فكرياً عليهم ولكن رغبته لم تتحقق بسبب نشوب الثورة العرابية بمصر في العام **1882** بقيادة أحمد عرابي، أحد المتأثرين بأفكار السيد الأفغاني، إذ قام الانجليز بنفي الأخير إلى (**كلكتا**) وفرضوا عليه **الاقامة الجبرية** خوفاً من تأثيره[92].وبعد رفع الحصار المفروض عليه شد الرحال الى باريس وقبلها عرج على **لندن** للتفاوض مع الانجليز بمسائل تتعلق **بالسودان ومصر**،ولكنها لم تف إلى أية نتيجة رغم اقتناع بعض رجالات الحكومة البريطانية بوجهة نظره ومن بينهم **سالزبوري**[93]،**والسير ازموند وولف**[94].

وعندما اخفقت الثورة العرابية، واحتل الانجليز مصر في العام **1882**م سمحوا للأفغاني بالذهاب الى أي بلد، فاختار الشخوص الى اوربا، كما اسلفنا، فقصد اليها سنة **1883**، وأول مدينة وردها هي لندن، إذ أقام بها مدة قصيرة، ثم انتقل الى باريس، وكان تلميذه الشيخ محمد عبده منفياً الى **بيروت** عقب اخماد الثورة، فاستدعاه الأفغاني إلى باريس فوافاه إليها، وهناك اصدر صحيفة **"العروة الوثقى"** ،مع تلميذيه الإمام محمد عبده واديب اسحق صحيفة **"العروة الوثقى"** في العام **1883**، وقد سميت الصحيفة بأسم الجمعية التي أنشأتها[95].

كانت مقالات " **العروة الوثقى** " تجمع بين روح السيد جمال الدين وقلم محمد عبدة،اذ اشتركوا معا في تحريرها، فجاءت آيات بينات في سمو المعاني وقوة الروح وبلاغة العبارة، وهي أشبه ما تكون بالخطب النارية[96] تستثير الشجاعة في نفوس قارئها، وتداني في روحها وقوة تأثيرها أسلوب الإمام علي(ع) في خطبه الحماسية المنشورة في كتاب (**نهج البلاغة**)[97]. ولا غرو في ان جمال الدين هو قبس من نور العترة العلوية، فكأن روح **الإمام علي (ع)** تمثلت فيه، وتجلى أثرها فيما يكتبه أو يمليه، الامر الذي يؤكد من دون شك اثر بيئة النجف الاشرف الواضح في أساليب تعبيره وكتابته، وقد اتخذت **"العروة الوثقى"** شعارها (**ايقاظ الأمم الاسلامية**) والمدافعة عن حقوق الشرقيين كافة، ودعوتهم الى مقاومة الاستعمار الأوربي والجهاد في سبيل الحرية والاستقلال[98]. وقد صدر من تلك الصحيفة ثمانية عشر عدداً فقط هزّت الشرق والعالم قبل أن يتم وقفها، وقد صودرت الجريدة في الهند، ووضعت تحت الرقابة في مصر، ثم صدر قرار بمنع دخولها مصر بل تغريم كل من توجد لديه نسخة منها من (**5جنيهات الى 25جنيها)مصريا**[99]، ولعلها كانت عقوبة عجيبة لقراء الصحف آنذاك.

وفي المقال الافتتاحي لأول عدد من جريدة "**العروةالوثقى**" [100] صور **السيد جمال الدين الافغاني** حادث الاحتلال البريطاني لمصر على انه كارثة على العالم الاسلامي وقد اهاب بالمسلمين بباعث من دينهم ان يتكاتفوا لدفع بلاء هذا الاحتلال اذ قال :"**فيا ايها المصريون: تلك دياركم، واعراضكم،وعقائد دينكم، واخلاقكم، وشريعتكم، قبض العدو على زمام التصرف فيها غيلة واختلاسا.. فقد رايتم انه افسد شؤونكم،واقلق راحتكم،ووهب من بلادكم لاعدائكم، واضر بمنافعكم العامة،وقصد الى التدخل فيما يختص بأموركم(كالأوقاف)، وعمد الى خرق سياجكم وازالة قوتكم بطرد جنودكم، وتلك اوائل اعماله فكيف تكون نهايتها**" [101].

لم يترك الأفغاني اهتمامه بالكتابة والصحافة حتى في اصعب الظروف التي مرت به في حله وترحاله، وخصوصاً بعد ان تعرض هو وتلميذه الشيخ محمد عبده الى مضايقات وعقبات عدة وكبيرة من قبل الانجليز واعوانهم من الحكام المستبدين والتي توجت بمصادرة صحيفة **"العروة الوثقى"** في مصر والهند كما مر بنا سابقاً واستحال عندئذ وصول الصحيفة الى قرائها، فاحتجبت عن الصدور، لكن تأثيرها استمر في بعث ويقظة العالم الاسلامي[102].وكان **السيد هبة الدين الحسيني**[103])يعترف بانه احد تلامذة ومريدي **السيد جمال الدين الأفغاني** والسائرين في نهجه التجديدي والاصلاحي هو والعديد من العلماء والشعراء والادباء أمثال الشيخ **عبد المحسن الكاظمي**[104])وفيما بعد **الشيخ عبد الكريم الزنجاني** [105],وكان من اهم وسائل حركته الاصلاحية هي ربط الأندية الثقافية بالعالم الخارجي ،أذ كانت المكانةالمرموقة التي تحتلها حواضر النجف الأشرف وكربلاء وبغداد العلمية مشوبة بسلبية الانقطاع عن العالم الخارجي وعدم الاطلاع على ما يدور فيه من تطورات ثقافية وعلمية,فاندفع السيد هبة الدين لمعالجة هذا الجانب فاتصل خلال اقامته في النجف الاشرف بداية العام **1903**م،بصحف القاهرة وانديتها العلمية ومطبوعاتها التي صارت ترد عليه بكثرة مع فقدانها عند غيره،ليكمل الطريق الذي بدأه استاذه

السيد الافغاني، فتجمع عليه المتعطشون من أبناء العلم الذين حجبت عنهم[106]،وقد اتصل لهذا الغرض بالعديد من رواد التحديث والتجديد والإصلاح, من تلامذة السيد الافغاني والمتأثرين بنهجه الإصلاحي ،ومنهم الشيخ **محمد عبده** و(**جرجي زيدان**) صاحب مجلة "الهلال" المصرية،و(**يعقوب صروف**) صاحب مجلة "**المقتطف**" السورية،وكان بذلك يقتفي آثار أستاذه **الأفغاني** الذي كان يكاتب العديد من الصحف والمجلات والشخصيات المحبّة للإصلاح والتجديد في مختلف البلدان الإسلامية والغربية,فكان **السيد هبة الدين** يراسل هؤلاء وينسق من خلال ذلك علاقات النجف ببلاد الشام ومصر ونفس الامر فعله كل من الشيخ الكاظمي والشيخ الزنجاني فكانوا تلاميذ بررة لنهج الافغاني التجديدي والاصلاحي وكذلك هم اكملوا نهجه في التقريب بين القاهرة والنجف الاشرف[107].

وقفنا فيما تقدم على اهم الدلائل للدورالكبير الذي اضطلع به السيد جمال الدين الافغاني في تعميق الصلات الفكرية والعلمية والثقافية بين النجف الاشرف ومصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر،هذا الدور الذي اكمل تلامذة الافغاني والمتأثرين بنهجه الإصلاحي وافكاره السياسية توثيق وتقوية تلك الصلات الرائعة خلال النصف الأول من القرن العشرين من خلال الزيارات المتبادلة والمراسلات بين العلماء والادباء والمفكرين في كلا من النجف الاشرف والقاهرة

الخاتمة

كان للسيد الافغاني من دون شك اثر كبير في تعميق الصلات الثقافية والفكرية والعلمية بين النجف الاشرف ومصر من خلال التلاقح الفكري والعلمي والثقافي بين جامعة النجف الإسلامية وجامعة الازهر،اذ نقل السيد الافغاني الى القاهرة الكثير من المعارف والعلوم التي التي حصل عليها من دراسته في حوزة النجف وماكان يدرس آنذاك فيها من علوم، فكان الافغاني يلقي على طلبته وتلاميذه ومنهم من كان يدرس في الازهر ماتعلمه خلال دراسته في النجف ( )،ولاغرو في ان كلا من الازهر والنجف الاشرف ،كانتا مقرا للغة العربية وادابها والقران الكريم وعلومه والثقافة الإسلامية وفروعها، وكانت في نفس الوقت معسكرات لمقاومة الاستعمار فكريا وثقافيا . وكانت النجف قبلة القاصدين من ارجاء المعمورة، واذا كان في الازهر أمثال الشيخ محمد عبده يوم كانت الدراسة هناك ، تحكي تماما ماهو موجود في النجف في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، ولم يكن أساتذة الازهر يومئذ يجهلون قيمة النجف الاشرف ومنزلتها ، وهم يدركون انها خرجت شخصية السيد الافغاني التي عرفوا جيدا،فيما بعد ، اثرها العظيم في تسيير دفة الحركة الأدبية والفكرية والسياسية والصحافية في مصر. اذ تأثر الافغاني كثيرا بالبيئة المعرفية والسياسية والثقافية السائدة في النجف آنذاك ،وشهد العديد من الاحداث السياسية والاجتماعية فيها ، الامرالذي ترك وبلا شك بصمات واضحة في نفسية وطبيعة السيد الافغاني تجلت بصورة واضحة في منهجه الإصلاحي والتجديدي وسعيه الدؤوب لمحاربة اهم العلل التي تعاني منها الامة الإسلامية آنذاك وهي الجهل والاستبداد والاستعمار، ولاغرو في ان كل خطابات وكتابات ومحاضرات الافغاني في مصر كانت تتمحور حول تلك الثوابت التي لم يحيد عنها حتى اخر لحظة في حياته

ومما له مغزاه في هذا الجانب، ان جريدة " المكشوف " المصرية قد ربطت في عددها ال(180) الصادر في 1938/1/26.بين رحلة السيد جمال الدين الافغاني التي بدأها من النجف في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الى مصر، والهند وغيرهما ، ورحلة العلامة الكبير الشيخ عبد الكريم الزنجاني من النجف الى مصر والاقطار العربية

الأخرى، اذ ان الشيخ الزنجاني كان من العلماء المتأثرين بالسيد الافغاني والسائرين على نهجه الإصلاحي.وقد افرزت هاتان الرحلتان مكانة النجف العلمية وجوانبها الفكرية والثقافية الكامنة.([108])

ان السيد جمال الدين الافغاني يعد المؤسس الفعلي للصلات الفكرية والعلمية والثقافية بين النجف والقاهرة ،اذ ان تلامذته ومريديه ساروا من بعده على نفس الطريق الذي اختطه في بداية مشروعه الإصلاحي فالسيد هبة الدين الشهرستاني والشيخ عبد المحسن الكاظمي كانت لهم أيضا مساهمات كبيرة في توطيد عرى التواصل بين النجف الاشرف والقاهرة من خلال الزيارات واللقاءات المباشرة وغير المباشرة والمراسلات الصحفية فكانت هذه المؤشرات والاعمال شاهدنا واضحا على ماذهبنا اليه.فقد استمرت تلك الزيارات واللقاءات والمراسلات بعد وفاة الافغاني وترسخت اكثر خلال النصف الأول من القرن العشرين من خلال التأثير والتأثر المتبادل مابين العراق ومصر عموما والنجف والقاهرة بصورة خاصة.

الهوامش

([1]) جمال الدين الافغاني : هو السيدجمال الدين بن السيد صفدر الحسيني الافغاني من دعاة الإصلاح والتجديد البارزين في العالم الإسلامي خلال عهد ناصر الدين شاه ،ولد عام 1838 في قرية (اسد اباد) احدى قرى (كنر) التابعة الى كابول العاصمة الأفغانية ، وكان ابوه (السيد صفدر)من ساداتها ويرجع نسبه الى الامام الحسين بين علي بي ابي طالب (عليهما السلام) ،درس في المرحلة المبكرة من حياته في مدارس كابول وطهران قبل ان يتوجه للدراسة في النجف الاشرف عام 1849 وبقي فيها حتى العام 1854 حيث غادرها الى الهند للدراسة هناك بتشجيع من استاذه المرجع الديني الأعلى آنذاك الشيخ مرتضى الانصاري الذي كان يتوسم فيه كل الخير والتقدم ، لكن الافغاني مالبث ان عاد بعد سنتين الى النجف الاشرف لوقوع انتفاضة ضد الانجليز في الهند وبقي فيها لفترات متقطعة يدرس في مدارسها ومدارس كربلاء حتى العام 1863 حيث غادر الى أفغانستان ومن ثم الى الهند ومصر فالاستانة وطاف انحاء اوربا والجزيرة العربية وايران ثم عاد منفيا الى العراق عام 1891 من قبل ناصر الدين شاه وبقي مايقارب السنة يتنقل بين بغداد وكربلاء والنجف والبصرة ، حتى غادر العراق عام 1892 متوجها الى لندن ثم ااستقر في إسطنبول عاصمة الدولة العثمانية بطلب من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني حتى وفاته عام 1897 م بصورة غريبة تحوم حولها الشكوك. ودفن هناك ثم نقلت رفاته الى مسقط رأسه في العاصمة الأفغانية عام 1944 ، كان الافغاني ثائرا ومفكرا وعالما كبيرا ساهم في تأسيس حركة الثورات ضد الظلم والاستبداد والاستعمار في العالم الإسلامي خلال المدة من الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي وحتى النصف الأول من القرن العشرين ،للمزيد ينظر:صباح كريم رياح الفتلاوي ، جمال الدين الافغاني والعراق دراسة تحليلية في التأثير والتأثر المتبادل ،(بيروت : دار العارف للطباعة والنشر والتوزيع،2014م) ،ص3-67.؛ محمد عمارة ، جمال الدين الافغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام ، (بيروت : مطبعة دار الوحدة ، 1948) ،ص22؛ عبد الرحمن الرافعي ، جمال الدين الافغاني باعث نهضة الشرق ،(القاهرة : دار الكتاب العربي ، 1967م) ،ص 5-8 ؛ طلال مجذوب ، ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية 1906- 1980 م، (بيروت: مطبعة دار ابن رشد ، 1980م) ، 59- 66 ؛

([2])جمال الدين الافغاني والمشروع الاصلاحي مجموعة مقالات،نخبة من العلماء والمفكرين الاسلاميين،(طهران:المعاونية الثقافية للمجمع العلمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، 1425هـ/ 2004م) ، ص38.

([3]) الافغاني، المصدر نفسه، ص14؛ جمال الدين الافغاني "أنترنت"، (الموقع)، (http:/ w.w.w. (wikipedia.org)

([4]) محسن الأمين، اعيان الشيعة ،مج 17 ،ج16،(دمشق: د.م ، 1940م)،ص210؛ الوردي، الدكتور علي ،لمحات اجتماعية.من تاريخ العراق الحديث,ج3, ط2 ،(بيروت: دار الراشد ، 2005م)،ص267-270.

([5])كاظم معلة, دراسة الافغاني في النجف الاشرف,"العراق"(صحيفة), بغداد , العدد(5186), الاربعاء 3 رمضان 1413هـ/24 شباط 1993م., ص8 ؛ الدكتور علي الوردي, لمحات اجتماعية..., المصدر السابق،ج3, ص271.

(6) "انترنت", جمال الدين الافغاني خطيب الشرق الذي رن في الخافقين خطابه,(الموقع) (**http://www.rouza.com**)

([7]) الدكتور علي الوردي، لمحات اجتماعية ، المصدر السابق، ص271.

(4) الوردي, الدكتور علي، الفيلسوف الثائر السيد جمال الدين الافغاني ،تحقيق وتقديم عبد الحسين الصالحي ،(بيروت: مؤسسة البلاغ ، 2009 م)،ص65.

([9]) المصدر نفسه ، ص210.

([10]) خان، ميرزا لطف الله، السيد جمال الدين الأسد أبادي المعروف بالافغاني،ترجمة عن الفارسية وقدمه وعلق عليه صادق نشأة ود.عبد النعيم حسنين،(القاهرة:مكتبة الأنجلوالمصرية، 1376هـ/ 1957م) . ، ص55؛ جمال الدين الافغاني المصلح الكبير"أنترنت"، (الموقع)، (http;/ www.hoaim.net Net).

([11]) "أنترنت" (الموقع), (http://www.alghad.dot)؛الوردي ,لمحات اجتماعية...,المصدرالسابق ص270.

([12]) الشيخ حسين قلي الهمداني (1239هـ 1311م) بن رمضان شوندي الهمداني, ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل جابر ين عبد الله الأنصاري, ولد بقرية (شوند) من قرى (همدان) بإيران, سافر إلى طهران لدراسة العلوم الدينية, ثم المقدمات والسطوح, سافر إلى (سبزوار) بإيران ودرس عند الفيلسوف الشيخ هادي السبزواري, ثم رجع إلى قريته فمكث بها مدة ثم سافر إلى النجف الأشرف لمواصلة دراسته على يد الشيخ مرتضى الأنصاري, واستقر فيها, وله العديد من المؤلفات, أهمها: "تقريرات" أستاذه الأنصاري و"صلاة المسافر", توفي في شعبان 1311هـ ودفن في كربلاء المقدسة. للمزيد ينظر: جعفر باقر محبوبة, ماضي النجف وحاضرها, ج2, (النجف الاشرف:المطبعة العلمية، 1374هـ / 1955م), ص 388؛ "موسوعة طبقات الفقهاء", ج14, القسم الاول ،(قم: اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق (ع), د.ت) ، ص 5430.

(13) لم تسعفنا المصادر في معرفتهم.

([14])الدكتور حسن الحكيم، ضوء على طريق السيد الأفغاني الأصلاحي،"الاستاذ الجامعي" (صحيفة),(النجف)، العدد10، السنة الأولى، رمضان 1429/ ايلول 2008م، ص3؛ الغروي، محمد،مع علماءالنجف الاشرف،ج1-2،(بيروت:مؤسسة العارف، 1428/2000م)، ص121.

([15])ميرزا لطف الله، المصدر السابق، ص54؛ الدكتور علي الوردي,لمحات اجتماعية...، المصدر السابق، ص270.

([16])ميرزا لطف الله، المصدر نفسه، ص55؛ مختار الأسدي، جمال الدين الأفغاني شخصية لن تتكرر، (بيروت:دار الهادي, 1420هـ-1999م)،ط2، ص86.

([17]) علي اصغر،ملا جعفر,السيد جمال الدين الافغاني,"الفكر الجديد"(مجلة),لندن,السنة الاولى, العدد(3), سبتمبر(ايلول), 1992,ربيع الاول ,1314هـ , (باللغة الأنكليزية) .

([18])لطف الله خان ميرزا ، المصدر السابق ، 54؛ الدكتور علي الوردي ، لمحات اجتماعية..مصدر سابق،ص 270.

([19]) إشتهرت المدن المقدسة في العراق ومنها النجف الإشرف بالعديد من هذه المجالس الأدبية والثقافية المتنوعة والتي كانت تعكس الوجه الحضاري والثقافي و العلمي والفكري والأدبي لهذه المدن، وكانت تلك المجالس بمثابة مدارس تخرج فيها المئات من فطاحل الفكر والأدب, ولم تخل أسرة علمية في مدينة النجف الأشرف من أن يكون لها منتدى ادبي أو مجلس علمي, وأشهر هذه المجالس كان مجلس آل الجواهري, مجلس آل الشيخ راضي , مجلس آل الحبوبي, مجلس آل الجزائري , مجلس آل بحر العلوم وغيرهم. للمزيد ينظر: الموسوي، الدكتور عبد الصاحب، حركة الشعر في النجف الاشرف واطواره خلال القرن الرابع عشر الهجري – دراسة نقدية ،(بيروت:دار الزهراء ، 1418هـ/1988م)، ص117-122؛ محمد مهدي الآصفي ، مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها، (النجف الأشرف:مطبعة النعمان ، 1385هـ)، ص27- 32؛ الخليلي، جعفر، هكذا عرفتهم,ج1,(بغداد: مطبعة الارشاد,1963م) , ص 371.

([20])عمارة ،ا لدكتور ،جمال الدين الأفغاني الأعمال الكاملة, ج1-2. ط2،(بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1976م) .

([21])البرت حوراني, الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939،ترجمة كريم عزقول ،ط3، (بيروت: دار النهار ، 1977م , ص 137.

([22]) المصدر نفسه , ص 137.

(23) "النجف اسهامات في الحضارة الانسانية"،(مركز كربلاء للبحوث والدراسات)،(لندن:المركز الاسلامي في انكلترا, 2000م) ج1-ج2،,ص21.

([24]) الدكتورعلي الوردي, لمحات اجتماعية...مصدر سابق, ج3, ص271؛ ميرزا لطف الله خان, المصدر السابق, ص54.

([25]) انورالجندي, ندوات لها تاريخ "العربي" (مجلة), الكويت ،العدد 139, ربيع الأول 1390هـ /حزيران 1970م ،ص110-113 ؛انور الجندي، مجالس جمال الدين الافغاني،"العربي" (مجلة), العدد 157, ص158-162 ؛ أمين،الدكتورعثمان, جمال الدين الافغاني والاصلاح,"المرشد"(مجلة),طهران,العدد(1) 1415هـ/1994 ، ص239.

([26])الحكيم، الدكتور حسن،,بين القاهرةوبغداد لقاءات ومناظرات في اللغةوالاداب, "الفرات"(صحيفه),النجف الاشرف,العدد(33),الاربعاء 10رمضان 1421هـ/6 كانون اول 1971م.ص4؛ الجندي، أنور، مجالس جمال الدين الافغاني"العربي",المصدر نفسه, ص158-162.

([27]) انور الجندي، ندوات لها تاريخ ،"العربي" المصدر السابق ، ص 110-113؛عثمان امين ، "المرشد" المصدر السابق، ص239؛ انورالجندي ،مجالس جمال الدين الأفغاني،" المصدرنفسه ، ص 158-162.

(28) ELIe Kedourie,Afghani and ABDuh,An Essay on Religlous unbelief and political AcTivism in modern Islam ,Belfast,1966,P.9.؛ الدكتور حسن الحكيم ، بين القاهرة والنجف لقاءات ومناظرات في اللغة والأدب، "المصدر السابق، ص 4.

([29]) الدكتور حسن الحكيم ، المصدر نفسه،ص4؛ ELie Kedourie, Op ,Cit .,P.9.

([30])عثمان امين، "المرشد" ،المصدر السابق، ص 231.

(31) الدكتور علي الوردي , لمحات اجتماعية...مصدر سابق .،ص271

(32) كان طريق الحج البري لسكان شرق اسيا يمر عبر العراق ولازال .

([33]) ملا اصغر علي, المصدر السابق, ص14 ؛ عمر ابو النصر, المصدر السابق, ص82 ؛ الدكتور محمد عماره, جمال الدين الافغاني, موقظ الشرق, ص76 ؛عبد المنعم شميس, المصدر السابق, ص39 ؛ عبد الرحمن الرافعي, المصدر السابق, ص136

([34]) محمد سعيد الحبوبي ، فقيه مجتهد كتب الشعر للتنفيس عن قضايا عامة ، ولد في النجف الاشرف سنة 1849 م، وتفتح على علوم الفقه والفلك واصول الشعر ، ودرس على خاله الشيخ عباس الاعسم فنون الادب والشعر ثم رحل الى حائل بالحجاز سنة 1864 مصطحبا والده للعمل ثم عاد الى النجف سنة 1867 فواصل دراسته في الحوزة العلمية ، كانت له نظرات اجتهادية في مسائل الدين الفرعية وحواش وتعليقات على دروس وكتابات العلماء ، زامل السيد جمال الدين الافغاني واصبح صديقه وتأثر به كثيرا ، قاد جيش الثوار لمحاربة الإنكليز في معركة الشعيبة عام 1914 وتوفي بعد المعركة المذكورة ، له ديوان شعر طبع اكثر من مرة، ينظر : المطبعي ، حميد ، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين ،ج1،(بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة،1995م) ص190؛ عبد الحميد العلوجي, المصدر السابق, ص14؛ الدكتور محمد عماره, جمال الدين الاعمال الكاملة, ج1, ص43.

([35]) عبد الحميد العلوجي, المصدر السابق, ص7 ؛ الدكتور حسن الحكيم, بين النجف والقاهرة, ص4.

([36]) الدكتورعلي الوردي, لمحات اجتماعية...,, ج3, ص270 ؛الدكتور حسن الحكيم, جمال الدين الافغاني في مدينة النجف الأشرف؛ كاظم معلة المحامي, دراسة الافغاني في النجف الأشرف,ص8

([37]) عبد القادر البراك, ذكريات من الذاكرة.. هل سكن الافغاني في بغداد؟ "الجمهورية"(صحيفة), بغداد, العدد 8037, 8جمادي الاولى 1412هـ/14تشرين الثاني 1991م, ص7.

(38)النصيري، الدكتور عبد الرزاق احمد، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق 1908-1932،(بغداد : مكتبة عدنان، 2012). ص85 .

([39]) الرافعي، عبد الرحمن، جمال الدين الافغاني باعث نهضة الشرق 1838-1897م،(القاهرة: دار الكاتب العربي، 1967م). ،ص12؛الدكتور محمد عماره،الأفغاني، الاعمال الكاملة،ج1، مصدر سابق، ص24.

1. ([40]) الشامي، حسين بركة،الشيخ الانصاري دراسة في قيمه العلمية وظروفه الاجتماعية,"الفكرالجديد"، (مجلة), لندن, السنة,3, العدد(10)10 رمضان 1415هـ/شباط 1995م، ص326.

([41]) ويسين، ناهدة حسين علي,تاريخ النجف في العهد العثماني الاخير 1831-1917,اطروحة دكتوراه مطبوعة بالالة الكاتبة,(جامعة بغداد:كلية التربية/ابن رشد,1420هـ/1999م ، ص 25-29 ؛ لقد حدثت الانتفاضتان في النجف عامي 1852 و 1854. للمزيد ينظر: و. ع. رئاسة الوزاره، استانبول، ارادة داخلية. رقم الوثيقة (19157، لف 6)، عسكرية ؛ مهدي جواد حبيب البستاني ، وثائق غير منشورة عن المقاومة العربية في النجف اواسط القرن التاسع عشر، "دراسات في التاريخ والآثار" (مجلة)، بغداد، المجلد 8، السنة 1991م ، ص184-185.

([42]) ناهدة حسين ويسين، المصدرنفسه، ص 25-29 ؛ كاشف الغطاء ،الشيخ محمد حسين، العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية،تحقيق جودت القزويني،(بيروت:دارالبيان للنشروالتوزيع، 1998م)،ج 12. ورقة 123-124.

([43]) جب،هاملتون، الاتجاهات الحديثة في الاسلام، ترجمة هاشم الحسين، (بيروت:دار الحياة، 1966م)، ص 54.

([44]) أودة : مملكة شيعية أسست في شمال الهند سنة 1724، وقد اعترف بها الانجليز كأمارة مستقلة سنة 1774 ، ومنحوا (النواب)السابع لها وهو غازي الدين لقب ملك وأصبحت عاصمتها لنكو ، واما تاريخ وقف أودة فيبدأ سنة 1825 عندما أقترض حاكم الهند العام اللورد أمهرست ، مبلغا من من ملك أودة قيمته عشرة ملايين روبية واتفق الجانبان على إبقاء اصل القرض دون تسديد بشكل دائم على أن تدفع حكومة الهند فائدة مستمرة للابد مقدارها 5% وتوقف لأغراض خيرية ، وذلك بموجب اتفاق وقعه الجانبان في 17 آب 1825 ، وفي سنة 1852 أصبحت خيرية أودة تدفع عن طريق الوكيل السياسي البريطاني في العراق الذي منحت له سلطة قانونية للأشراف على انفاق المال . ينظر: غسان العطية ، العراق نشأة الدولة 1908-1912م ، ترجمة عطا عبد الوهاب ، (لندن : دار البلام ، 1988م) ،ص144؛ إسماعيل رائين ، حقوق بكيران أنكلس در أيران ، (طهران : جابخانة بهروز ،1968)، ص 97-110 ؛"الموسم"،(مجلة) ، العدد 20،هولندا، 1994م / 1415 هـ، ص58-59.

([45])المحمودي,مجتبى,في ذكرى الشيخ الانصاري،الامانة العامة للمؤتمرالعالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلادالشيخ الاعظم الانصاري،(قم:مطبعة باقري، 1373هـ)،ص57

([46]) جعفر الدجيلي، المصدر السابق، ج 8، ق 2، ص 190.

([47]) المصدر نفسه، ص190.

([48]) عبد الرحمن الرافعي, المصدر السابق، ص 6-9.

([49]) مطهري،مرتضى، الحركات الاسلامية في القرن الرابع عشر الهجري,ترجمة صادق العبادي,(بيروت:دار الهادي,1422هـ/2001م)، ص12؛ سيد هادي خسرو شاهي, ترجمة كزيدة أي از اسناد وزارت خارجه انكليس در باره سيد جمال الدين اسد ابادي، تهران:كتابخانة ملي ايران ,1379هـ)،ص73-77.

([49]) عمر،الدسوقي ،في الادب الحديث ،ج1،(بيروت:دار الكاتب العربي، 1966م)، ص 345.؛ زيدان ،جرجي ، تراجم مشاهير الشرق، ج2، (بيروت: مكتبة دار الحياة ، بلا) ،ص83؛ عكاوي ،د.رحاب خضر ، جمال الدين الافغاني ، حكيم الشرق ورسالته في الرد على الدهريين ،(بيروت : دار الفكر العربي ، 1993) ، ص 14.

7) الأمين، محسن ، اعيان الشيعة ، المصدر السابق ، ج 4 ،مجلد 1، ص34.

[50]) عمر،الدسوقي ،المصدر السا بق، ج1، ص 345.؛ زيدان ،جرجي ، تراجم مشاهير الشرق، ج2، (ابيروت: مكتبة دار الحياة ، بلا) ،ص83؛ عكاوي ،د.رحاب خضر ، جمال الدين الافغاني ، حكيم الشرق ورسالته في الرد على الدهريين ،(بيروت : دار الفكر العربي ، 1993) ، ص 14.

7) الأمين، محسن ، اعيان الشيعة ، المصدر السابق ، ج 4 ،مجلد 1، ص34.

([52])محسن الأمين,المصدر نفسه,ص 347؛ عماره, الدكتور محمد، جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الاسلام،(بيروت:دار الوحدة للطباعة ، 1984م)، ص47.

([53])ابوالنصر,عمر،زعماءالتحريرفي الإسلام،(بيروت:دارعمرابوالنصرللتأليف والترجمة، 1968م)، ،ص 64-65؛ جمال الدين الأفغاني والمشروع الأصلاحي , المصدرالسابق , ص 139.

([54])الأفغاني والمشروع ....,المصدرنفسه, ص 139؛ "الموسم" (مجلة), العدد 20,،المصدر السابق, ص 98- 105.

([55])قاسم، الدكتورمحمود،جمال الدين الافغاني،حياته وفلسفته،(القاهرة:مكتبة الانجلوالمصرية ،د.ت). ,ص 16؛ عبد المجيد,محمد سعيد(سعيد افغاني)،نابغة الشرق السيدجمال الدين الافغاني،سلسلة مذاهب وشخصيات،(القاهرة:دار الكاتب العربي للطباعة والنش، 1386هـ/ 1967م)،ص 23.

([56]) شرح الأظهار : أحد كتب الفلسفة الإسلامية المعتمدة آنذاك في مدارس الفلسفة الإسلامية.

([57]) سكن الأفغاني في عمارة العناني في حارة أم الغلام قريباً من مسجد سيدنا الحسين بخان الخليلي : نقلاً عن الوردي لمحات اجتماعية، المصدر السابق , ج3 , 275. الى هنا

([58]) المخزومي, محمد باشا,المصدرالسابق ,ص 47؛ "أنترنت",جمال الدين الافغاني,(الموقع), (http://www.7nona.com)؛جمال الدين الأفغاني والمشروع الإصلاحي,المصدرالسابق, ص72.

([59]) حسن فهمي أفندي , شيخ الإسلام آنذاك , ينظر : عمر أبو النصر ,المصدر السابق , ص 67.

([60])عثمان أمين , المصدر السابق, ص 228.

([61]) جمال الدين الأفغاني والمشروع الإصلاحي، مصدر سابق، ص213.

[62]) صحيفة مصر:من الصحف المصرية التي كان جمال الدين الأفغاني وراء تأسيسها في مصر في العام 1877م وكان رئيس تحريرها اديب اسحاق وصدرت في القاهرة اول مرة ثم نقلها اديب اسحق بايعاز من الأفغاني الى الاسكندرية بجانب صحيفة "التجارة"،وكانت صحيفة "مصر" أول صحيفة تسجل شعار((مصر للمصريين)).ينظر محمدسالم،الدكتورة لطيفة،القوى الاجتماعيةفي الثورة العرابية،الجذور والاحداث،(القاهرة:مكتبة مدبولي، 2004 م).، ص 88.

([63])اديب اسحاق: (1856-1885) اديب وصحفي ولد في دمشق وتلقى علومه في المدرسة العازاريه، واهتم منذ حداثته بالشعر، انتقل الى بيروت في العام 1871، وعمل في الصحافة، انتسب الى جمعية زهرة الآداب، زار مصر واصدر فيها صحيفتي "مصر"و "التجارة"،

بتشجيع ودعم من جمال الدين الأفغاني، سافر إلى باريس واصدرفيها جريدة "القاهرة"، وأكد على ضرورة نشر التعليم الحديث واعتبر الملكية الدستورية افضل شكل للحكم، وأخذ من ثقافة اوربا، وتأثر بافكار الثورة الفرنسية، وكان يدعو للحصول على الحقوق السياسية بالسلم لا بالثورة، دافع عن مساواة الرجل بالمرأة، وكان له صلات ثقافية مع بعض مفكري العراق، جمعت مقالاته واشعاره في كتاب ((الدرر)). للمزيد ينظر: منير شابك موسى، الفكر العربي في العصر الحديث من القرن الثامن عشر حتى العام 1918،(بيروت: بلا، 1973م) ،ص 47-63 ؛ عبد الزهرة مكطوف الحوراني، الفكر السياسي في المشرق العربي أواخر القرن التاسع عشرحتى العام 1914، (بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة، 2001م)، ص 105-109.

([64]) "مصر" (صحيفة)، الإسكندرية، العدد 33، 22 صفر 1296 هـ/ فبراير سنة 1879م..

([65]) "مصر" (صحيفة)، العدد 21، 17 اكتوبر 1878 م/ جمادى الاولى 1295 هـ ؛الدكتور علي شلش، جمال الدين الأفغاني – سلسلة الاعمال المجهولة،(لندن:رياض الريس للكتب والنشر، 1987م) . ص 31 - 34.

([66]) "التجارة":صحيفة اهلية اصدرها في القاهرة اديب اسحاق بدعم من جمال الدين الأفغاني في عهد الخديوي اسماعيل عام 1878 وبعد ذلك نقلها الى الاسكندرية ولكن مالبثت ان اغلقت لمهاجمتها الحكومة في العام 1879 .ينظر:الدكتورة لطيفة محمد سالم، المصدر السابق ،ص88-95.

([67]) سليم النقاش (000-1301هـ) (000-1884م) : كاتب ،مؤرخ،صحفي، سكن الإسكندرية وانشأ بها جريدة "لمحروسة"، من اثاره (مصر للمصريين) ارخ فيه الحوادث العرابية في 6 مجلدات. للمزيد ينظر: عمر رضا كحاله، ، معجم المؤلفين,ج3,(بيروت:داراحياء التراث العربي,اذار 1975م)،ص246.

([68])الدكتورة لطيفة محمد سالم,المصدر السابق، ص 88 ؛ ((انترنت))، (الموقع)، (http://www.rouza.com).

([69]) (يعقوب بن صنوع) (ابو نظارة) : (1839 – 1912)، ولد في القاهرة من ابوين يهوديين, درس القرآن والانجيل فضلاً عن التوراة. اسس في العام 1870 أول مسرح عربي في القاهرة بمساعدة الخديوي اسماعيل، الف اثنتين وثلاثين رواية هزلية غرامية، وأسس في العام 1872 جمعيتين علميتين تولى رئاستهما، سافر إلى اوربا، وفي العام 1877 اصدر جريدة "ابي نظارة الزرقاء" وكانت اول صحيفة هزلية تصدر في مصر، وانتقدت أعمال الخديوي اسماعيل بشدة، فأغلقت بعد صدور خمسة عشر عدداً منها ، فسافر إلى باريس وأصدر جريدة بالأسم نفسه،اصدر العدد الأخير من جريدة "ابو نظارة" في 1910/12/31، وتوفي في باريس عام 1912، ينظر: فيليب دي طرازي،تاريخ الصحافة العربية, (بيروت:المطبعة الادبية,1914م)،ج2،ص 281-286.

([70]) "الدستور" (صحيفة)، بغداد، العدد 1567، السنة السادسة ، الخميس 29 كانون الثاني 2009، ص 27.

([71]) المصدر نفسه، ص 27.

([72]) محمود ابو ريّه،جمال الدين الافغاني،تاريخه ورسالته،(القاهرة:د.م ، 1958م) ، ص15.

([73]) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 36.

([74]) الدكتورة لطيفة محمد سالم، المصدر السابق، ص84.

([75]) الخديوي اسماعيل: بن سعيد باشا, حكم مصر للمدة من 1863الى1879 وتميز حكمه بكثرة تدخل الاجانب في شؤون مصر الداخلية والخارجية, وكثرة الضرائب المفروضة, فضلاً عن اساليب القسوة والشدة في استحصالها, اضافة الى الفساد الاداري المتمثل ببيع الوظائف في جهاز الادارة, اضافة الى حدوث الكوارث الطبيعية كالامراض والاوبئة والفيضانات مما ادى بالشعب الى التذمر والشكوى, وكان للسيد السيد الأفغاني دور كبير في خلع اسماعيل وتولية ابنه توفيق مكانه,للمزيد ينظر:الدكتورة لطيفة محمد سالم,المصدر السابق ,ص5-36.

([76]) حسنين الصافي،الاتجاهات الاصلاحية في الفكرالسياسي الاسلامي المعاص,رسالة ماجستير مطبوعة بالالة الكاتبة,(جامعة الكوفة:كلية الاداب،,1427هـ/2006م)، ص35؛محمود أبو رية، مصدرسابق، ص105.

([77]) الدكتورة لطيفة محمد سالم, المصدر السابق, ص82.

([78]) بعثة (Gave): بعثة انجليزية جاءت الى مصر في العام 1875م لفحص مالية مصر, وقد اقترحت البعثة انشاء مصلحة للرقابة على ماليتها لغرض اصلاحها, وان يخضع الخديوي لمشورتها, ولا يعقد قرضاً الا بموافقتها. للمزيد ينظر: احمد امين,زعماء الاصلاح في العصر الحديث، ط3،(القاهرة:د.م،1971م), ص69.

([79]) نوبار باشا :رئيس الوزارة في مصر عام 1879م, والذي دخل في وزارته اثنان من الوزراء الاوربيين احدهما انجليزي لوزارة المالية والاخر فرنسي لوزارة الاشغال, فكانت تلك بمثابة حكومة اجنبية داخل الحكومة المصرية اذ تولى هذان الوزيران الرقابة على الايرادات العامة للحكومة وكذلك مشاريعها, ينظر: احمد امين , المصدر السابق,ص69

([80]) البهي ،الدكتورمحمد ،الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمارالغربي،(القاهرة:مكتبة وهبة، 1973م)، , ص75.

([81]) سليم عنجوري : هو سليم بن جرجيس العنجوري الدمشقي, اديب شاعر كاتب لغوي صحافي حقوقي, ولد في دمشق في 21 ايار 1856م /1272هـ ورحل الى مصر وانشأ مجلة "الشفاء" بالقاهرة, ثم اسس جريدة "مراة الشرق"ومجلة "مراة الاخلاق" واشتغل بالمحاماة واخر منصب تولاه الادعاء العام لدى محكمة التمييز السوري وانتخب عضواً بالمجمع العربي السوري, توفي في دمشق في 10 تموز 1933م/1352هـ ومن اثاره "كنز الناظم ومصباح الهانم في فقه اللغة", "الجوهر الفرد والشعر المصري"," سحر هاروت"," فلسفة الخيال"," نهضة الشعر" للمزيد ينظر :عمر رضا كحالة, , المصدر السابق,ص247.

([82])عثمان أمين,امصدرسابق, ص 239؛ أنور الجندي, مجالس الأفغاني,المصدرالسابق, العدد 157,ص 159- 160.

([83]) "أنترنت" الأفغاني مصلح رغم الجدل , (الموقع), (http://www.snjd.com)

([84]) جرجي زيدان: ولد في بيروت في العام 1861 ودخل كلية الطب في الجامعة الامريكية في العام 1881 وقبل مباشرته بدراسته في الجامعة الامريكية ذهب الى مصر وتولى تحرير جريدة الزمان وفي العام 1885 سافر الى بيروت وعين عضواً في المجمع العلمي االشرقي, وفي العام 1886 عاد الى مصر فتسلم ادارة مجلة "المقتطف" وفي العام 1892 اصدر مجلة الهلال . توفي عام 1941 م, تاركاً العديد من المؤلفات والتصانيف الكثيرة, منها "تاريخ مصر الحديث" جزءان ,و"تاريخ التمدن الاسلامي" خمسة اجزاء و"تراجم

مشاهير الشرق" جزءان و"تاريخ اداب العربية" اربعة اجزاء "وطبقات الامم" وغيرها, وله اثنتان وعشرون رواية مطبوعة .للمزيد ينظر: خير الدين الزركلي، الاعلام لاشهر رجال ونساء العرب والمستعربين في الجاهلية والإسلام والعصر الحديث, ج2,(القاهرة:بلا، 1928/1927م),ص108-109 109؛العزاوي،عباس، تاريخ الادب العربي في العراق,ج2,(بغداد:د.م, 1962م) ص70-71.

([85]) رائي، الدكتور محسن، السيد جمال الدين والحركة الإصلاحية والوحدة الإسلامية،" "افاق الحضارة الإسلامية"،(مجلة)، طهران، السنة الثالثة ، 19 شعبان 1426هـ/24 أيلول 2005, 275،ص؛عمر الدسوقي, مصدر سابق,، ص332؛ عثمان امين , المصدر السابق , ص 231.

([86]) الثورة العرابية: الثورة العسكرية الشعبية الكبرى في مصر سنة 1881 والتي قادها الضابط احمد عرابي ضد استبداد الخديوي توفيق المطلق واضطهاده للوطنيين وسيطرة الاستعمار البريطاني على شؤون مصر, وكان للسيد جمال الدين السيد الأفغاني وتلامذته امثال محمد عبده وعبدالله النديم وابراهيم المويلحي دوراً كبيراً في التمهيد للثورة بارائهم وافكارهم, للمزيد ينظر: محمد عصام المرشدي, الثورة العرابية واثرها في تطور الشعب ونهضته,(القاهرة: دار المعارف, 1958م),ص128.

([87])محمود أبو ريه، مصدر سابق , ص101؛حسنين الصافي،المصدر السابق،ص 34.

([88]) محمود ابو رية,المصدر نفسه, ص101

([89])محمد رشيد رضا,تاريخ الأستاذ الامام محمد عبده،ج1،(القاهرة:د.م ، 1931م) ص46 -47 .

([90]) عثمان امين, جمال الدين الافغاني رائد الفكر المصري, (القاهرة:دار الهلال,1940م,)، ص22؛الدكتورعزة قرني, المصدر السابق, ص267.

([91]) التكريتي، معد صابر،جمال الدين الافغاني وتأثيره في الفكر السياسي العراقي، أطروحة دكتوراه مطبوعة بالالة الكاتبة،(جامعة بغداد: كلية الاداب،1990 ص 21.

([92]) جمال الدين الأفغاني، الوحدة الاسلامية، مصدر سابق،ص84.

([93]) سالزبوري: (Salisbury) : سياسي بريطاني ولد في 1830، دخل البرلمان في العام 1854م عين وزيراً للهند في العام 1866م، أصبح وزيراً للخارجية للمدة (1878-1880)، وزعيماً لحزب المحافظين بعد وفاة دزرائيلي في العام 1881م، أصبح رئيساً للوزراء للفترات (1885-1886) و (1886-1892) وأخيراً (1895-1902), توفي في آب 1903م.للتفاصيل ينظر: Encyclopedia Britannica, vol.3, P. 312.

([94]) السيرازموند وولف (Sir Drummond Wolff): هنري دزموند وولف: يهودي بريطاني كتوم،ومفكر سياسي متمنطق ،اختارته اروقة وزارة الخارجية البريطانية سفيرا لها في ايران في العام 1988 بدلا من السير أرثر نيكلسون لكي يكون ندا قويا للسفير الروسي (دولكو روكس)الذي قدم الى طهران في العام 1887 وكان من افضل الموظفين البريطانين في ايران .ينظر : ابو القاسم طاهري ، تاريخ روابط بازركاني وسياسي ايران وانكليس در قرن نوز دهم ميلادي,جلد جهارم,(تهران، د.م,1354هـ) ،ص510؛ Erther M. Russo, Persian Commerciel Relations , 1828-1914, Calnesville, Florida, 1965, P26

([95]) جمعية العروة الوثقى: تألفت في مصر سنة 1879م لدعوة الأمم الاسلامية الى الاتحاد والتضامن والأخذ بأسباب الحياة والنهضة، ومجاهدة الاستعمار، وتحرير مصر والسودان من الاحتلال، وكانت تضم جماعة من أقطاب العالم الاسلامي وكبرائه، وهي التي عهدت الى جمال الدين الأفغاني باصدار جريدة لتكون لسان حالها.للمزيد ينظر: محمد عمارة، جمال الدين ..، الاعمال الكاملة ج1،، مصدر سابق، ص 129-133 ؛ الدكتورمحمود قاسم، المصدر السابق، ص 58.

([96]) جمال الدين الأفغاني، ((انترنت))، (الموقع)، (http://www.ar.wikipedia.org).

([97]) (نهج البلاغة): كتاب قيّم يضم مجموعة خطب الإمام علي بن أبي طالب (ع) ورسائله وقصار أقواله، جمعها الشريف الرضي (ت 406)، وقد شرحت عدة شروحات, أهمها شرح بن أبي الحديد المغزلي، وشرح كمال الدين البحراني وشرح الشيخ محمد عبده، للمزيد ينظر: الصالح،الدكتور صبحي، نهج البلاغة، تعليق وفهرسة الدكتورصبحي الصالح، تحقيق الشيخ فارس تبريزيان،(قم:مؤسسة دار الهجرة، 1425 هـ)،؛مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، (بيروت:, دار الجيل، 1410 هـ),ص11-22.

([98]) معد صابر التكريتي، المصدر السابق، ص 65.

([99]) الحنفي،الدكتورحسن ، جمال الدين الافغاني،(القاهرة:الهيئة المصرية العامة، 1999م)، ص 28 ؛ احمد امين، المصدر السابق، ص 85.

([100])" العروه الوثقى" ,(مجلة)، باريس، العدد 1 ,عام 1883م,ص125.

([101])العروة الوثقى،المصدر السابق،ص189.

([102]) معد صابرالتكريتي، المصدر السابق، ص 66.

([103]) هبة الدين الحسيني(الشهرستاني) (1884-1967): مجتهد وفقيه شيعي ولد في سامراء، رائد الاصلاح والتحريض ضد الجمود الديني، له مواقف مؤيدة للثورتين الدستورية في ايران وتركيا، تأثر جداً بأفكار وطروحات السيد جمال الدين الأفغاني، شارك في معركة الشعيبة في العام 1915م وثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني، أصدر مجلة "العلم" في العام 1910.للمزيد ينظر:محمد باقر الهادلي، السيد هبة الدين الشهرستاني، آثاره الفكرية ومواقفه السياسية،(بغداد:شركة الحسام للطباعة،02000م)،ص 25-28 ؛اسماعيل طه الجابري، منهج الكتابة التاريخية عند هبة الدين الشهرستاني،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة، 2008م)،ص 21-23.

([104]) ولد عبد المحسن بن محمد بن علي بن المحسن بن محمد بن صالح بن الهادي النخعي في مدينة الكاظمية عام 1865 ، وتعلم القراءة والكتابة في مجالسها، واشتغل مع ابه في التجارة ثم تركها محترفا الزراعة وفشل فيها ثم احترف الشعر كتابة وقراءة فحفظ غشرة الاف بيت وهو صبي في ظل أخيه الاديب محمد حسين الكاظمي، اخذ ثقافته على ايدي أساتذة كثيرين ،من ابرزهم في حياته ، الشاعر الشيخ جابر الكاظمي والسيد إبراهيم الطباطبائي عندما كان مقيما في الكاظمية،وهو شاعر القرن التاسع عشر، والمصلح جمال الدين الافغاني الذي اقام في الكاظمية ردحا من الزمن ، ولما نفي الافغاني من بغداد سار الكاظمي على نهجه في تعرية الحكم العثماني فضيق عليه فهاجر سنة 1898 بعد وفاة الافغاني بسنة واحدة قاصدا ايران فالهند فمصر وهي مقره الأخير فاحتفى به الشعراء

والادباء الكبار وكذلك المصلح محمد عبدة، عرف بارتجاله الشعر، له مجموعة دواوين وكتب توفي سنة 1935 ودفن في مصر ،ينظر: المطبعي ،حميد ، موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين ، ج1، (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، 1995) ، ص 136.

([105]) الشيخ عبد الكريم الزنجاني :هو الشيخ عبد الكريم بن محمد رضا بن محمد حسن الزنجاني, مجتهد امامي من علماء النجف، ولد في زنجان بايران عام (1304هـ/1887م) وهو عربي هاجر جده الى زنجان بداية القرن التاسع عشر بعد اختلال الامن في النجف نتيجة غارات الوهابيين، اخذ اولياته الفقهية والاصولية على أساتذة بلدته ثم هاجر الى طهران وتتلمذ بها ثم الى النجف الاشرف سنة(1326هـ/1908م)في ذروة تصاعد الثورة الدستورية الإيرانية . نال إجازة الاجتهاد من فطاحل عصره قبل ان يبلغ العشرين عاما، ثم اصبح عالما يشار اليه بالبنان ومن مراجع التقليد للمسلمين والشيعة الامامية في الأقطار العربية ،والهند، والباكستان ، وايران ، والافغان ، وافريقيا والصين وغيرها، له مؤلفات باللغة الفارسية والاردية إضافة الى العربية،له اثر مهم في الدعوة الى الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب ،توفي في النجف الاشرف في جمادي الثانية عم 1388هـ/1970م، للمزيد ينظر: الاميني ، محمد هادي،**معجم رجال الفكروالادب في النجف**،ج2،(النجف الاشرف: مطبعة الغري،1992م ، ص642؛ الزركلي ، خير الدين ، المصدر السابق ، ج4، ص 56.

([106]) رائي، الدكتور محسن، مصدر سابق، ص 42 ؛ علي الخاقاني، المصدر السابق,ج10 ص 67.

([107])محمد مهدي العلوي، نابغة العراق، تصحيح وتعليق حسن الحسيني،(بغداد:مطبعة الآداب ، 1929م)،ص10.

([108])الحكيم ، الدكتور حسن عيسى، المفصل في تاريخ النجف الاشرف ،ج12، صلات النجف بالحوزات العلمية العربية،(قم: المكتبة الحيدرية ، 1430هـ/ 2006م)، صص 179-181.؛المخزومي ، الدكتور، مساهمة النجف في النهضة الأدبية الحديثة ،" الغري " ،(مجلة)، النجف الاشرف ، العددان (74-75)، السنة الثانية، 1360هـ/1941م، ص 1261.

المصادروالمراجع

أولا: الوثائق

1- أرشيف رئاسة الوزراء(اسطنبول)،إرادة داخلية ،رقم الوثيقة(19157) لف(6), عسكرية ,تاريخ الوثيقة آب 1854 م

ثانيا: الرسائل والاطاريح الجامعية

1- الصافي,حسنين علي,الاتجاهات الاصلاحية في الفكر السياسي الاسلامي المعاصر, رسالة ماجستير مطبوعة بالالة الكاتبة,(جامعة الكوفة:كلية الاداب ,1427هـ/2006م) .

3- التكريتي ، معد صابر،جمال الدين الافغاني وتأثيره في الفكر السياسي العراقي، أطروحة دكتوراه مطبوعة بالالة الكاتبة،(جامعة بغداد: كلية الاداب،1990).

3- ويسين,ناهدة حسين علي,تاريخ النجف في العهد العثماني الاخير 1831-1917,اطروحة دكتوراه مطبوعة بالالة الكاتبة,(جامعة بغداد:كلية التربية/ابن رشد,1420هـ/1999م)

ثالثا: المراجع العربية والمعربة: أ –العربية:

1. ابوالنصر,عمر،زعماء التحريرفي الإسلام، (بيروت:دارعمرابوالنصرللتأليف والترجمة، 1968م).
2. ابو رية,محمود،جمال الدين الافغاني،تاريخه ورسالته،(القاهرة:د.م ، 1958م)..

3. الاسدي,مختار،جمال الدين الافغاني،نموذج لم يتكرر،(بيروت:دارالهادي، 1420هـ/ 1999م)
4. الآصفي,محمد مهدي،مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها،(النجف الاشرف:مطبعة النعمان ، 1385هـ) .
5. البهادلي ،محمد باقر،السيدهبة الدين الشهرستاني، اثاره الفكرية ومواقفه السياسية،(بغداد:شركة الحسام للطباعة ،2000م).
6. الجابري، إسماعيل طه،منهج الكتابة التاريخية عند السيد هبة الدين الشهرستاني،(بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ،2008م).
7. الافغاني,جمال الدين،الوحدة الاسلامية،لجنة الشبيبة السورية في القاهرة،(القاهرة:مطبعة الانوار،1325هـ/ 1923م) .
8. امين ,عثمان ،جمال الدين الافغاني رائد الفكرالمصري،(القاهرة:دار الهلال، 1940م) .
9. أمين, الدكتوراحمد، زعماء الاصلاح في العصر الحديث، ط3،(القاهرة:د.م، 1971م)
10. البهي,الدكتورمحمد،الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمارالغربي،(القاهرة:مكتبة وهبة، 1973م) . .
11. جمال الدين الافغاني والمشروع الاصلاحي مجموعة مقالات، نخبة من العلماء والمفكرين الاسلاميين،(طهران:المعاونية الثقافية للمجمع العلمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، 1425هـ/ 2004م) .
12. الجوراني,عبد الزهرة مكطوف، الفكر السياسي في المشرق العربي أواخر القرن التاسع عشر حتى العام 1914م ،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة، 2001م).
13. الحكيم,الدكتورحسن عيسى،المفصل في تاريخ النجف الاشرف،ج12،(قم:المكتبة الحيدرية ، 1430هـ/2006م) . .
14. الحنفي,الدكتورحسن،جمال الدين الافغاني،(القاهرة:الهيئة المصرية العامة، 1999م).
15. الخاقاني,علي،شعراءالغري،ج1،(النجف الاشرف:المطبعة الحيدرية، 1374هـ/ 1955م)
16. الخليلي,جعفر،هكذا عرفتهم،ج1،(بغداد:مطبعة المعارف ، 1963م).
17. ========،هكذاعرفتهم،ج3،(طهران:مطبعة شريعت، 1426هـ/ 2005م).
18. الدسوقي,عمر، في الادب الحديث ،ج1،(بيروت:دار الكاتب العربي، 1966م).
19. الرافعي,عبد الرحمن،جمال الدين الافغاني باعث نهضة الشرق 1838-1897م،(القاهرة: دار الكاتب العربي، 1967م).
20. الفتلاوي،صباح كريم رباح، ايران في عهد محمد علي شاه 1907-1909، دراسة تاريخية في التطورات السياسية الداخلية،مراجعة الأستاذ الدكتور حسين حمد عبد الله الصولاغ،(النجف الاشرف:دار التميمي للطباعة والنشر والتوزيع ،2012).
21. =====،= = = ========، جمال الدين الافغاني والعراق دراسة تحليلية في التأثير والتأثر المتبادل، مراجعة الأستاذ الدكتور كمال مظهر احمد،(بيروت : دار العارف للطباعة والنشر والتوزيع ، 2014).
22. رضا، رشيد، تاريخ الأستاذ الامام محمد عبده،ج1،(القاهرة:د.م ، 1931م) .
23. زيدان,جرجي ،بناة النهضة العربية ،(القاهرة، دار الهلال، بلا) .
24. سالم,الدكتوره لطيفة محمد،القوى الاجتماعية في الثورة العرابية ،الجذور والاحداث،(القاهرة:مكتبة مدبولي، 2004 م).
25. شلش,الدكتورعلي،سلسلة الاعمال المجهولة جمال الدين الافغاني،(لندن:رياض الريس للكتب والنشر، 1987م) .
26. شميس,عبد المنعم،سفير الله جمال الدين الافغاني،(القاهرة:مطبوعات جماعة الامناء، 1969م).
27. الصالح,الدكتورصبحي،نهج البلاغة،تعليق وفهرست،تحقيق الشيخ فارس تبريزيان،(قم:مؤسسة دار الهجرة ، 1425هـ) .

28. عبد المجيد,محمد سعيد(سعيد افغاني)،نابغة الشرق السيدجمال الدين الافغاني،سلسلة مذاهب وشخصيات،(القاهرة:دار الكاتب العربي للطباعة والنش، 1386هـ/ 1967م).
29. العبطه,محمود،جمال الدين الافغاني في بغداد ،(بغداد:دارالحرية للطباعة، 1977م) .
30. العزاوي,عباس، تاريخ الادب العربي في العراق،ج2،(بغداد:د.م ، 1962م)..
31. العلوي,محمد مهدي،نابغة العراق،تصحيح وتعليق حسن الحسيني،(بغداد:مطبعة الاداب ,1929م).
32. عمارة,الدكتورمحمد ،جمال الدين الافغاني موقظ الشرق وفيلسوف الاسلام،(بيروت:دار الوحدة للطباعة ، 1984م).
33. ==========،جمال الدين الافغاني–الاعمال الكاملة، ج1-2، ط2،(بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1976م) .
34. قاسم,الدكتورمحمود ،جمال الدين الافغاني،حياته وفلسفته،(القاهرة:مكتبة الانجلوالمصرية ،د.ت).
35. قرني,الدكتورعزت،العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة ،سلسلة عالم المعرفة،ا(لكويت:المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، 1400هـ/ 1980م).
36. كاشف الغطاء,الشيخ محمد حسين،العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية، تحقيق جودت القزويني،(بيروت:دار البيان للنشر والتوزيع ، 1998م) .
37. مجذوب,طلال،ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية 1906-1980م، (بيروت:مطبعة ابن رشد ، 1980 م).
38. محبوبة,الشيخ جعفرباقر،ماضي النجف وحاضرها،ج2،(النجف الاشرف:المطبعة العلمية، 1374هـ/ 1955م) . .
39. المحمودي,مجتبى,في ذكرى الشيخ الانصاري،الامانة العامة للمؤتمرالعالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلادالشيخ الاعظم الانصاري،(قم:مطبعة باقري، 1373هـ).
40. المخزومي,محمد،خاطرات جمال الدين الافغاني،(بيروت:المطبعة العلمية،1931م.).
41. المرشدي,محمد عصام،الثورة العرابية واثرهافي تطورالشعب ونهضته،(لقاهرة: دارالمعارف، 1958م.
42. مغنية,محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة ،(بيروت:دار الجبل، 1410هـ).
43. موسى، الدكتور منير شابك، الفكر العربي في العصر الحديث من القرن الثامن عشروحتى العام 1918،(بيروت: بلا، 1973).
44. الموسوي,الدكتورعبد الصاحب، حركة الشعر في النجف الاشرف واطواره خلال القرن الرابع عشر الهجري – دراسة نقدية ،(بيروت:دار الزهراء ، 1418هـ/1988م).
45. الوردي,الدكتور علي ، الفيلسوف الثائر السيد جمال الدين الافغاني ،تحقيق وتقديم عبد الحسين الصالحي ،(بيروت: مؤسسة البلاغ ، 2009 م).
46. الوردي,الدكتورعلي،لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج1،ج3، ط2 ،(بيروت: دار الراشد ، 2005م).
47. النصيري،أ.د عبد الرزاق،دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق 1908-1932،(بغداد : مكتبة عدنان، 2012).

ب-المعربة:.

1. حوراني ، البرت، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939،ترجمة كريم عزقول ،ط3، (بيروت: دار النهار ، 1977م)
2. جب،هاملتون،الاتجاهات الحديثة في الإسلام،ترجمة هاشم الحسيني(بيروت:دارالحياة ،1966).
3. خان,ميرزا لطف الله،السيد جمال الدين الأسد أبادي المعروف بالافغاني،ترجمة عن الفارسية وقدمه وعلق عليه صادق نشأة ود.عبد النعيم حسنين،(القاهرة:مكتبة الأنجلوالمصرية، 1376هـ/ 1957م) .

4. العطية,غسان،العراق نشأة الدولة 1908-1921م ،ترجمة عطا عبد الوهاب،(لندن:دارالبلام، 1988م) .
5. مطهري,مرتضى,الحركات الاسلامية في القرن الرابع عشر الهجري,ترجمة صادق العبادي,(بيروت:دار الهادي,1422هـ/2001م).

رابعا: المراجع الفارسية:

1. خسروشاهي,هادي,ترجمة كزيدة ازاسناد وزارة خارجة انكليس دوباره سيد جمال الدين أسد ابادي ,(تهران:كتابخانة ملي ايران ,1379هـ).
2. رائين,اسماعيل,حقوق بكيران انكلس درايران,(تهران:جابخانة بهروز, 1968م .
3. طاهري,ابو القاسم ,تاريخ روابط بازركاني وسياسي ايران وانكليس در قرن نوز دهم ميلادي,جلد جهارم,(تهران، د.م,1354هـ)..

خامسا: المراجع الاجنبية: أ-المراجع الانجليزية.

1 - Elie Kedouri, AFGhani and ,ABDUH,Anessay on Religious unbelief and political Activism in modern Islam, London,1960.

2- Erther M. Russo, Persian Commerciel Relation ,1828-1914 , Calnesville , Florida, 1.

سادسا:المعاجم والموسوعات والمذكرات:

أ- المعاجم العربية والمعربة.

1. حرز الدين,محمد،معجم رجال الحديث،ج4 ،(النجف الاشرف:مطبعة النعمان ، 1955م).
2. الأمين ، محسن ، اعيان الشيعة ،مج 17 ،ج16،(دمشق: د.م ، 1940م).
3. **الاميني،محمد هادي، معجم رجال الفكروالادب في النجف**،ج2،(النجف الاشرف: مطبعة الغري،1992م)
4. الزركلي,خير الدين، الاعلام ، ج2،(بيروت : دار العلم للملايين، 1979)،.
5. ====، ======،=====، ج4،==========، ط4
6. الغروي,محمد،مع علماءالنجف الاشرف،ج1-2،(بيروت:مؤسسة العارف، 2000/1428م).
7. كحاله,عمررضا,معجم المؤلفين,ج3,(بيروت:داراحياء التراث العربي,اذار 1975م).

ج- الموسوعات العربية والمعربة .

1. الخليلي ,جعفر،هكذا عرفتهم ج3, (طهران:مطبعة شريعت,1426هـ/2005م).
2. ====,====،هكذا عرفتهم,ج1,(بغداد: مطبعة الارشاد,1963م.)
3. الدجيلي,جعفر,موسوعةالنجف الاشرف,ج13،القسم الأول،(بيروت:دارالاضواء,1417هـ/1997م).
4. ====، ==،موسوعةالنجف الاشرف,ج8- القسم الثاني,(بيروت:دارالاضواء,1417هـ/1997م).
5. طرازي,فيليب دي,تاريخ الصحافة العربية ,ج1-2,(بيروت,:المطبعة الادبية,1914م).
6. المطبعي ، حميد،موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين، ج1 ،(بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة،1995).
7. "موسوعة طبقات الفقهاء"، ج14،القسم الأول،(قم:اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق (ع)، د.ت.1980م).

الموسوعات الاجنبية

1.Encyclopedia Britannica ,vol,3,1958.

سابعا: المقالات والبحوث:أ- المقالات باللغة العربية

2. الافغاني,جمال الدين داعية الاصلاح والنهضة,"الصباح"(جريدة),بغداد,ملحق ديمقراطية ومجتمع مدني ,العدد(1075),27 اذار 2007م/8 ربيع اول 1428هـ.
3. امين,عثمان, جمال الدين الافغاني والاصلاح, "المرشد" (مجلة), طهران,العدد(1), 1415هـ/1994م.
4. البراك,عبد القادر,ذكريات من الذاكرة ..هل سكن الافغاني في بغداد,"الجمهورية"(صحيفة),بغداد,العدد(8037), 8جمادي الاول,1412هـ/14تشرين ثاني,1991م.
5. البستاني,مهدي جواد,وثائق غير منشورة عن المقاومة العربية في النجف اواسط القرن التاسع عشر ,"دراسات في التاريخ والاثار "(مجلة), بغداد ,مجلد (8), السنة 1991م.1991م.
6. الجندي,انور, مجالس جمال الدين الافغاني,"العربي"(مجلة),الكويت، العدد(157),شوال 1391هـ/كانون اول 1971م.
7. الجواهري,محمد مهدي,نهضة الادب النجفي ," الحيرة" (مجلة), النجف الاشرف,السنة الاولى,المجلد الاول,1927م.
8. الشامي,حسين ,الشيخ الانصاري دراسة في قيمه العلمية وظروفه الاجتماعية,"الفكر الجديد"(مجلة), لندن, السنة,3, العدد(10)10 رمضان 1415هـ/شباط 1995م.
9. الحكيم ،الدكتورحسن ضوءعلى طريق السيد الافغاني الاصلاحي,"الاستاذ الجامعي"(صحيفه),النجف الاشرف العدد(10),السنة الاولى,رمضان 1429هـ/ايلول 2008م.
10. الحكيم ،الدكتورحسن,جمال الدين الافغاني في النجف, "العراق"(صحيفه), بغداد,العدد(5219),14 نيسان 1993م.
11. الحكيم,الدكتورحسن,بين القاهرةوبغداد لقاءات ومناظرات في اللغةوالاداب, "الفرات"(صحيفه),النجف الاشرف,العدد(33),الاربعاء 10رمضان 1421هـ/6 كانون اول 1971م.
12. السعيد,حسن,السيد جمال الدين أسد ابادي(افغاني) حكيم الشرق وباعث نهضة, "التوحيد" (مجلة) العدد (81), السنة(14) , ذي الحجة 1416هـ/نيسان 1996.
13. صبيح,الدكتورنبيل عامر,الافغاني في روسيا القيصرية,"العربي" مجلة),الكويت ,العدد (226),ايلول 1977
14. صبيح، الدكتور نبيل, ندوات لها تاريخ,"العربي"(مجلة),الكويت,العدد(139), ربيع أول 1390هـ/حزيران 1970 م." ، (مجلة)،طهران ، العدد (16)، السنة(3)، 19 شعبان 1426هـ/24 أيلول 2005م،
15. رائي، الدكتور محسن، السيد جمال الدين والحركة الإصلاحية والوحدة الإسلامية،" "افاق الحضارة الإسلامية"،(مجلة)، طهران، السنة الثالثة ، 19 شعبان 1426هـ/24 أيلول 2005.
16. العلوجي,عبد الحميد,السيد جمال الدين الافغاني, "المورد" (مجلة), بغداد, العدد(1), المجلد (7), ربيع 1398هـ/1978م..
17. المحامي,كاظم معلة,دراسة الافغاني في النجف الاشرف,"العراق"(صحيفة), بغداد , العدد(5186), الاربعاء 3 رمضان 1413هـ/24 شباط 1993م.
18. المخزومي، الدكتو مهدي، مساهمة النجف في النهضة الأدبية الحديثة ، " الغري "،(مجلة)، النجف الاشرف، السنة الثانية، العددان (74-75) ، 1360هـ / 1941م.

ب- **باللغة الانكليزية:** 1-علي اصغرملا جعفر,السيد جمال الدين الافغاني,"الفكر الجديد"(مجلة),لندن,السنة الاولى, العدد(3), سبتمبر(ايلول), 1992,ربيع الاول ,1314هـ

ج- **البحوث العربية:** 1-النجف اسهامات في الحضارة الانسانية ,(مركز كربلاء للبحوث والدراسات), لندن,المركز الاسلامي في انكلترا, 2000م, ج1-ج2.

ثامنا: الصحف والمجلات العراقية والعربية والاجنبية:

1. " الحيرة "(مجلة)،المجلد الاول ، ج1 ، 29 كانون ثاني 1927م .
2. "آفاق الحضارةالإسلامية"(مجلة),العدد16,السنة 3, 19شعبان1426/ 24ايلول 2005م.
3. "الاستاذالجامعي"(صحيفة)، النجف،العدد10،السنةالأولى،رمضان1429/ايلول 2008م.
4. "الجمهورية"(صحيفة),بغداد,العدد 8037, 8جمادي الاولى1412هـ/14تشرين الثاني 1991م.
5. "الدستور"(صحيفة)،بغداد،العدد 1567،السنة السادسة،الخميس 29كانون الثاني 2009م..
6. "الصباح"(جريدة)،بغداد،ملحق ديمقراطيةومجتمع مدني،(العدد 1075)،27 آذار 2007م/8 ربيع الاول 1428هـ.
7. "العراق" (صحيفة), بغداد, العدد 5219, 14 نيسان 1993م.
8. "العراق" (صحيفة), العدد 5186, الاربعاء 3رمضان 1413هـ/24 شباط 1993م.
9. "العربي" (مجلة) ، الكويت ، العدد 139، ربيع الأول 1390هـ / حزيران 1970م
10. "العربي" (مجلة), العدد 157، شوال 1391 هـ / كانون أول 1971م . .
11. "العروة الوثقى" (مجلة), الاعداد الثمانية عشر،باريس، 1883.
12. " الغري " (مجلة) ، النجف الاشرف ، السنة الثانية، العددان(74-75).
13. "الفرات"(صحيفة)،النجف الأشرف،العدد33،الأربعاء 10 رمضان 1421هـ/ 6 كانون أول 2000م
14. "الفكر الجديد" (مجلة) , لندن , العدد 3, أيلول 1992, (ملحق باللغة الأنكليزية) .
15. "الفكر الجديد" (مجلة), لندن , السنة 3, العدد 10, رمضان 1415هـ/ شباط 1995م.
16. "المجلة التاريخية لجمعية العراقية للآثار" (مجلة), بغداد, العدد2-3, 1982م. .
17. "المرشد" (مجلة) ،طهران، العدد 1 ، 1994م. .
18. "المورد" (مجلة) ،بغداد، العدد1، المجلد 7، ربيع 1978م/ 1398هـ
19. "الموسم" (مجلة),هولندا, العدد 20، 1415هـ / 1994م.
20. "دراسات في التاريخ والآثار" (مجلة)، بغداد، المجلد 8، السنة 1991م.
21. "مصر" (صحيفة)، الإسكندرية،العدد(21) ، 17 اكتوبر 1878 م / جمادى الاولى 1295هـ
22. "مصر"(صحيفة)،الإسكندرية، العدد (33)، 22 صفر 1296 هـ/ فبراير سنة 1879م).

تاسعا: الانترنت

1. "أنترنت" , الأفغاني مصلح رغم الجدل , (الموقع), (http://www.snjd.com)
2. "أنترنت" ,الشيخ الافغاني المصلح الكبير, (الموقع), (http://www.alghad.dot) .
3. "انترنت", جمال الدين الافغاني خطيب الشرق الذي رن في الخافقين خطابه ,(الموقع) (http://www.rouza.com)
4. "أنترنت", علي الوردي, (الموقع), (http://www.ar.wikipedia.org).
5. "أنترنت"،السيد جمال الدين الافغاني(رحمه الله),(الموقع)،(http;/ www.hoaim.net Net).
6. أنترنت" , الشيخ حسين قلي الهمداني ,(الموقع),(http://www.m-al-huda.com)
7. أنترنت", جمال الدين الأفغاني,(الموقع), (http://www.7nona.com) .

Utilizing Technology in Translation

Assist.Prof.Dr. Abdulsalam Abdulmajeed Al.Ogaili
University of Basrah /College of Arts

Abstract

The way technology has developed has forced a change in the industry whereby traditional translation skills must now be combined with technical ability. Some translation scholars have broadly considered the relationship between changes in technology and communication. Referring to the way computers have changed the way we write, read and think, and that has led to conceptual changes that challenge their definition of translation. The technology involves deep conceptual changes and therefore affects tasks. Thus, translators no longer think of themselves as just isolated ones, but as technical adapters/experts offering their performance to ever-increasing communication. This study is based on Rainer Schulte's assumption (1985) that translation calls for highly-qualified translators who need to be acquainted with the latest technology.

1.Introduction

Technology extends human capacities. More general technologies are collections of tools. Some of them affect our communications, and thus translation. The use of print technology from the fifteenth century supported the idea of the definitive translation, and thus notions of equivalence as a relation between fixed texts. Here shall be looked at translation tools that extend translators' capacities. These tools fundamentally affect communication. (Esselink,2000:www)

The industrial applications of translation tools are based on the idea that translation is a word-replacement activity. On the other hand translation theories since the 1980s have tended to see translators as communicators whose duties go beyond the replacement of source-text words; translators are employed to provide meaningful communication. Translation tools make this difficult. Indeed, they move translators back to the linguistic equivalence paradigms of the 1960s. Through the years translators' work went through different stages, the reason for that goes to technological advances and communication. The relationship between translators and their clients plus the process of translators work have changed. This goes to the increasing in the amount of translated information and the development of translation tools. Studies say translation tools may increase and help translation to concentrate on what matters the most, but there are problems that accompany such advantages, these problems will be included in the solution. (Bedard,2000:www)

Electronic communications have additionally been used to foster communications between translators, particularly via internet forums for professional translator. In these boards translators are very inclined to change advice, give tips, and generally discuss their work simply by reading the posted message, college students and commonly talk about their work to learn about translation and see the kind of help that experts supply each other. (Lockwood, 2000: 187-202)

Translation scholars introduced the idea of the translator going beyond just transferring the language elements to paper. They saw the translator as actually reaching out and adopting the technology required to take a step further into previously uncharted territory into the realms of *multimedia, software, video,* and *websites*. (Schulte,1985:www)

This study investigates the following question: Do translators take advantage of being acquainted with the latest technical means to enrich their communicative abilities and develop their performance in the new age of technology?

2. Literature Review

This part is devoted to discussing other studies conducted previously on the same topic in hand. In this part, advantages and disadvantages for translators, translation and transfer, equivalence, translation and communication, are going to be expressed generally.

2.1. Advantages and Disadvantages for Translators

Technology is no longer an option in today s' professional world; it is a necessity. Practically all translating is aided by way of computer systems. Further, the most progressive tools are likely the everyday ones that are not precise to translation: internet search engines, spell checkers , search and replace functions, and revision tools have had a large affect on all varieties of written communication. The advantages introduced by using technology are so remarkable that they cannot be refused. Translator tools operate the most repetitive tasks so that translators can focus on the most creative elements of translation. The smart use of machine translation have to suggest that our fine human efforts are centred where they are most wished . However, technology is not perfect, and translators have to be fully aware of these shortcomings. Each new technology demands new investment, not simply in purchasing tools however also in gaining knowledge of how to use them. The investment one places in must be much less than the advantages one excepts to have, that the form of text corpora that linguists use to study. (Megal,2004:www)

2.2. Translation and Transfer

According to Alan Duff "translation, as the process of conveying messages across linguistic and cultural barriers, is an eminently communicative activity". And the truth that the twentieth century, the age of communication has additionally been called the age of translation support the fact that translation situates at the centre of this dynamic process. But, even if it belongs to the area of communication, translations show some variations with regard to the general model of communication which entails five stages: encoding, sending, transmission, reception, decoding. It appears that translation goes hand in hand with transfer, constantly supposing movement from a source language towards a target language, always having a certain effect on the target language audience. This brought about, "a sociology of reception" which proved that, as an intercultural phenomenon, translations have had a lively historical role in the configuration of the characteristics of a certain period. (Rodica,etal.2011,pp.1401-1841)

2.3. Equivalence

According to Susan Bassnett , "translation involves the rendering of a source language text into the target language, so as to ensure that the surface meaning of the two will be approximately similar and the structures of the source language will be preserved as closely as possible, but not so closely that the target language structures will be seriously distorted". The preservation of sure features from the original text brings us to the concept of equivalence. It is a well acknowledged truth that perfect equivalence is an ideal that can by no means be completely reached because, as Newmark showed, "each exercise of translation involves some kind of loss of meaning, the basic loss being a continuum between over translation (increased detail) and under translation (increased generalization)". The loss, of whatever kind, have to constantly be diminished by means of making an attempt to discover the type of equivalence suitable to the text to be translated. But texts in diverse languages can be equivalent in various degrees, in respect of diverse levels of presentation (equivalence in respect of context, of semantics, grammar, lexis, etc.) and at various ranks (word-for-word, phrase-for-phrase, sentence-for-sentence). Different linguists determined various classifications of equivalence and of kinds of translations. (Rodica, 2006:www)

2.4. **Translation and Communication**

Language communication is an essential part of translation and, in addition, it reveals the following characteristics: 1 During the normal communication, the sender and receiver have identical keys, the sender symbolizes specific media content in the form of text, and the sender decodes the text with these keys to extract media content. Following the Harris effect, we understand from the media content the semantic value of the linguistic expression, which shows that the specified sequence of signals is capable of causing a specific action to affect the recipient, in line with the sender's desire. Matching the symbol keys in the sender and recipient's possession is a key element of communication within a single language framework. It is understood, however, that the keys to communication partners cannot be fully identical in reality. In other words, the matching of the symbols' keys is a relative match, because absolute congruence can contradict the nature of language, which constitutes a flexible system, Specific, ability to change. In ordinary languages, there is no connection in one sense, between physical and physiological aspects of the language. The absolute congruence of the symbols' keys, in addition to the above, hinders the variance of personal experience (linguistic and experience in dealing with the

surrounding world), diverse from individual to individual, which leads to the emergence of the idiotic language in some representatives of the linguistic community. (Mundy,2001:www)

Communication is the exchange of information between individuals, cultures, civilizations, using a general system of symbols. It can be performed through verbal and non-verbal means. Two methods of communication are specified. Communication in the automated route is a one-way process to encode the transmission of information from the source and receive the information by the recipient. Communicating in the activity is a joint activity of the participants in the communication, in which a common overview of things and how to deal with them. If we want to understand the characteristics of the process of communication between languages, it is very important to acknowledge the perception of language as a system of signals. Inter-language communication is a process of reorganization of information, transmitted by a signal system, in a transitory information through a system of other signals appropriate to the linguistic format of the receiving language. (Rodica,2006:www)

2.5. Translators as Localization Experts

Technology involves deep conceptual adjustments and consequently impacts tasks. Localization is one of these tasks that has been affected by technology and makes use of it. It is the result to cope with new media, using new tools and learning new skills. Scholars noticed that the translator as simply attaining out and adopting the technology required to take a step in addition into formerly uncharted territory into the realms of *multimedia, software, video*, and *websites*. They did however draw the line at programming. They claimed their view was increasingly consistent with that documentation engineers or managers. They concluded that localization is the result of technological changes but it is also firmly in the domain of technology. Other scholars, adopting a narrower concept of localization as adopting a text (or a product) to a local audience, did not consider there to be any deep conceptual changes but did strongly advocate the idea that the translator must a new skill set. Translators be in a position to bridge the hole between technical human beings who lack the integral cultural awareness and translators who do not possess ample technical know- how. The scholars additionally asked what the relationship is between translation memories, localization and typical translation. They saw localization as a branch of translation that requires a vital awareness of translation theory but represents an activity that is a greater complex in its use of it. They felt that the underlying concept of adaptation to the local goal target audience stays constant, but what modifications is the extent of technical expertise involved.

Their definition of localization centres on new technological know-how and internationalization. They mentioned the concept of globalization ought to be central. This would involve the thought of the supply text as a draft which is then transformed as correctly as possible into localized and last version. They stated that localization is the translation of the new age. It has now not delivered conceptual changes to translation but has rather broadened the concept. Consequently, the translator needs to be acquainted with the latest technology. (Schulte,1985:www)

3. Methodology

The data used in this quantitative study includes that the translator must be familiar with the latest technical means of *multimedia*, *software*, *video*, and *websites* to develop and improve their translation performance in today's technology and communication .

For reasons of convenience, the researcher tackles the role of translators as technical adaptors/experts. The researcher considers that having the ability in one aspect only is a bad matter; therefore it is preferable to have complementary technical means to enhance translators' communicative abilities to develop and improve their translation performance.

To measure participants' attitudes toward the use of technical means as a tool to enhance their communicative abilities to develop and improve their translation performances in today's technology, 236 students of the Fourth Year in the Department of Translation, Basra University were selected to be the participants of this study.

The study participants are given a 10 - question questionnaire to tick one out of five boxes that corresponds their attitudes toward technical means in this study subject. Results revealed that the majority of the participants use technical means to enrich their communicative abilities to develop and improve their translation performance in today's technology.

Besides, results stemmed from the questionnaire indicated that the participants trust and believe in the role of the technical means in enhancing translators' communicative abilities to develop and improve their translation performance in today's technology.

Hence, the translator's acquaintance with the latest technology is required to develop and improve their translation performances in today's technology and communication.

4. Data Analysis

To measure the participants' opinion concerning the impact of technical means of *multimedia*, *software*, *video*, and *websites* on enhancing communicative abilities to develop and improve the

translation performances, (236) participants of the fourth year students in the Translation Department, College of Arts, Basra University were chosen to tick their favourite answers.

The results were as follows:

Participants answered the statement (1) [looks around the latest technical means on daily basis.], revealing that 31% of them strongly agree with this statement, 45% of them agree with this statement, 02% of them strongly disagree, 06% of them disagree, and 15% was neutral.

As to the statement (2) [urges the college administration to adopt the latest technical means to develop and improve translation performance in classes.], 58% of them strongly agree with this statement, 30% of them agree with this statement, 04% of them strongly disagree, 02% of them disagree, and 06% was neutral.

(3) [considers the latest technical means more interactive and confident in communicating with others to develop and improve translation performance.] reached that 44% of them strongly agree with this statement, 38% of them agree with this statement, 04% of them strongly disagree, 07% of them disagree, and 07% was neutral.

Moreover, Statement (4) [finds the latest technical means serve the purpose of their creation in developing and improving translation performance.] showed that 31% of them strongly agree with this statement, 40% of them agree with this statement, 08% of them strongly disagree, 07% of them disagree, and 10% was neutral.

Also, statement (5) [considers that he latest technical means offer enough opportunities to promote myself and activities in developing and improving translation performance.] brought that 30% of them strongly agree with this statement, 39% of them agree with this statement, 08% of them strongly disagree, 06% of them disagree, and 15% of them was neutral.

Statement (6) [feels that expressing self on the latest technical means enhances translation performance positively.] expressed that 25% of the participants strongly agree with this statement, 27% of them agree with this statement, 08% of them strongly disagree, 14% disagree, and 25% was neutral.

Moving through the statement (7) [feels motivated and enthusiastic while using the latest technical means.], it had shown that 33% of the participants strongly agree with this statement, 27% of them agree with this statement, 07% of them strongly disagree, 07% of them disagree, and 19% was neutral.

Statement (8) [believes the latest technical means assist translation performance in online education and training settings.] assured that 33% of the participants strongly agree with this statement, 40% of them agree with this statement, 07% of them strongly disagree, 08% of them disagree, and 12% was neutral.

As to statement (9) [thinks the latest technical means enhance the spirit of communication among translators.], it showed that 34% of the participants strongly agree with this statement, 27% of them agree with this statement, 08% of them disagree, and 13% was neutral.

Finally, as to the statement (10) [thinks the latest technical means have positive impact on translation performance.], it revealed that 36% of the participants strongly agree with this statement, 36% of them agree with this statement, 04% of them strongly disagree, 12% of them disagree, and 08% was neutral.

To sum up, the 236 participants responded positively toward the adoption of the latest technical means in the translation performance development and improvement. Majority of the study participants revealed their pleasure to use the latest technical means to develop and improve translation performance. They feel confident and enthusiastic while using these means. Hence, the latest technical means have enhanced their motivation to develop and improve translation performance.

5. Conclusions and Recommendations

The study concluded that specialization within one discipline no longer seems to meet the demand of our present educational needs. Having the ability in one aspect only is a bad matter; therefore traditional translation skills should now be combined with technical expertise. The participants as well have shown confidence in the new era of education. Present translators no longer think of themselves as isolated ones, but as ones surrounded with the latest technical means of *multimedia*, *software*, *video*, and *websites* that can make their translation performance better than before. As these means have the power to bridge the communicative gaps, it is a good chance for the present translators to enhance their translation performance . They have the role to facilitate the present education and training where translators have a big area of freedom to communicate with each other confidently. Translators, through these means, will be able to develop and improve translation performance without hesitance. They look at their instructors as education and training process facilitators. Thus, disagreeing with today's point of views could reverse the results and would widen a gap between today's generation of translators and present education and training processes.

So, it is recommended that translation training via the latest technical means should be encouraged rapidly in The Translation Department. Because lecturing alone is not fruitful access to translators' performance. The translation department instructors as well must be familiar with the latest technical means of *multimedia*, *software*, *video*, and *websites* and know that present education and training process across the world is shifted, and these tools should be applied in developing and improving translation performance. Therefore, present instructors of this technical world should also change their techniques to cope with the needs of today's translators and abandon outdated ones.

5. References

Bedard,C. (2000)."Translation memory seeks sentence-orientied translator...".Traduire 186.http\\www.terminotix. com\eng\info\mem_1.htm.Visited 7September2005 .

Esselink, Bert.(2000). A Practical Guide to Localization.

Amsterdam andPhiladelphia :John Benjamins.

Lockwood,Rose.(2000)."Machine Translation and Controlled

Authoring at caterpillar ".In Translating into success.

Cutting-edge strategies for going multilingual in a global age.Robert C. Sprung (ed), Amsterdam\Philadelphi: John Benjamins. 187-202.

Megal,Fabrizio.(2004).Diritto d'autore del traduttore. Napoli:

EditorialeScientifica.

Munday – Introducing Translation Studies, London and New York, Routledge, 2001 [4] Douglas 8. Robinson - Becoming a Translator. An Introduction to the Theory and Practice of Translation, Second Edition, London and New York, Routledge, 2003.

Mullamaa, K. and Pineiro, O.(2006) Is Localization Just Technology. Spain: University of Rovira and Virgili. Cited in Translation and Technology and its Teaching.(2006) Tarragona: Spain.

Newmark, P.(1988) A Textbook of Translation.UK: Shanghai Foreign Language Education Press.

Newmark, P.(2005) Studies in English.USA: Masaryk University. Retrieved from: www.tradovision.com/wp/read.php?id

Rodica, Teodora, Biriş, Denglisch – eine Umgangssprache? , Studii de Ştiinţă şi Cultură, (Science and Culture Studies) "Vasile Goldiş" University Press Arad, December, 2011, ISSN 1841-1401.

Rodica Dumitriu - The Cultural Turn in Translation Studies, Iaşi, Institutul European, 2006 [3] Jeremy

Students' Questionnaire

Dear students: I invite you to participate in the research study of the issue "Utilizing Technology in Translation". Your answer will help me to achieve the research goal. I appreciate your participation in the research study in advance.

You are offered various answers on a number of statements. Please, read them carefully and put a tick mark on the answer that best describes your point of view.

Student's name: Age: Date:

No.	I am a person who ...	Strongly agree	agree	Strongly Disagree	Disagree	Neutral
1.	looks around the latest technical means on daily basis.	31%	45%	02%	06%	15%
2.	urges the College administration to adopt the latest technical means to develop and improve translation performance in classes.	58%	30%	04%	02%	06%
3.	considers the latest technical means more interactive and confident in communicating with others to develop and improve translation performance.	44%	38%	04%	07%	07%
4.	finds the latest technical means serve the purpose of their creation in developing and improving translation performance.	31%	40%	08%	07%	10%

5.	considers that the latest technical means offer enough opportunities to promote activities in developing and improving translation performance.	30%	39%	08%	06%	15%
6.	feels that expressing self on the latest technical means enhances translation performance positively.	25%	27%	08%	14%	25%
7.	feels motivated and enthusiastic while using the latest technical means.	33%	27%	07%	07%	19%
8.	believes the latest technical means assist translation performance in online education and training settings.	33%	40%	07%	08%	12%
9.	thinks the latest technical means enhance the spirit of communication among translators	34%	27%	09%	08%	13%
10	thinks the latest technical means have positive impact on translation performance.	36%	36%	04%	12%	08%

Philosophical Thinking:A Guiding Role in Research

Dr. Asaad C. Hamood
University of Basrah /College of Arts

Abstract

This research paper deals with one central question as to how our philosophical assumptions guide our research. The paper starts by explaining key words in educational research and educational research philosophy: paradigm, ontology, epistemology and methodology. It is crucial to the discussion of ontology, epistemology and methodology to show how these three terms are very closely related. Within the realm of ontology, two philosophical schools are recognized: objectivism and constructivism. Under the epistemological umbrella, two philosophical concepts are noticed: positivism and interpretivism (Marsh & Furlong, 2010). Normally, objectivist researchers, represented by Auguste Comte (Cohen, Manion, & Morrison, 2011), tend to behave in a positivist way. On the other hand, constructivist researchers, represented by Kant and Hegel, Marx and Engels - specifically Theses on Feuerbach and The German Ideology, and Vygotsky (Lantolf & Thorne, 2006), usually follow an interpretative epistemological path. However, the case is not that simple!

1. Introduction

In this paper, qualitative and quantitative research methods are compared and contrasted. But prior to that, the term *paradigm* is introduced and the philosophical concepts that underpin it - namely ontology, epistemology and methodology - are uncovered. After that, an experimental example is supplied. Such an example shows how such philosophical research underpinnings (i.e. ontology and epistemology) guide the research and directly influence the methodology adopted.

The Term Paradigm: The Role of the Philosopher Thomas Kuhn

Having Faced difficulty understanding Aristotle's account of the physical world, Thomas Kuhn - though experienced in 20th century physics - coined the term paradigm in the 1960s (Hammersley, 2007; Scott & Morrison, 2007). This difficulty urged him to study the natural science in depth, from a different angle, and consult the work of other scholars who were also unconvinced of the Greek philosopher's explanations of the physical world. His investigation resulted in his call for the establishment of an alternative paradigm: a paradigm taking into account the social aspect of the natural science (Hammersley, 2007; Kuhn, 1970). Kuhn (1970) believed that the old paradigm (which was called positivism as represented by the scientific movement) and his new paradigm (often attached to interpretivism) are incompatible (Hammersley, 2007; Kuhn, 1970). However, a new paradigm – called mixed methods research paradigm – has recently emerged whose proponents (such as Johnson and Onwuegbuzie, 2004; Denscombe *et al.*, 2008) argued that the commensurability of the positivist and interpretivist paradigms is possible (Cohen *et al.*, 2011).

The paradigm represents "a fixed body of knowledge and a particular belief system". It is in fact a way in which we look at the world (Tobin & Kincheloe, 2006, p. 102). It is based upon three – very closely related – philosophical assumptions: ontology, epistemology and methodology (Cohen *et al.*, 2011, Hammersley, 2007, Guba & Lincoln, 1994). It is useful in this context to supply a brief account with regards to the origin of *paradigm* and Thomas Kuhn Role in its coining. As has been clearly stated, the paradigm is composed of three interrelated components: ontology, epistemology and methodology. Below is an account of these philosophical terms.

2. Mainstream Philosophy: Ontology, Epistemology and Methodology

2.1. Ontology: The Foundational Level

This first philosophical level is represented by ontology. Ontology is defined as the "theory of being" (Marsh & Furlong, 2010, p.185). It is the start of the research, that is followed logically by one' s epistemological and methodological stances (Grix, 2002). This philosophical concept is concerned with the researcher's belief s about the nature of reality or social phenomenon (Cohen *et al.*, 2011;

Paul & Marfo, 2001; Allison & Pomeroy, 2000; Tudge, 2000; Guba & Lincoln, 1994). This philosophical level, objectivists and constructivists are recognized.

Objectivists are those researchers who believe in the availability of an objective reality that is independent of the researcher. They also believe that this reality can be discovered, measured, reduced to numbers and replicable (Cohen *et al.*, 2011; Hammersley, 2007; Grix, 2002; Guba & Lincoln, 1994). Constructivists, on the other hand, are those who maintain that reality is "multiple", something relative, abstract and socially constructed (Ates, Coban, & Sengoren, 2017); Cohen, et al, 2011; Marsh and Furlong, 2010; Hammersley, 2007; Grix, 2002; Guba and Lincoln, 1994). Marsh and Furlong (2010) provide an explain which clearly explains these two positions.

Examining Men Are from Mars Women Are from Venus (Gray, 2002), it can be recognized that this book provides and objectivist ontological position. In this book, the author argues that men are completely different from women. The difference - that he maintains - is "essential" and thus has nothing to do with time and place. In other words, men are different from women in "features of their very existence" (i.e. ontologically different). On the other hand, feminists believe that there are no "essential" difference between men and women. They are of the view that their difference is but a cultural construct. Thus, they can be looked upon as holding a constructivist ontological position (Marsh & Furlong, 2002, p. 18). However, Pring (2000) holds that the philosophical assumptions underpinning social research have been misunderstood by a number of researchers. Therefore, he disagrees with constructivists and maintains that as there is a tangible reality in the physical world, there does exist a social reality. Weber (2004) also appears to be sure of the existence of some (social) reality that is beyond our perceptions.

Having discussed the first philosophical level, it is now high time to move on to the second philosophical level – i.e. epistemology.

2.2. Epistemology: The Information level

This second level is related to epistemology – i.e. information! Literally, epistemology is the "theory of knowledge" (Marsh & Furlong, 2010, p.185, Bartlett & Burton, 2007, p. 77). It is concerned with the researcher's way of looking at knowledge within reality (Allison & Pomeroy, 2000). Epistemology is concerned with two issues: The first is related to the question as to how certain we are about our research conclusions; the second concerns the question as to whether or not our research findings can be generalized (Hay, 2002). Positivism and interpritivism are noticed at this philosophical level (that is concerned with knowledge).

Positivism is "the belief that all true knowledge is based on observable phenomenon" (Wellington, 2000, p. 199). As such, positivists (such as Henri de Saint- Simon, Pierre-Simon Laplace, and Auguste Comte) consider their findings as being facts, laws and true and as having the potential to be generalized (Guba & Lincoln, 1994). They also place a lot of emphasis on the objective state of the researcher (Carson *et al.*, 2000). According to them, the social researcher should treat social phenomena the same way scientist treat physical entities – such as atoms and chemicals (Bartlett & Burton, 2007; Hammersley, 2007). Interpretivism, on the other hand, is the philosophical stance considering knowledge as gained through the interpretation that the researcher (and the research participants) make(s) of the data (Bartlett & Burton, 2007). This means that the researcher is not objective in their research but rather is "part of the research instrument" (Carson *et al.*, 2000, p. 13). It has to be noted in this respect that the researcher's interpretation of the data is neither facts, nor laws nor true; it is, rather, just an opinion – a mere point of view. Therefore, research findings cannot be generalized (Bartlett & Burton, 2007). However, some theorists and researchers disagree with this account.

It has been stated at the outset of this paper that that ontology, epistemology and methodology are closely connected. In what follows, it will be shown how ontology impacts epistemology!

Epistemology Influenced by Ontology

Ontology, as noted above, affects epistemology. Objectivists (researchers looking at social phenomenon – i.e. reality – as something physically available) normally hold a positivist epistemological stance: that research should be conducted objectively and that research findings – i.e. knowledge- are facts, laws and true. The Swiss psychologist Piaget as an illustrative example:

> Piaget is an objectivist. This is due to the fact that he studied children's behavior (which is a social phenomenon) experimentally (Bartlett & Burton, 2007). That is, he studied behavior in a way analogous to physical entities. It is stated (Bartlett & Burton, 2007) that his objective ontological views towards children's behavior led him to adopt a positivist epistemological point of view. According to him, behavior can be measured through observing how certain variables could have an influence on it (i.e. behavior)! As a positivist, Piaget, along with other positivist researchers (e.g. Comte), look upon his findings as something true, on account that these findings have nothing to do with his opinion and that they can be replicated by researchers working on similar cases in similar contexts. On the other hand, constructivists (researchers believing that social phenomenon is relative -e.g. Dewey, Bruner and Vygotsky) often embrace an interpretivist epistemological stance.

As such, they consider their findings as being only a point of view. So, because they believe that social reality is multiple, there is no single interpretation of it (Cohen et al, 2011; Marsh and Furlong, 2010; Hammersly, 2007; Willis, 2007; Grix, 2002). However, Hay (2002) states that "one's ontology is not reducible to one's epistemology" (p. 67). In other words, researchers adopting an objectivist ontological position do not always need to follow positivist epistemological stances (Marsh & Stoker, 2010; Marsh & Stoker, 2002; Grix, 2002).

That said, it is time to turn to methodology – the most recognizable level of the paradigm – and show how methodological practices are informed by epistemological assumptions.

2.3. Methodology: The Most Recognizable Level

This third level is the most noticeable one! Methodology can be defined as the process "of choosing, reflecting upon, evaluating and justifying the methods" used (Wellington, 2000, p. 22). Because it is logically related to research methods, methodology is so often confused with methods (Grix, 2000, p. 179). Methods are defined as techniques or tools researchers adopt to collect (Clough and Nutbrown, 2007) and analyze their data (Blaikie, 2000). In social science research, there are two main methods of data collection: Qualitative and quantitative research methods (Cresswell, 2009). It should be pointed out here that mixed methods research has recently emerged and is widely recognized (Cohen et al, 2011; Denscombe et al, 2008; Johnson and Onwuegbuzie, 2004).

Diagram (1) below shows these three philosophical assumptions about research. The top – i.e. methodology - is shown in a slightly light color! This is to indicate that it is the only part that is appears to light!

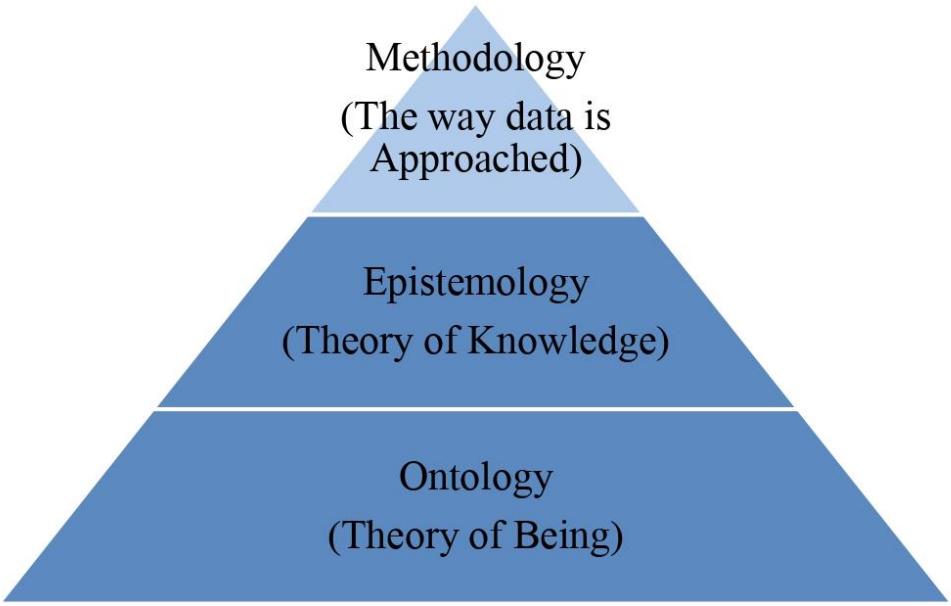

Closely related to methodology is the discussion of quantitative, qualitative and mixed methods research. Therefore, they are discussed in the section to follow.

2.3.1. Quantitative Research

Quantitative research works in a deductive way (Leydens, Moskal and Pavelich, 2004). This means that quantitative researchers start their research with a hypothesis and aim at testing it – i.e. checking whether it is true or false (Bartlett and Burton, 2007; Carson et al, 2001). Because they are interested in "counts and measures of things", as Berg (2009, p.3) stated, and in making generalizations, as Cohen el al, (2011) and Mahoney and Goertz, (2006) argued, they use such data collection methods as surveys and structured interviews (Cohen et al, 2011; Creswell, 2009). In such a deductive quantitative process, data analysis phase will not start until all data have been gathered (Leydens et al, 2004). The quality of quantitative research is judged by validity and reliability of data (Bartlett and Burton, 2007).

2.3.1.1. Validity

Validity is "a demonstration that a particular instrument... measures what it purports to measure" (Cohen et al, 2011, p. 179). According to Bartlett and Burton, (2007), Validity points to three important aspects in the quantitative research: accuracy, correctness, and truthfulness of the data. It has also to be noted here that it is impossible to achieve a perfectly valid research; that is why quantitative research does possess an inbuilt measure of a standard error that should be reported (Cohen et al, 2011). Reliability, on the other hand, is an assessment of method consistency (Bartlett and Burton, 2007, p. 44). Quantitative researchers are very much concerned with reliability; this is because they are normally conducting a large scale research. However, certain criticism has been leveled at the quantitative research. For example, it has been argued that quantitative research cannot provide depth for the research data (Cohen et al, 2007; Bartlett and Burton, 2007). In addition the research process is not completely objective (Bartlett and Burton, 2007; Johnson and Onwuegbuzie, 2004).

2.3.1.2. Reliability

Quantitative research - contrary to the qualitative one - operates inductively. That is to say, researchers do not begin their research with a hypothesis; rather, their theory emerges from the data they collect (Cohen et al, 2011; Bartlett and Burton, 2007; Scott and Morrison, 2006). Such a research is called theory grounded – a type of research in which theory is grounded in the data (Baikie, 2010)! According to Berg (2009), qualitative researchers often refer to "the meanings, concepts, definitions, characteristics, metaphors, symbols, and description of things"). Their aim is

to deeply understand the social phenomena (Cohen et al, 200111; Bartlett and Burton, 2007; Mahoney and Goertz, 2006). To achieve this aim, they adopt such methods of data collection as observations, unstructured interviews and document [text] analysis (Cohen et al, 2011; Creswell, 2009).

2.3.2. Qualitative Research

Qualitative research, rather than judged by validity and reliability, is evaluated through such measures as trustworthiness and authenticity (Brown et al, 2002; Wellington, 2000; Lincoln and Guba, 1994).

2.3.2.1. Trustworthiness

Trustworthiness is a term introduced by Lincoln and Guba (1985). A qualitative research study is said to be trustworthy when it is ethically conducted (Padgett, 2009) and when its findings depict accurately "the settings and events, participants' perspectives, or content of documents" (Leydens et al, 2004, p. 67). Trustworthiness is composed of four constituents: credibility, transferability, dependability and confirmability (Brown et al, 2002; Wellington, 2000; Lincoln and Guba, 1985). It can be achieved through employing various methods of data collection and data analysis (Leydens et al, 2004).

2.3.2.2. Authenticity

Holloway (1997) states that authenticity is achieved when "the strategies used are appropriate for the true reporting of the participants' ideas". It is composed of the following five components: fairness, ontological authenticity, educative authenticity, catalytic authenticity and tactical authenticity (Holloway, 1997). However, like quantitative research, qualitative research – more specifically the process of data interpretation – has been criticized. For example, being so specific to a single case (or a few cases), qualitative research findings cannot be generalized. Thus, it was argued that the findings could neither be of use to the teachers who aim to improve their practices, nor to policy makers who aim to develop a certain educational policy (Cohen *et al.*, 2011)! There are also claims that qualitative researchers usually impose their own opinions in the process of data interpretation (Cohen et al, 2011; Scott & Morrison, 2006).

The following section will answer the question as to how would epistemological assumptions determine the methodology employed.

Epistemology Determines Methodology

Researchers with positivist beliefs (e.g. Comte and Piaget) would normally use quantitative methods in order to quantify the researched phenomenon, be it physical or social. On the other

hand, those embracing interpretivist beliefs (e.g. Vygotsky) would usually employ qualitative methods which allow them to understand the phenomenon under investigation. An illustrative example is crucial here!

A situation can be imagined in which a positivist and an interpretivist investigate the English language proficiency of two learners. Those researchers provide the learners a question which both learners answer correctly! The positivist might state in their finding that that the two students answered the question correctly, based upon their direct observation - observation is the method of data collection here. But quite differently, the interpretivist might find out that one of the learners studied smart and was able to answer the question, while the other only made a correct guess! The researcher might be able to discover that through the learners' account in the interview - a structured interview is the interpretivist method of data collection (adapted from Pring, 2000). So, because the positivist believe that knowledge is gained through direct observation (epistemology), they employed observation as a method to collect their data (methodology) so as to be able to observe the tangible reality – the answer sheet of the two students. Due to the fact that the interpretivist believes in the constructed interpretation of the data – i.e. data is constructed between the researcher and the research participants (epistemology) - they would avail themselves of the interview as a data collection tool (methodology).

3. Different Philosophical Stance

Weber (2004) who is a positivist rejects the idea that positivists work can provide facts or laws. He notes that the researcher's experience, culture and history can have an influence on their work and its findings. Pring (2015) also seems to disagree with the interpretivists stance and states that social science might provide us with facts about which generalizations can be made. This is because people do possess emotions and capacities, which are predictable, thus enabling "generalizations to be made and 'quantities' to be added and subtracted" (Pring, 2000, p. 51).

Paul Connolly (2012; 2007) is a pioneer in a quantitative research. He is always dealing with such abstract notions as feelings and emotions as though they are being tangible and real! For example, he supplies a number of examples I which the respondents are asked to rate their feeling on a likert, ranging scale from 1 to 5, with one being "Very much like" down to five "Not at all"! According to this scale, the respondents are asked about a given statement whether they like or dislike, and if they do like they need to tell how much they like or if they dislike how much this dislike is! The following experiential example shows this difference in approach.

Different Philosophical Orientation: An Experimental Example

Drawing on Connolly (2012; 2007), the researcher did an empirical study in 2012 and collected & analyzed the students' feelings statistically - the analysis was conducted with the help of the Statistical Package for the Social Sciences (SPSS) software! This quantitative study included 80 ESL learners in Belfast! It examined if there was a difference between Middle Eastern & North African ESL students and European ESL students in Belfast in relation to their attitudes towards the student-centered approach. It also investigated if there was a difference between the male and female ESL students regarding their views towards the aforementioned approach. In addition, it raised a question as to whether there is any relation between the their age and their opinions on this approach!

1. **Ontology**

This example followed objectivist ontology where learners feelings were quantified and treated as being something tangible! This is not in accordance with mainstream views as feelings are normally dealt with through a constructivist ontological approach! This has reversed the research formula! In this study, the following three hypotheses were tested:

***H1**: There is a difference between Middle Eastern & North African ESL students and European students in Belfast concerning their attitudes towards the student-centered approach.*

***H2**: There is a difference between male and female ESL students in Belfast regarding their attitudes towards the student-centered approach.*

***H3**: There is a relation between the age of the ESL students and their attitudes towards the student-centered approach.*

2. **Epistemology**

The example followed a positivistic epistemological stance after respondents' feelings were counted as data were collected statistically! The researcher here is totally objective as he had no role in data interpretation as data were analyzed and interpreted via the computer!

3. **Methodology**

Data were collected quantitatively! A questionnaire was used as a data collection tool! Data were analyzed statistically via the SPSS computer software!

4. **Results**

The statistics showed there was no difference between the two groups as regards their views on the student-centered approach. Also, no gender differences were revealed concerning their stance on the approach. In addition, a Spearman Correlation Test proved no relation between the students'

age and their attitudes towards the examined approach. Figure 1 and Output 1 below clearly illustrate that:

Figure 1:

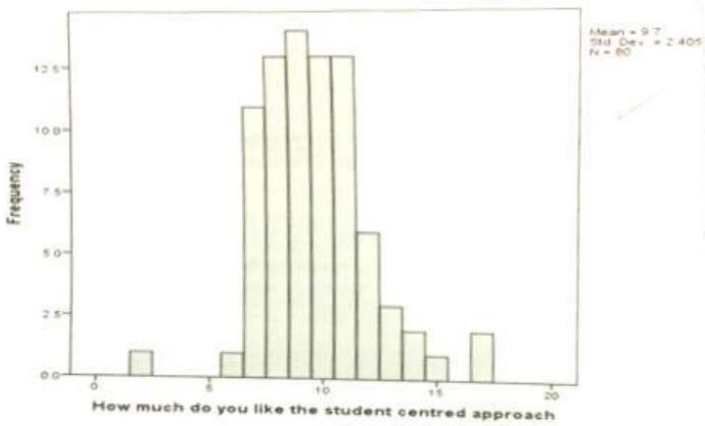

Output 1:

One-Sample Kolmogorov-Smirnov Test

		How much do you like the student centred approach
N		80
Normal Parameters[a,b]	Mean	9.70
	Std. Deviation	2.405
Most Extreme Differences	Absolute	.119
	Positive	.119
	Negative	-.106
Kolmogorov-Smirnov Z		1.068
Asymp. Sig. (2-tailed)		.204

a. Test distribution is Normal.

b. Calculated from data.

5. **Suggestions:**

It was suggested that future studies with a similar design could involve a large number of students! It was also suggested that the same design could be applied on different topics/fields where the participants feelings are calculated statistically! Other suggestions included adding additional variable to the current variables!

6. **Limitations:**

Time was one of the major limitations of this study. Thus, interested researcher may try a similar research with a longer period of time!

7. Conclusion:

The main conclusion in this experimental study was that there was no difference between the two groups as regards their views on the student-centered approach. Also, no gender differences were shown concerning their stance on the approach. In addition, no relation was revealed between the students' age and their attitudes towards the examined approach.

4. The Current Research Overall Conclusion

In this research paper, the term paradigm was introduced and its three philosophical constituents: ontology, epistemology and methodology were explained. The paper also showed how ontology impacts on epistemology and how the latter influences methodology. Further, the qualitative and quantitative research methods were discussed! An experimental research example showing how a previous philosophical beliefs could influence the direction of the research was also supplied! This example belongs to a philosophical stance that is different to the mainstream's. ***The main point in this study was that previous philosophical views influence the methodology employed.***

This research paper is significant in that it can help new researchers examine their world views and conduct their research accordingly. Future researchers could provide different hypothetical example. For example, one study might include a hypothetical qualitative interpretivist example. Another study could provide a mixed methods research study example.

References

Allison, P. & Pomeroy, E. (2000). How Shall We "Know": Epistemological concerns in Research in Experiential Education. *The Journal of Experiential Education,* 23(2), 91-98.

Atez, O. Coban, G. U. Sengoren, S. K. (2017). Consistency between Constructivist Profiles and Instructional Practices of Prospective Physics Teachers. *European Journal of Educational Research,* 7(2), 359-372.

Berg, B. L. (2009). *Qualitative Research Methods* (7th ed.). Boston, MA: Allyn & Bacon.

Blaikie, N. (2009). *Designing Social Research* (2nd ed.). Cambridge: Polity.

Blaikie, N. (2000). *Designing Social Research.* Cambridge: Polity.

Brown, S. C., Steven, R. A., Troiano, P. F., & Schneider, M. K. (2002). Exploring Complex Phenomena: Grounded Theory in Student Affair Research. *Journal of College Student Development,* 43(2), 173-183.

Carson, D., Gilmore, A., Perry, C., & Gronhaug, K. (2001). *Qualitative Marketing Research.* London: Sage Publications Ltd.

Clough, P. & Nutbrown, C. (2007). *A Student's Guide to Methodology* (2nd ed.). London: Sage.

Cohen, L. Manion, L. & Morrison, K. (2011). *Research Methods in Education* (7th ed.). London: Routledge.

Connolly, P. (2012). Quantitative Research Methods. Module lectures, QUB.

Connolly, P. (2007). *Quantitative Data Analysis in Education: A Critical Introduction Using the SPSS.* Routledge.

Creswell, J. W. (2009). *Research Design: Qualitative, Quantitative and Mixed Methods Approach* (3rd ed.). Los Angeles; Calif.; London: Sage.

Denscombe, M. (2014). *The Good Research Guide: for Small-scale Social Research Projects.* Berkshire: Open University Press.

Devine, F. (2002). Qualitative Methods. In D. Marsh & G. Stoker (eds.) *Theory and Methods in Political Science* (2nd ed., pp. 197-215). Basingstoke: Palgrave Macmillan.

Kuhn, T. S. (1970). *The Structure of Scientific Revolution.* London; Chicago: University of Chicago Press.

Grey, J. (2002). *Men Are from Mars, Women Are from Venus: a Practical Guide for Improving Communication and Getting What You Want in Your Relationships* (2nd ed.). London: Thorsons.

Grix, J. (2002). Introducing Students to the Genetic Terminology of Social Research. *Politics,* 22(3), 175-186.

Guba, E. G. & Lincoln, Y. S. (1994) 'Competing Paradigms in Qualitative Research. In N. K. Denzin & Y. S. Lincoln (Eds.), *Handbook of Qualitative Research.* Thousand Oaks, Calif.; London: Sage, 105-117.

Hammersley, M. (2007). Methodological Paradigms in Educational Research. London: TLPR.[Online]. Available at: www.bera.ac.uk/methodological-paradigms-in-educational-research/. Last Accessed on 4th Jan. 2012.

Hay, C. (2000). *Political Analysis: a critical introduction.* Basingstoke: Palgrave.

Holloway, I, (1997). *Basic Concepts for Qualitative Research.* Oxford: Blackwell Science.

Johnson, R. B. & Onwuegbuzie, A. J. (2004). Mixed Methods Research: A Research Paradigm Whose Time Has Come. *Educational Researcher,* 33(7), 14-26.

Lantolf, J. P. & Thorne, S. L. (2006). *Sociocultural Theory and the Genesis of Second Language Development.* Oxford: Oxford University Press.

Leydens, J. A. Moskal, B. M., & Pavelich, M. J. (2004). Qualitative Methods Used in the Assessment of Engineering Education. *Journal of Engineering Education,* 93(1), 65-72.

Lincoln, Y. 7 Guba, E. (1985). *Naturalist Enquiry.* Beverly Hills, Calif.; London: Sage.

Marsh, D. & Furlong, P. (2010). A Skin Not a Sweeter: Ontology, Epistemology in Political Science. In D. Marsh & G. Stoker (Eds.), *Theory and Methods in Political Science* (3rd ed., pp. 184-211). Basingstoke: Palgrave Macmillan.

Marsh, D. & Furlong, P. (2002). A Skin Not a Sweeter: Ontology, Epistemology in Political Science. In D. Marsh & G. Stoker (Eds.), *Theory and Methods in Political Science* (2nd ed., pp. 184-211). Basingstoke: Palgrave Macmillan.

Mahoney, J. & Goertz, G. (2006). A Tale of Two Cultures: Contrasting Quantitative and Qualitative Research. *Political Analysis,* 14, 227-249.

Ozgul, F. Kangalgil, M. Diker, G. & Yamen, E. (2017). Evaluation of the Constructivist Learning Environments of Physical Education Teacher Candidates. *European Journal of Educational Research,* 7(3), 653-658.

Padgett, D. K. (2009). Qualitative and Mixed Methods in Social Work Knowledge Development. *Social Work,* 54(2), 101-105.

Paul, J. L. & Marfo, K. (2001). Preparations of Educational Researchers in Philosophical Foundations of Enquiry. *Review of Educational Research,* 71(4), 525-547.

Pring, R. (2015). *Philosophy of Educational Research.* London: Continuum.

Pring, R. (2000). *Philosophy of Educational Research.* London: Continuum.

Scott, D. & Morrison, M. (2006). *Key Ideas in Educational Research.* London: Continuum.

Tobin, K. & Kincheloe, J. L. (2006). *Doing Educational Research.* Rotterdam: Sense Publishers.

Tudge, J. (2000). Theory, Method and Analysis in Research on the Relations between Peer Collaborations and Cognitive Development. *The Journal of Experiential Education,* 69(1), 98-112.

Vromen, A. (2010). Debating Methods: Rediscovering Qualitative Approaches. In D. Marsh & G. Stoker (Eds.). *Theory and Methods in Political Science* (3rd ed., pp. 249-266). Basingstoke: Palgrave Macmillan.

Weber, R. (2004). The Rhetoric of Positivism Versus Interpretivism: A personal View. *Management Information Systems Quarterly*, 28(1), III-XII.

Wellington, J. (2000). *Educational Research: contemporary issues and practical approaches.*

London: Continuum.

Willis, J. (2007). *The Foundations of Qualitative Research: Interpretive and Critical Approaches.* Thousand Oaks: Sage.

CONTENTS

Topic	Page
Translation	
Utilizing Technology in Translation *Assist.Prof.Dr. Abdulsalam Abdulmajeed Al.Ogaili* *University of Basrah /College of Arts*	*67-77*
Philosophical Thinking:A Guiding Role in Research *Dr. Asaad C. Hamood* *University of Basrah /College of Arts*	*78-90*